بحوث قرآنية

نظرة في التعبير القرآني ومفرداته المباركة

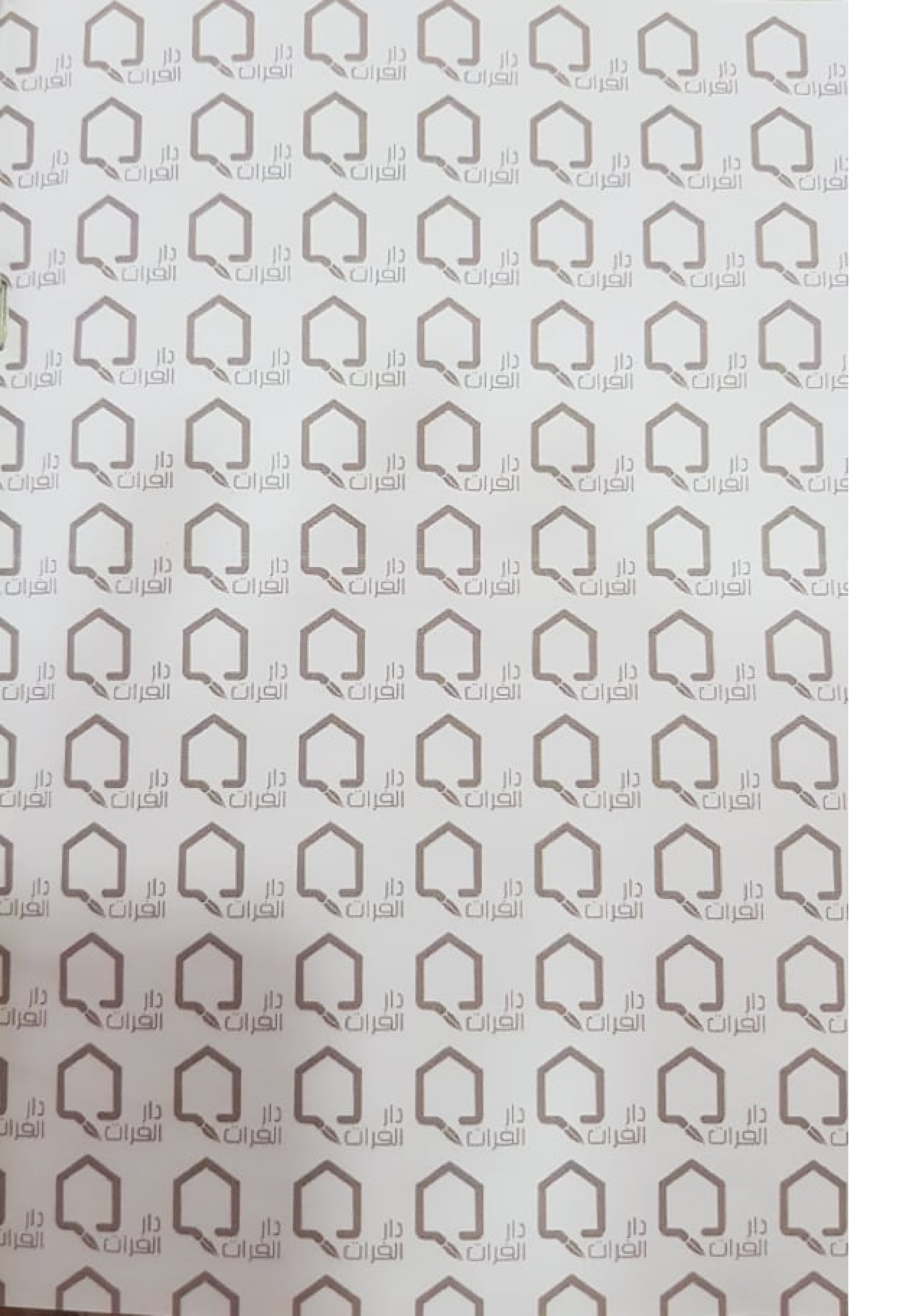


١٤٤١هـ

٢٠٢٠م

الدكتور

علي عبيد خضير المعموري



بحوث قرآنية

نظرة في التعبير القرآني ومفرداته المباركة

الدكتور

علي عبيد خضير المعموري

المراجعة اللغوية

الدكتور أحمد عبيس عبيد المعموري

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ المائدة/ ٤٨

صدق الله العظيم

الإهداء الى :

- سيد الأنام المصطفى ﷺ وعترته الطاهرة عليهم السلام .
- من وافاهم الأجل وما زالوا يعيشون في قلوبنا رحمهم الله .
- عائلتي من آزرني .
- من علمني حرفاً جزاهم الله خيراً .
- عشاق كتاب الله عز وجل .

المقدمة :

الحمد لله إقراراً بنعمته ، ولا إله إلا الله إخلاصاً لوحدانيته ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد خير بريته وعلى المصطفين من عترته .

أما بعد

فإنّ المتأمل في كتاب الله ﷻ يجد فيه من دقة تعابيره وانتقاء مفرداته ما يعجز عن وصفها الواصفون فهي تصور المراد وتعطي المعنى الذي ينطبق عليه فعلا ولا غرابة في ذلك فهو كلام الخالق لكل شيء وكتاب الله ﷻ هو آخر الكتب السماوية المنزلة فمهما استغرق الباحثون في تأمل إعجازه احتاروا بأيها يبدؤون وإلامَ يصلون فكلما مر زمان كشف عن شيء جديد ، وقد استوقفني سؤال تبادر الى ذهني وهو ان الله ﷻ دعا الى تدبر القرآن ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[1] وقراءته والانصات اليه ﴿ وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[2] ، وكلنا نطلب الرحمة من رب العالمين ، وان الناس على أقل تقدير المسلمون منهم مختلفون في مستوياتهم الفكرية وإدراكاتهم العقلية وثقافاتهم وتطلعاتهم العلمية فاذا كان القرآن لا يفهمه الا الضليع في اللغة العربية وعلوم التفسير لأشار الى ذلك ففيه تبيان لكل شيء فلماذا هذه الدعوة إذن ؟ ورأيت ان الله تعالى يقول في محكم كتابه ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[3] ، إذن هو كتاب هداية وبشرى للمؤمنين وبطبيعة الحال الذي يطلب الرحمة لا يكون من الذين في قلوبهم

---

١) محمد / ٢٤ .

٢) الأعراف / ٢٠٤ .

٣) الإسراء / ٩ .

زيغ ﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ ﴾[1] والعياذ بالله من ذلك ، ومنه اعتقدنا ان كتاب الله يخاطب كل العقول وكل المستويات الفكرية وكل الناس على اختلاف لغاتهم فيأخذ كل منهم بحسب قدرته ليهتدي وإلا كيف لهم ان يهتدوا ما لم يأخذوا ويفهموا شيئاً منه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[2] فبمعجزة القرآن اثبتت رسالة الخاتم المصطفى ﷺ ، والقرآن الآن بين أيدينا ليبدي لنا كل الأشياء . ومن هنا تأتي ضرورة التدبر لسوره وآياته المباركة من خلال الكتاب المبارك نفسه قدر ما ممكننا ﷻ معتقدين ان كل مفردة وردت فيه كان لها موقعها الذي لابد ان تكون به وبمعناها الحقيقي وبصيغتها التي لا ترادف فيها لأن الترادف وان وجد في كلام العرب الا انه من صفات المحتاج الى تنميق وتزويق الكلام والله ﷻ هو خالق الكلام فهو غني عن كل هذا قادر على ان يأتي بما يريد وبما يتلاءم مع المطلب الحقيقي ، وان ينظم العبارة لتأتي بالمعنى كاملا دون تكلف وان يكون مفهوما من عموم الناس وفي كل العصور ، وان ترتيب سوره وسياق آياته وترتيبها في السورة وتسلسل مفرداته وقفيٌّ منه تعالى ، جمعت ورتبت في عصر الرسول الأعظم ﷺ لقوله تعالى ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ ﴾[3] ، ولقوله تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ

---

١) آل عمران / ٧ .

٢) المائدة / ١٠١ .

٣) القيامة .

﴿ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1] فاذا كان التحدي بسورة فان لم تكن هناك سورة منظمة ومجموعة بالصيغة المعروفة حين نزول هذه الآية فلا معنى للتحدي ، وكتاب الله ليس للعرب الذين عاشوا في عصر الرسول ﷺ وحدهم فالله تبارك وتعالى عالم بأحوال العالم وتطور اللغات وواقع حال الناس وحتى العرب منهم وابتعادهم عن لغة عصر الرسول ﷺ وبان القليل منهم من سيكون عالما فيها ، وهذا هو ايمننا بالله تعالى عالم قادر غني رحمن رحيم بخلقه وايماننا بان الرسالة المحمدية هي رسالة عالمية خاتمة وليست رسالة العرب فقط .

وفي هذا البحث لجأنا الى كتاب الله تعالى في فهم معاني المفردات ومضمون التراكيب من خلال النظم الذي له أهمية كبرى في الفهم القرآني وان كان هناك ما يؤيدها في التراث الروائي للوصول الى مفهوم معين يمكن ان يفيد مدارك أبسط الناس . آخذين بنظر الاعتبار بعض المفاهيم الشائعة من خلال كون الكتاب العزيز يخاطب كل العصور وبما انه كذلك فلا بد من انه أخذها باعتباره ، مستفيدين من آراء علماء التفسير كي لا نبخسهم جهودهم التي بذلوها وان أوردنا المعنى اللغوي للمفردات فلان المفهوم يأتي منه ولآنه الاساس الذي يبني عليه المعنى الاصطلاحي دلالته هذا أولا ومن باب الاستئناس والتأييد لما نطرحه ثانياً وليكون لمن لهم اهتمام بعلوم اللغة وجود وعدم انكار لفضلهم وجهودهم التي بذلت لأن القرآن نزل بلسان العرب .

نسأل الله القبول فكله بعين الله ﷻ .

الباحث

٢٥ / ربيع الثاني / ١٤٣٩

---

١) يونس / ٣٨.

المدخل :

لعل المتتبع للتفاسير التي وضعها علماء المسلمين لكتاب الله ﷻ يجد جملة منها تستعرض آراء وأقوال الأعلام الذين سبقوهم في هذا المضمار ثم ما يلبث بعضهم ان يناقش الرأي الذي يرجحه ويستسيغه ولربما ما يقع في معتقده الديني ولا يخرج الموضوع عن كونه رأياً وإجتهاداً وضعوه على وفق ما وصلهم من المعارف وما وسعته مداركهم الذهنية في عصرهم ، إضافة الى كونهم بشر يصيبون ويخطئون فهم ليسوا معصومين وباتفاق الأمة ، وشيء آخر ان عصر التدوين قد جاء متأخراً عن عصر الرسول ﷺ والصحابة فالتفاسير قد كتبت بعد عصر الرسالة بقرون[1] ورغم ان بعض من مناهجها يعرض ويستشهد بروايات من السنة المباركة[2] إلا ان جملة من هذه الروايات خضعت للوضع والتدليس والتقوية والتضعيف مما أضطر العلماء الى وضع علوم وقوانين لقبول الرواية ، ولم يحصل إتفاق بين طوائف المسلمين على جملة من هذه الروايات فيبقى العلم الذي يخضعونها له علماً وضعياً لم يأت به كتاب الله ﷻ ولا حتى صاحب الرسالة ﷺ واذا صرفنا النظر عن كل هذا لا نجد الا انها نُقِلَتْ بالمعنى ولم تكن جميع

---

١) ان تاريخ التفسير يبدأ منذ عصر الرسول ﷺ حيث كان يبين للصحابة آيات القرآن ومن بعده الصحابة على مراحل من التطور ، ولكن حسب مدرسة الصحابة فان أول تفسير مكتوب وصل الينا كان في أواخر القرن الثالث لأبي جعفر مُحَمَّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، راجع كتاب من روائع القرآن : ٩١ ، أما مدرسة أهل البيت فتذهب الى ان من أوائل التفاسير الواصلة الينا هي تفسير أبو حمزة الثمالي (ت١٥٠ هـ) وتفسير فرات الكوفي (ت ٣٢٥هـ) ، وتفسير علي بن إبراهيم القمي توفي منتصف القرن الرابع الهجري ، راجع كتاب القرآن في الإسلام :٦٠.

٢) السنة في مفهوم مدرسة الصحابة هي أقوال وأفعال وتقريرات رسول الله ﷺ والصحابة ، أما في مفهوم مدرسة أهل البيت فهي أقوال وأفعال وتقريرات رسول الله ﷺ وأهل البيت عليهم السلام من العترة الطاهرة .

ألفاظها كما قالها صاحب السنة المباركة فهي وان تواترت فمعظمها تواترت تواترا معنويا والقليل جدا منها تواترت تواترا لفظياً ، هذا من جانب , ومن جانب آخر لا يستطيع أحد ان يجزم ان ما قاله المفسر الفلاني هو المراد من اللفظة أو الآية أو السورة التي تم تفسيرها لأنه كلام ورأي لمخلوق غير كامل ومحدود لا يرقى الى كلام ومراد الكامل المطلق غير المحدود ، ثم ان كتاب الله ﷻ هو كلام الله تعالى كما نؤمن ونعتقد فلابد انه يخضع الى نظام صارم دقيق ومحكم وأنيق ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1] وغير قابل للتقليد ليس بألفاظه لان القرآن نزل بلسان العرب[2] والمفردات التي يتداولونها وهم أهل البلاغة والفصاحة بل بنظمه وبمكنوناته ومعانيه ودلالاته واسلوبه وعلومه فلم يكن هناك تحدٍ للإتيان بألفاظ الكتاب العزيز بل بنظمه [3] كما دل عليه الكتاب

---

١) فصلت / ٤٢.

٢) ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ يوسف /٢ ، وقوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ الرعد /٣٧، وقوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ طه /١١٣ ، وقوله تعالى ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ الزمر /٢٨ وقوله تعالى ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ فصلت / ٣ ، وقوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ الشورى / ٧ ، وقوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الزخرف / ٣ ، وقوله تعالى ﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ الأحقاف / ١٢ وقوله تعالى .

٣) ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الإسراء / ٨٨ وقوله تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ هود /١٣ وقوله تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ البقرة / ٢٣ وقوله تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ يونس / ٣٨.

العزيز فان ما عجزوا عنه هو ان يأتوا بالقرآن ثم تحداهم بعشر سور ثم بسورة واحدة فكان التحدي بالقوس التنازلي ولم يستطيعوا ذلك . إذن وكما قلنا ان الفاظ الكتاب العزيز ألفاظ عربية مستعملة ومتداولة من قبلهم من هنا جاء الاعجاز من حيث نظام ونظم ومكنون الكتاب إضافة الى البلاغة والفصاحة المتأتية من نظمه ومدلولاته العالية التي عجز الجن والأنس عن الاتيان بها ، فعن محمد بن موسى الرازي ، قال : حدثني أبي ، قال : ذكر الرضا (عليه السلام) يوماً القرآن فعظم الحجة فيه والآية والمعجزة في نظمه ، فقال : (هو حبل الله المتين وعروته الوثقى وطريقته المثلى المؤدي الى الجنة والمُنَجي من النار لا يخلق على الأزمنة ، ولا يغث على الألسنة لأنه لم يجعل لزمان دون زمان بل جعل دليل وبرهان والحجة على كل إنسان ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾)[1] ، والدليل الآخر على ان كلام الله تعالى ذو نظام يظهر من خلال نظام خلقه تعالى كما صرح به كتاب الله تعالى نفسه ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[2] فاذا نظرنا الى الكون والمجرات والنجوم والكواكب والمحيطات والبحار والكائنات الحية ونظامها وتكاثر الكائنات الحية مثلا ونموها وموتها بتعدد الطرق واختلافها والأجهزة العاملة في جسم الإنسان والغدد الفارزة للإنزيمات والهرمونات تجد هذا كله محكوماً بقوانين ونظام , كل هذا خلقه الله تعالى ووضعه بنظام لا يمكن خرقه وهذا ما تحدى به نبي الله إبراهيم (عليه السلام) النمرود ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ

---

١) البرهان في تفسير القرآن : ١/٧٠.

٢) فصلت / ٥٣ .

﴿وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1] حيث لا يمكن خرق النظام الرباني ولكن الخالق ﷻ أعطى الامكانية على فهم القوانين والاستفادة منها ، وان كان هذا هو خلقه تعالى ونظامه في مخلوقاته لابد وان يكون كلامه أيضا وفق نظام لأن المصدر واحد وهو الله تعالى ، اذن فالنظام الذي بنيَّ عليه كتاب الله العزيز لا يمكن خرقه ولكن من أنزله مكَّنَ الخلق وأعطاهم القدرة على فهمه ، وبما ان كتاب الله هو خاتم الكتب السماوية المنزلة فهو لم يكن نازلاً لزمن معين بل هو لكل العصور والأزمان منذ بداية الرسالة المحمدية الخاتمة الى يوم القيامة فهو يحاكي عقول الناس ومداركهم الفكرية وتطورهم في المعارف والعلوم على مر العصور الى يوم القيامة , وان نزوله عربياً لا يعني انه خاص بالعرب أو الجزيرة العربية أو قريش بل هو لكل الناس على إختلاف لغاتهم وتوجهاتهم لان الرسالة المحمدية هي رسالة عالمية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[3] ، ومن عالميته يستدل على ان فهم القرآن والأخذ منه ليس حكراً على العرب وعلى طبقة معينة منهم ولو أصبح فهمه منحصراً بهذه المجموعة ولم يستفد منه بقية الناس انتفت عالميته وأصبحت الرسالة المحمدية التي أساسها الكتاب العزيز رسالة محلية وناقضت صريح القرآن بعالمية الرسالة وانحسرت بطبقة معينة من العرب دون بقية الناس فمن آمن منهم بالرسالة المحمدية أصبح الكتاب بالنسبة إليه كتاب تعبد فقط من خلال قراءته وهذا يعارضه الكتاب نفسه من كونه هدى للناس ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[4] فالناس في الآية الكريمة لها دلالة

---

١) البقرة / ٢٥٨ .

٢) سبأ / ٢٨ .

٣) الأنبياء / ١٠٧ .

٤) البقرة / ١٨٥ .

الاطلاق أي جميع الناس لكافة شعوب الأرض بجميع لغاتهم ومستوياتهم الفكرية وإلا كيف يكون هدى للناس وقد وضع حاجزاً بينه وبين فهمه وتدبره ، ثم ان الكتاب العزيز يقول ان فيه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] فان كان مختصاً بأناس معينين من المسلمين كيف لبقية المسلمين ان يتبينوا هذه الأشياء التي في القرآن فجميع العلوم التطبيقية المكتشفة حديثا هي أشياء قد خلقها الله ولا بد من ان يكون القرآن قد بينها وفعلا هذا ما تم إثباته في كثير من الظواهر العلمية سواء الفيزيائية والكيميائية والطبية والفلكية ... الخ حيث وجد ان القرآن الكريم قد ذكرها وبينها منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً أي قبل إكتشافها بقرون ، وكيف يكون لهم هدى ورحمة وبشرى من هذا الحصار الفكري الذي فرض على كتاب الله , اذن من الممكن لكل صاحب إختصاص أن يجد ضالته في القرآن الكريم في مجالات اللغة أو الفلك أو الطب أو الهندسة أو القانون أو الشريعة ... الخ ، ومن هنا نعتقد ان كتاب الله قابل للإدراك والتدبر من كل الناس بكافة مستوياتهم العلمية واختلاف مداركهم المعرفية ولكن يأخذون منه كل بحسب قدره وقدرته ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ ﴾[2] ، فمثلما أنزل الله تعالى الماء فسالت به أودية بقدرها وهو مثل ضربه الله تعالى كذلك القرآن الكريم أنزله الله تعالى فتدركه عقول الناس كل بقدره واستطاعته ومقدرته الفكرية . فكأن الرسم البياني لفهم القرآن يتمثل بمنحني

---

١) النحل / ٨٩ .

٢) الرعد / ١٧ .

يبدأ من الصفر وينتهي بالقمة التي يتربع عليها الرسول وآله عليهم السلام ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] فالتبيّن اللازم والكامل هو للرسول ﷺ وعترته الطاهرة عليهم السلام وهذا ما نلمسه مثلا في أحكام إجمالية نصَّ عليها القرآن وجاء تفصيلها من الرسول ﷺ ودليل آخر في قوله تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[2] من هنا جاء الدليل على ضرورة الأخذ بالسُنَّة وانها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ومتى ما وجد حديث شريف صحيح متيقن بصدوره من الرسول ﷺ أو عترته الطاهرة كان هو المعمول به في فهم القرآن الكريم والمعارف الدينية الأخرى . أما العترة الطاهرة فأهم دليل على ضرورة الأخذ منهم هو حديث الثقلين[3] وحديث الخلفاء الأثني عشر[4] وليس هذا محل البحث فيها[5] , وهذا لا يعني ان يقوم اي انسان بتفسير الكتاب على ما يراه ولكن يسعى لفهمه وإدراكه حسب قدرته ثم الرجوع الى المختصين لتصحيح المفاهيم الخارجة عن حدود قابليته والتي

---

١) النحل / ٤٤ .

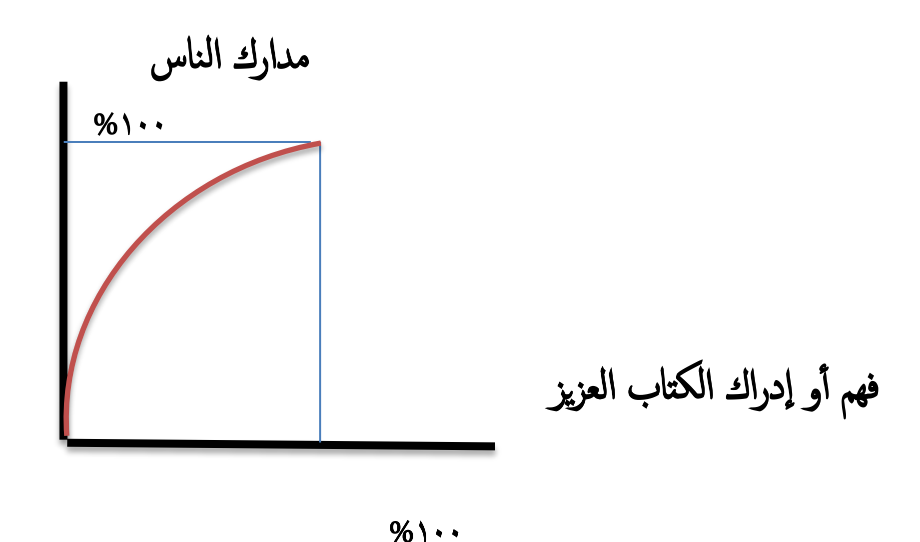
٢) الحشر / ٧ .

٣) ورد عن الامام جلال الدين السيوطي المتوفي سنة ٩١١هـ في كتابه إحياء الميت بفضائل أهل البيت الحديث السادس الطبعة الاولى ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م صفحة ١٦يقول (أخرجه الترمذي وحسنه ، والحاكم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ «اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي : ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض» .

٤) ورد في مسند الامام أحمد بن حنبل ، ٣٢١/٦ ، الحديث ٣٧٨١ « حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن زيد عن المجالد عن الشعبي عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله صلى الله عليه وسلم كم تملك هذه الأمة من خليفة فقال عبد الله بن مسعود ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ثم قال نعم ولقد سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل» .

٥) راجع كتابنا فيض الغدير حيث أثبتنا فيه صحة وتواتر حديث الغدير وحديث الخلفاء الأثني عشر .

لم يصبها , ولما كانت مدارك الناس مختلفة وفهمهم للكتاب العزيز متفاوتاً أصبحوا محتاجين الى من يوصلهم الى الهداية فجاءت العناية الربانية بجعله لكل قوم هاد ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلآ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[١]
وهذا ما دل عليه حديث الثقلين حيث جعل العترة عدل الكتاب .



ان ما فهمه المتقدمون ليس شرطاً ان ينطبق أو يتماشى مع ما فهمه المتأخرون لأن مستوى المعارف وتحصيلها قد تغير واتسع ، ومدارك الانسان قد امتدت آفاقها ، ومؤسسات البحوث قد انتشرت وتنوعت ، وما توصل اليه الفكر الانساني في عصرنا الحاضر لا يمكن ان يتخيله من عاش في القرن التاسع عشر أو أوائل القرن العشرين ، وما سوف يتوصل اليه لاحقا لا يدخل مدارك الناس والعلماء في عصرنا الحالي في كافة النواحي ، وحتى في علوم اللغة فهي لم تكن متوقفة عن التطور والحداثة وكل هذا لم يكن ليغيب والعياذ بالله عن الخالق تعالى فمن خلق هذا كله قادر على ان يجعل كلامه مع علمه بما سيكون يتلاءم مع كل عصر ويهيمن عليه لذلك قلنا لم يكن اعجاز كتاب الله تعالى منحصراً ببلاغته وفصاحته كما ذهب كثير ممن تكلم عن إعجاز القرآن الكريم وإنه من معجزات

---

١) الرعد / ٧ .

الرسالة المحمدية الخالدة بل يضاف لها أيضاً بكونه يلائم كل العصور والأجيال والمستويات الفكرية والتطورات والعلوم ويهيمن عليها ويستمر الى يوم القيامة كونه يمثل خاتم الكتب السماوية لخاتم الرسالات الالهية ولهذا تم حفظه بالعناية الالهية ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1] . فكتاب الله ﷻ محفوظ كما هو منذ ان أنزله الله تعالى على صدر الحبيب المصطفى ﷺ ثم جمعه رسول الله ﷺ وأقرأ آياته جبرئيل عليه السلام مرتين في سنة وفاته ﷺ[2] وسيبقى كما هو المحفوظ بين الدفين ، أما ما جرى وتناقلته وللأسف الشديد بعض كتب المسلمين من جميع طوائفهم من محاولات تشكيك مثل رواية الداجن[3] فإننا نشك انها قيلت من زوج النبي ﷺ وما هي الا محاولات من المغرضين والمعاديين والمناوئين للرسالة المحمدية لمحاولة زرع الشك والفتنة وكلها باءت بالفشل الذريع وبقيَّ كتاب الله تعالى محفوظاً ومعجزاً بقدرته ﷻ .

ان كتاب الله تعالى قد دعا في آياته الى تدبره بقوله تعالى ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾[4] . ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[5] وناشد العقول في كثير من آياته المباركة[1] لكن

---

١) الحجر / ٩ .

٢) (والاصل ما استقرت عليه القراءة في السنة التي توفى فيها رسول الله ﷺ بعد ما عارضه به جبرئيل عليه السلام في تلك السنة مرتين ثم اجتمعت الصحابة على اثباته بين الدفتين) السنن الكبرى للبيهقي : ٢/٣٨٥ .

٣) عن عائشة ، قالت : « نزلت آية الرجم ، ورضاع الكبير عشرا ، فلقد كان في صحيفة تحت سريري ، فلما مات رسول الله ﷺ تشاغلنا بموته ، فدخل داجن فأكلها » الحديث ٧٨٠٥ في المعجم الأوسط للطبراني : ١٢/٨، والحديث ١٩٤٤في سنن ابن ماجة: ٦٢٥، والحديث ٤٢٩٦في سنن الدار قطني: ٤١٢.

٤) النساء / ٨٢ .

٥) محمد / ٢٤ .

العقل البشري إعتاد التعامل بالمنظورات والمحسوسات المادية فيجدها أكثر في الإمكان لأن تُقْبل وهذا الأمر جارٍ منذ أقدم العصور لذلك فان أصحاب موسى مثلاً صنعوا عجلاً ليعبدوه ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ ﴾[٢] . ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾[٣] . وفي عصر الرسول ﷺ ما قبل البعثة النبوية المباركة كان لكل قبيلة من القبائل صنما يصنعونه بأنفسهم ليعبدوه ويتقربون اليه بالنذور ثم ان النصارى قالوا في المسيح ماحكاه الكتاب العزيز بقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾[٤] . وكذا اليهود قالوا عزير ابن الله ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ

---

١) ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة / ١٦٤ وقوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة/ ٢٤٢ وقوله تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ يونس / ٤٢ وقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ يونس / ١٠٠ وقوله تعالى ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ الفرقان / ٤٤ وقوله تعالى ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ العنكبوت / ٣٥ وقوله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ العنكبوت / ٦٣ .

٢) الأعراف / ١٤٨.

٣) طه / ٨٨ .

٤) المائدة / ١١٦ .

﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[1] ، ليتقربوا بعبادتهم من المادة وحتى في العصر الحديث ان الأفكار المادية للشيوعية قد غزت العالم لحقبة طويلة من الزمن حتى نالت من الشعوب المسلمة عددا كبيراً فظهر سؤال يلح على أذهان الناس منذ القدم ولعله يطرح حالياً حتى في أفكار المسلمين أنفسهم وان كتموه فخشية الوقوع في المحرم وسبقهم في ذلك المشركون واليهود على روايات في سؤالهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم عندما دعاهم الى عبادة الله تعالى فقالوا : صف لنا ربك وانسبه ؟ وكانت العرب وما تزال تهتم بالأنساب وتوقر وتعظم صاحب النسب الرفيع لذلك كان الرسول ﷺ من أعظم قريش نسباً رغم تمنيهم في زمن الرسول ﷺ ان لو كان كتاب الله قد أنزل على أحد رجلين هما الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي من أهل مكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف[2] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[3] ولم يكن هذا الأمر حكراً على العرب فحسب بل هو أيضاً في كل شعوب العالم القديمة والمعاصرة وحتى الدول المتقدمة فكانت هناك طبقة الملوك والنبلاء فمثلاً هناك العائلة المالكة لبريطانيا لها قوانينها وإعتباراتها الخاصة للمحافظة على السلالة والدم الملكي من هنا انبثق السؤال المار من الحس المادي المعتاد ومن التعظيم المتراكم للنسب ، ولو طرح السؤال بمعنى آخر أكثر جرأةً لو دعوت ملحداً الى عبادة الله تعالى فانه لربما يسأل من هو الله ؟ .

---

١) التوبة / ٣٠ .

٢) القرآن الكريم بالرسم العثماني وبهامشه تفسير ، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، مذيلا بكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي : ٤٩١ والوسيط في تفسير القرآن المجيد : ٤ / ٧٠ وتنوير المقباس المنسوب لإبن عباس : ٥٢٠ ، وتفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي : ١٦٧٩، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٣ / ٢٧١ ، ونور الثقلين : ٤ / ٥٩٨

٣) الزخرف / ٣١ .

المبحث الأول - سورة النسبة :

ان كتاب الله فيه تبيان لكل شيء ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1] والله تعالى العالم والحكيم المطلق ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[2] إذن فهو عالم بأن مثل هذا السؤال سوف يطرح على رسوله ﷺ ومن بعده على أمته لذلك وضع إجابةً شافيةً كاملةً جعلها تعدل ثلث الكتاب وبسورة منفردة في كتابه العزيز سميت بسورة الاخلاص أو سورة التوحيد او سميت بما يناسب السورة المباركة سورة النسبة أو نسبة الرب[3] وآياتها خمس آيات مع البسملة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾[4] ، فكأنه تعالى قال : قل لهم يا محمد إجابةً لسؤالهم الذي سألوه والذي سيُسأل فيما بعد ما ورد في السورة المباركة ، فالسورة تحاكي أسباب النزول وتشبع مخيلة السائل .

١. أسباب النزول :

ان أسباب نزول السورة المباركة كما وردت في كتب التفسير لعلماء المسلمين بكافة طوائفهم تكاد تكون متفق عليها وهي :

---

١) النحل / ٨٩ .

٢) الأنعام / ٧٣ .

٣) تفسير الفخر الرازي : ٣٢/ ١٧٥، ومجمع البيان في تفسير القرآن : ١٠/ ٣٦٨ ، وتفسير نور الثقلين : ٥/ ٧٠٦ ، والميزان في تفسير القرآن : ٤٥١/٢٠.

٤) الاخلاص .

أ- أنها نزلت على سبب قول المشركين : انْسُبْ لنا ربك ، فكانت جواباً عن سؤالهم[1] وهي قول أبي بن كعب رضي الله عنه[2] .

ب- أنها نزلت على سبب قول اليهود ، لَمّا قالوا : صِفْ لنا ربك وانسبه ، فإنه وَصَفَ نفسه في التوراة ونَسَبَها ، فارتعد رسولُ الله ﷺ حتى خَرّ مغشيًّا عليه ، فنزل جبريلُ عليه السلام بالسورة[3] وهو قول ابن عباس رضي الله عنه[4] وزاد البعض[5] (قالوا : صف لنا ربك كيف عضده ، وكيف ذراعه؟) .

---

١) تفسير الطبري : ٧/ ٥٨٢ ، وتفسير التحرير والتنوير : ٦١٠/٣٠ ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور : ٧٤٠/١٥ ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٢٠١١ ، وتفسير الآلوسي (تفسير جزء عم) : ٢٧٠/٣٠، وتفسير البغوي (معالم التنزيل) : ١٤٤٧ ، والوسيط في تفسير القرآن المجيد : ٤/ ٥٧١ ، والميزان في تفسير القرآن : ٤٥٢/٢٠ ، ومجمع البيان في تفسير القرآن : ١٠/ ٣٧٢ ، ومختصر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٥/ ٢٦١ وتفسير القاسمي :٦٢٩٤/١٧ .

٢) أبي بن كعب من الانصار من الخزرج شهد بيعة العقبة الثانية مع السبعين فاذا كانت السورة مكية وكان السؤال من مشركي مكة فهو رضي الله عنه لم يشهد موقفهم هذا لانه من أهل المدينة فيكون نقله لسبب النزول هذا غير ممكن ، الا اذا كانت السورة مدنية أو كان هناك من يؤيد الرواية من الصحابة رضوان الله عليهم أو انه سمعها من صحابي آخر ، ولكنها إشتهرت عن أبي بن كعب رضي الله عنه .

٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٢٠١١ ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور : ١٥/ ٧٤٢ ، وتفسير الآلوسي (تفسير جزء عم): ٢٧٠/٣٠ ، وتفسير البغوي (معالم التنزيل) : ١٤٤٧ ، وتفسير الثعالبي : ٦٣٨/٥ ، ومجمع البيان في تفسير القرآن : ١٠/ ٣٧٢ ، والأصفى في تفسير القرآن : ١٤٨٩/٢ ، والميزان في تفسير القرآن : ٤٥٢/٢٠ ، ومختصر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٥/ ٢٦١ .

٤) ابن عباس رضي الله عنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ولم يكن يعي الأحداث في مكة ، فنقله لأسباب النزول على كونها مكية لا ينسجم إلا كون السورة مدنية وخصوصا ان السآئلين هم اليهود في روايته أو انه سمعها من أحد الصحابة .

٥) تفسير الفخر الرازي : ١٧٥/٣٢ ، وتفسير الطبري : ٧/ ٥٨٢ .

ت- أنها نزلت بسبب قول للرسول ﷺ : أخبرنا عن ربك ، صف لنا ربك ما هو؟ ومن أي شيء هو؟ فأنزل الله السورة[1] .

ث- أنها نزلت بسبب أن اليهود قالوا للنبي ﷺ هذا الله خَلَق الخلْق ، فمن خلَقَ الله؟ فنزلت هذه السورة جواباً لهم[2] .

ج- أنها نزلت بسبب أن المشركين أرسلوا عامر بن الطفيل إلى رسول الله ﷺ فقالوا : قل له شققت عصانا وسببت آلهتنا وخالفت دين آبائك ، فإن كنت فقيراً أغنيناك وإن كنت مجنوناً داويناك ، وإن هويت امرأة زوجناكها ، فقال رسول الله ﷺ : « لست بفقير ولا مجنون ولا هويت امرأة ، أنا رسول الله إليكم ، أدعوكم من عبادة الأصنام إلى عبادته » ، أرسلوه ثانية وقالوا له : قل له بيّن لنا جنس معبودك ، فأنزل الله هذه السورة[3] .

ح- أنها نزلت لما قالت اليهود : نحن نعبد عُزيرَ ابن الله. وقال النصارى : نحن نعبد المسيح ابن الله. وقالت المجوس : نحن نعبد الشمس والقمر. وقالت المشركون : نحن نعبد الأوثان - أنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾[4].

خ- أنها نزلت بسبب أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبي ﷺ فقال عامر إلام تدعونا يا محمد قال إلى الله قالا صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة أو من

---

١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور : ٧٤٠/١٥ ، وتفسير السمرقندي : ٥٢٥/٣ ، وتفسير النسفي : ٦٩٣/٣ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣٤٧/٥ ، وتفسير الفخر الرازي : ١٧٥/٣٢ ، ومجمع البيان في تفسير القرآن : ١٠/ ٣٧٢ ، وتفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :٤٦٠ ، وجامع البيان في تفسير القرآن : ٥٤٣/٤ ، الجامع لأحكام القرآن : ٢٠/ ٢٧٥ .

٢) تفسير الطبري : ٧/ ٥٨٢ ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور : ٧٤٤/١٥ ، والنكت والعيون تفسير الماوردي : ٣٦٩/٦ ، وتفسير الفخر الرازي : ١٧٥/٣٢.

٣) النكت والعيون تفسير الماوردي : ٣٦٩/٦ ، وتفسير الفخر الرازي : ١٧٥/٣٢.

٤) تفسير السمرقندي : ٣/ ٥٢٥ .

حديد أو من خشب فنزلت هذه السورة فأهلك الله تعالى أربد بالصاعقة وعامراً بالطاعون[1] .

د- أنها نزلت لما جاء إعرابي إلى النبي ﷺ فقال أنسب لنا ربك فأنزل الله تعالى السورة[2] .

ذ- أنها نزلت بسبب سؤال النصارى وفد نجران ، فقالوا : صف لنا ربك أمن زبرجد أو ياقوت ، أو ذهب ، أو فضة؟ فقال : « إن ربي ليس من شيء لأنه خالق الأشياء » فنزلت السورة[3] .

وعند ملاحظة أسباب النزول تجد انها كلها منصبة حول سؤال واحد بين صفة الرب وانسبه ؟ أي بمعنى بين جنسه وعَرِفْهُ . فاذا كانت هذه هي أسباب النزول لزم ان يكون الجواب والتعريف الذي يأتي من الحكيم والعالم المطلق موضحا السؤال وتعريفاً شاملا مانعا ودافعا لكل ريب وشبهة مع وضوح مفهومه للمتلقين من كافة الناس وعلى إختلاف مداركهم الذهنية والمعرفية يفهمه العالم والبسيط حيث ان دعوة الناس لعبادة الله تعالى تشمل كل أنواع وأصناف الجن والانس ولتقريب الصورة نأخذ مثلا ان مسلماً عربيا لديه إمكانية بسيطة من المعرفة لم يحالفه الحظ في تلقي علوم القرآن قد صاحب شخصا وثنياً أعجمياً وعرض عليه ان يعبد الله فكلمه بلغته الأعجمية (انكليزية أو هندية أو صينية ...الخ) وأقنعه بذلك لكن هذا الأخير سأله صف لي الله تعالى الذي تدعوني لعبادته فانه سوف يترجم له سورة الإخلاص بلغته مع بيان حسب ما فهمه منها وتقريب للمعنى وفق فهمه البسيط فلا بد ان تكون لهذه السورة بعد التفكر بها لمن يجد في

---

١) تفسير الآلوسي (تفسير جزء عم): ٢٧٠/٣٠ ، وتفسير البغوي (معالم التنزيل) : ١٤٤٧ ، ومجمع البيان في تفسير القرآن : ١٠/ ٣٧٢ .

٢) تفسير الآلوسي (تفسير جزء عم) : ٢٧٠/٣٠ ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور : ١٥/ ٧٤١ .

٣) تفسير الفخر الرازي : ١٧٥/٣٢ .

نفسه العزم والهمة الصادقة للإيمان ان تهديه وتسد ضالته . وفعلا فان هناك كثير من الدعاة في الدول غير العربية يترجمون القرآن الى اللغات الأخرى ويدعون الناس الى الايمان أمثال أحمد ديدات[1] والدكتور ذاكر نايك[2] ، وآمن على ايديهم كثير من الناس والا كيف انتشر الاسلام في الغرب في عصرنا الحديث . اذن فان معرفة الله تعالى هي الخطوة الأولى للإيمان به وهذا ما ورد عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) (أَوَّلُ اَلدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ اَلتَّصْدِيقُ بِهِ وَكَمَالُ اَلتَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ اَلْإِخْلاَصُ لَهُ وَكَمَالُ اَلْإِخْلاَصِ لَهُ نَفْيُ اَلصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ اَلْمَوْصُوفِ وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ اَلصِّفَةِ فَمَنْ وَصَفَ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ)[3] .

٢. مفردة (هو) في سورة الإخلاص :

هناك أقوال كثيرة ومتشعبة حول مفردة (هو) في قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾[4] منها :

أ- ابن عاشور (وضمير « هو » ضمير الشأن لإفادة الاهتمام بالجملة التي بعده ، وإذا سمعه الذين سألوا تطلعوا إلى ما بعده . ويجوز أن يكون « هو » أيضاً

---

١) أحمد حسين كاظم ديدات (١٩١٨ - ٢٠٠٥) م داعية وواعظ ومُحاضر ومُناظر إسلامي، اشتُهِر بمناظراته وكتاباته في مقارنة الأديان وعلى وجه الخصوص بين الإسلام والمسيحية أسس وترأس المركز الدولي للدعوة الإسلامية في مدينة ديربان في جنوب أفريقيا

٢) ذاكر عبد الكريم نايك ، أو كما هي شهرته دكتور ذاكر نايك، هو داعية وخطيب ومُناظر إسلامي هندي من أهل السنة ، ولد في عام ١٩٦٥م . وهو طبيب أيضاً بدرجة بكالوريوس الطب والجراحة من جامعة مومباي ، ولكنه منذ عام ١٩٩٣ م ركز على الدعوة الإسلامية ، وكان طالب الشيخ أحمد ديدات وهو مدير مؤسسة البحث الإسلامية في الهند .

٣) كتاب نهج البلاغة ، شرح الشيخ محمد عبدة المصري : ٦/١ ، نهج البلاغة :٢٤/١

٤) الإخلاص / ١ .

عائداً إلى الرب في سؤال المشركين حين قالوا : انسب لنا ربك . ومن العلماء من عَدّ ضمير « هو » في هذه السورة اسماً من أسماء الله تعالى وهي طريقة صوفية)[١] .

ب- أبو السعود في تفسيره (الضميرُ للشأنِ ومدارُ وضعِهِ وموضِعِهِ معَ عدمِ سبقِ ذكرِهِ الإيذانُ بأنَّه منَ الشهرةِ والنباهةِ بحيثُ يستحضرُهُ كلُّ أحدٍ وإليهِ يشيرُ كُلُّ مشيرٍ وإليهِ يعودُ كلُّ ضميرٍ كما ينبئ عَنْهُ اسمُهُ الذي أصلُهُ القصدُ أطلقَ عَلى المفعولِ مبالغةً ومحلُّه الرفعُ عَلى الابتداءِ خبرُهُ الجملةُ بعدَهُ ولا حاجةَ إلى الربطِ لأَنَّها عينُ الشأنِ الذي عبرَ عَنْهُ بالضميرِ والسرُّ في تصديرِ الجملةِ بهِ التنبيهُ منْ أولِ الأمرِ عَلى فخامةِ مضمونِهَا وجلالةِ حيزِهَا معَ مَا فيهِ منْ زيادةِ تحقيقٍ وتقريرٍ فإنَّ الضميرَ لا يُفهمُ من أولِ الأمرِ إلا شأنٌ مبهمٌ لهُ خطرٌ جليلٌ فيبقى الذهنُ مترقباً لما أمامَهُ مما يفسرُهُ ويزيلُ إبهامَهُ فيتمكنُ عندَ ورودِهِ لَهُ فضلُ تمكنٍ ،)[٢] .

ت- الآلوسي في تفسيره (المشهور أن هو ضمير الشأن ومحله الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ومثلها لا يكون لها رابط لأنها عين المبتدأ في المعنى والسر في تصديرها به التنبيه من أول الأمر على فخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة التحقيق والتقرير فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقباً لما أمامه مما يفسره ويزيل إبهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن)[٣] .

ث- الاندلسي في البحر (فإن صح هذا لسبب ، كان هو ضميراً عائداً على الرب ،)[٤] .

---

١) تفسير التحرير والتنوير : ٦١٢/٣٠ .

٢) تفسير ابو السعود : ٥٩٠/٥.

٣) تفسير الآلوسي (تفسير جزء عم): ٢٦٩/٣٠.

٤) تفسير البحر المحيط : ٥٢٩/٨ .

ج- البيضاوي (الضمير للشأن كقولك : هو زيد منطلق)[1].

ح- الرازي (الاول : أن هو كناية عن اسم الله ، الثاني : أن هو كناية عن الشأن والثالث : قال الزجاج : تقدير هذه الآية أن هذا الذي سألتم عنه هو الله أحد .)[2].

خ- النسفي (هو ضمير الشأن و « الله أَحَدٌ » هو الشأن كقولك : هو زيد منطلق كأنه قيل : الشأن هذا وهو أن الله واحد لا ثاني له .)[3] .

د- الشوكاني (الضمير يجوز أن يكون عائداً إلى ما يفهم من السياق لما قدمنا من بيان سبب النزول ، وأن المشركين قالوا : يا محمد انسب لنا ربك . فيكون مبتدأ ، والله مبتدأ ثان . و « أحد » خبر المبتدأ الثاني ، والجملة خبر المبتدأ الأوّل . ويجوز أن يكون « الله » بدلاً من « هو » ، والخبر « أحد » . ويجوز أن يكون الله خبراً أوّلاً ، و « أحد » خبراً ثانياً ، ويجوز أن يكون « أحد » خبراً لمبتدأ محذوف ، أي : هو أحد . ويجوز أن يكون « هو » ضمير شأن؛ لأنه موضع تعظيم ، والجملة بعده مفسرة له وخبر عنه ، والأوّل أولى . قال الزجاج : هو كناية عن ذكر الله ، والمعنى : إن سألتم تبيين نسبته « قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ » .)[4] .

ذ- الطوسي في التبيان (فقوله (هو) كناية عن اسم الرب، لانهم قالوا ما ربك؟ قال هو الله احد.)[5] .

ر- الطبرسي في مجمع البيان (قال الزجاج : هو كناية عن ذكر الله عزّ وجلّ ومعناه الذي سألتم تبيين نسبته هو الله أحد)[6] .

---

١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣٤٧/٥ .
٢) تفسير الفخر الرازي : ١٧٨/٣٢ .
٣) تفسير النسفي : ٦٩٣/٣ .
٤) فتح القدير : ١٦٦٧ .
٥) التبيان في تفسير القرآن : ٤٣٠/١٠ .
٦) مجمع البيان في تفسير القرآن : ١٠/ ٣٧٣

ز- الطباطبائي (هو ضمير الشأن والقصة يفيد الاهتمام بمضمون الجملة التالية له)[١].

وبالعودة الى مفردة « هو » في الآية المباركة نجد ان جل المفسرين ذهبوا الى كونها ضمير الشأن وضربوا مثلاً حول ذلك كقولك هو زيد منطلق ، فشأن زيد (منطلق) نعم ان الآية بصدد بيان شأنه تعالى فشأنه أحد وشأنه صمد الى آخر السورة ولأن السؤال كان عن الصفة والنسب فهي أضافة الى ذلك بصدد تعريف الرب ، وقد تنبه الى ذلك مكارم الشيرازي في تفسيره الأمثل فقال (الضمير (هو) في الآية للمفرد الغائب ويحكي عن مفهوم مبهم، وهو في الواقع يرمز إلى أن ذاته المقدّسة في نهاية الخفاء، ولا تنالها أفكار الإنسان المحدودة وإن كانت آثاره أظهر من أي شيء آخر.)[٢]. ولهذا نقول ان مفردة « هو » في السورة المباركة وبكل بساطة ووضوح هي ضمير الغائب للتعريف ولله المثل الأعلى فمثلاً إذا طُلِب تعريف الماء فان الجواب يكون الماء هو سائل عديم اللون والطعم والرائحة ، فاستعمل في الآية المباركة للتعريف وللتنبيه عما سيأتي بعده ، ولابد من التنبيه الى نكتة مهمة في هذا الموضوع وهي ان مفردة (هو) ضمير الغائب كما يسمى في قواعد اللغة العربية فكيف تم إستخدامها هنا في الآية المباركة والله ﷻ حاضر في كل زمان ومكان لا يغيب كما في قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٣] ؟ نقول لقد إستعمل ضمير الغائب (هو) لأن كنهه وماهيته تعالى غائبة عن مدارك السائلين والناس وعن حواسهم المادية غير معرف بما إعتادوا عليه وليس غائب وجوداً ووجداناً تعالى الله علواً كبيراً فجاء إستخدام هذه المفردة في هذه الآية ، وبعد ان عُرِفَ من

١) الميزان في تفسير القرآن : ٤٤٨/٢٠ .
٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ١٥/ ٦٠١ .
٣) الحديد / ٤ .

خلال الآية المباركة بأن (الله أحد) لم يكن لهذه المفردة وجود في الآيات التي لحقتها فجاءت الآية التي بعدها مباشرة ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾[1] فعندما أصبح معرفاً في مداركهم لم يأتِ بها ثانيةً وهذا أيضا ما يوضح لنا لماذا أتت الآية المباركة بمفرد (أحد) نكرة غير معرفة بـ (أل) التعريف في حين اتت مفردة (الصمد) في الآية التي لحقتها معرفة أي محلاة بـ (أل) التعريف ؟ لذات السبب المذكور فانه تعالى قبل الآية المباركة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾[2] لم يكن معرفا لديهم وبعد ذكرها أصبح معرفا للسائل فجاءت مفردة الصمد معرفة وهذه هي الدقة غير المتناهية التي نهج عليها كتاب الله تعالى دقيق الألفاظ والتعابير والمقاصد والمدلولات والمضامين والنظم .

٣. الأحدية :

كيف نفهم قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾[3] ، قلنا ان الباري أراد ان يُعَرِف وينعت نفسه المقدسة فالاسم المقدس الله الخالق ﷻ كان ومازال معروفا من جميع الخلق موحدهم وملحدهم وهذا ما نص عليه الكتاب العزيز بقوله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[4] ، إذن لا يشك أحد ان الله تعالى خالقه وان انكر ذلك أحد يبق

---

١) الإخلاص / ٢ .

٢) الإخلاص / ١ .

٣) الإخلاص / ١ .

٤) العنكبوت / ٦١ ، وقوله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ العنكبوت / ٦٣ ، وقوله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لقمان / ٢٥ وقوله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ الزمر / ٣٨ ، وقوله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

وجدانه وفطرته تشير الى ذلك وان أنكرها ، لكن السؤال الذي طرح سبباً لنزول السورة المباركة هو صف لنا ربك وانسبه ؟فكان الجواب على غرار السؤال موضحا المطلوب ، فمفردة (أحد) لا تشير الى كونه إلهاً واحداً كعدد أو توحيد العبودية أو عبادة إله واحد لأن المقام هنا والمطلب ليس بصدد ذلك ، وانما المراد هنا بيان صفته ونسبه وما هو تعالى وإذا راجعنا الموارد التي وردت بها مفردة (أحد) في الكتاب العزيز وهي :

١) ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾[١] .

٢) ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ ﴾[٢] .

٣) ﴿ قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[٣] .

٤) ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾[٤] .

٥) ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾[٥] .

لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ الزخرف / ٩ ، وقوله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ الزخرف / ٨٧ ، وقوله تعالى ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ ابراهيم / ١٠ .

١) البقرة / ٩٦ .

٢) البقرة / ١٠٢ .

٣) البقرة / ١٣٦ .

٤) البقرة / ١٨٠ .

٥) البقرة / ٢٦٦ .

٦) ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[1] .

٧) ﴿ وَلاَ تُؤْمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[2] .

٨) ﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[3] .

٩) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾[4] .

١٠) ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[5] .

١١) ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[6] .

١٢) ﴿ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾[7] .

---

١) البقرة / ٢٨٥ .
٢) آل عمران / ٧٣ .
٣) آل عمران / ٨٤ .
٤) آل عمران / ٩١ .
٥) آل عمران / ١٥٣ .
٦) النساء / ١٨ .
٧) النساء / ٤٣ .

١٣) ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1] .

١٤) ﴿ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾[2] .

١٥) ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّن الْعَالَمِينَ ﴾[3] .

١٦) ﴿ يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾[4] .

١٧) ﴿ قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾[5] .

١٨) ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ ﴾[6] .

١٩) ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ ﴾[7] .

٢٠) ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[8] .

---

١) النساء / ١٥٢ .
٢) المائدة / ٦ .
٣) المائدة / ٢٠ .
٤) المائدة / ١٠٦ .
٥) المائدة / ١١٥ .
٦) الأنعام / ٦١ .
٧) الأعراف / ٨٠ .
٨) التوبة / ٤ .

٢١) ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

٢٢) ﴿ وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[2] .

٢٣) ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُواْ صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُون ﴾[3] .

٢٤) ﴿ قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾[4] .

٢٥) ﴿ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[5] .

٢٦) ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾[6] .

٢٧) ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[7] .

---

١) التوبة / ٦ .

٢) التوبة / ٨٤ .

٣) التوبة / ١٢٧ .

٤) هود / ٨١ .

٥) يوسف / ٧٨ .

٦) الحجر / ٦٥ .

٧) النحل / ٥٨ .

٢٨) ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاء ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾[1] .

٢٩) ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾[2]

٣٠) ﴿ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾[3] .

٣١) ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾[4] .

٣٢) ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾[5]

.

٣٣) ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[6] .

٣٤) ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾[7] .

٣٥) ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[1] .

---

١) الكهف / ٢٢ .

٢) الكهف / ٢٦ .

٣) الكهف / ٣٨ .

٤) الكهف / ٤٢ .

٥) الكهف / ٤٧ .

٦) الكهف / ٤٩ .

٧) الكهف / ٧٠ .

٣٦) ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾[2] .

٣٧) ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾[3]

٣٨) ﴿ حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾[4] .

٣٩) ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[5] .

٤٠) ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾[6] .

٤١) ﴿ يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[7] .

٤٢) ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾[8] .

٤٣) ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[9] .

---

١) الكهف / ١١٠ .

٢) مريم / ٢٦ .

٣) مريم / ٨٩ .

٤) المؤمنون / ٩٩ .

٥) النور / ٢٨ .

٦) العنكبوت / ٢٨ .

٧) الأحزاب / ٣٢ .

٨) الأحزاب / ٣٩ .

٩) الأحزاب / ٤٠ .

٤٤) ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾(١) .

٤٥) ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾(٢) .

٤٦) ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾(٣) .

٤٧) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾(٤) .

٤٨) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾(٥) .

٤٩) ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾(٦) .

٥٠) ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾(٧) .

٥١) ﴿ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾(١) .

---

١) فاطر / ٤١ .

٢) ص / ٣٥ .

٣) الزخرف / ١٧ .

٤) الحجرات / ١٢ .

٥) الحشر / ١١ .

٦) المنافقون / ١٠ .

٧) الحاقة / ٤٧ .

٥٢) ﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴾[٢] .

٥٣) ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[٣] .

٥٤) ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾[٤] .

٥٥) ﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾[٥] .

٥٦) ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾[٦] .

٥٧) ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴾[٧] .

٥٨) ﴿ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾[٨] .

٥٩) ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾[٩] .

٦٠) ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾[١٠] .

٦١) ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ﴾[١١] .

٦٢) ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾[١٢] .

٦٣) ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[١] .

---

١) الجن / ٢ .
٢) الجن / ٧ .
٣) الجن / ١٨ .
٤) الجن / ٢٠ .
٥) الجن / ٢٢ .
٦) الجن / ٢٦ .
٧) الفجر / ٢٥ .
٨) الفجر / ٢٦ .
٩) البلد / ٥ .
١٠) البلد / ٧ .
١١) الليل / ١٩ .
١٢) الإخلاص / ١ .

فهذه ثلاثة وستون موردا من الموارد جاءت تفيد الإشارة الى موجود وتفيد أي ذات كانت من الأشخاص سواء الرسل والأنبياء أو أي شخصية من الناس أو من الكافرين أو من المشركين حسب نظم الآية المباركة الواردة فيها وهذا وارد في كلام العرب وغيرهم مثل قولك عندما تذهب مع صديقك أو أي شخص الى دار شخص آخر وعند وصولكم عند باب داره ولم تلحظا وجوده وعائلته في الدار فتقول (ما في الدار أحد) أو (لا يوجد أحد) وعند طلبك من مجموعة من الناس ان ينجزوا عملا ما فتقول (هل يستطيع أحد ان يعمل كذا) وفي اللغة الإنكليزية مثلا تقول (there is no Owen in the home) هذا من جانب ومن جانب آخر فان ثماني موارد أخرى عدا مورد آية البحث تفيد شخص أو ذات معتبرة من المذكورين وهي :

١) ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[٢] ، أي شخص معين منهما وليس كلاهما إذ المعروف ان القصة تدور حول ابني آدم عليه السلام قابيل وهابيل .

٢) ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٣] ، أي قال أحد الفتيين الذين كانوا مع نبي الله يوسف عليه السلام وهي إشارة الى شخصية واحدة منهما.

٣) ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾[٤] ، فنبي الله يوسف عليه السلام يقصد الشخصية الأولى بقوله الذي ينقله الكتاب العزيز (أَمَّا أَحَدُكُمَا) .

---

١) الإخلاص / ٤ .
٢) المائدة / ٢٧ .
٣) يوسف / ٣٦ .
٤) يوسف / ٤١ .

٤) ﴿ وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىَ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[١] ، أي احد الرجلين وليس كلاهما.

٥) ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾[٢] ، وتعني أي ذات منهما سواء الأب أو ألام لأنه تعالى أردفها بقوله أوكلاهما.

٦) ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾[٣] ، بقوله تعالى ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم ﴾ أراد منهم أن يبعثوا أي شخص منهم وليس جميعهم ، أما بقوله في ذيل الآية ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ انما أراد ان لا يشعرن بهم أي شخصية ولوكانت واحدة .

٧) ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾[٤] ، أي جعل الله تعالى لشخصية معينة من الرجلين جنتين وليس كلاهما ،

٨) ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاء إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[٥] ، أي شهادة أي شخص (زوج) على زوجه

---

١) النحل / ٧٦ .

٢) الإسراء / ٢٣ .

٣) الكهف / ١٩ .

٤) الكهف / ٣٢ .

٥) النور / ٦ .

أربع شهادات ولا تحتمل مفردة (أَحَدِهِمْ) التعدد ما بعد الواحد لأن زوج المرأة واحد .

٩) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[١] ، أي ما زكى منكم أي شخص سواء ذكر أو أنثى .

إذن المتحصل ان الكتاب العزيز عند إستعماله لهذه المفردة يريد بها موجود أو ذات وفي سورة الإخلاص هو بصدد تعريف هذا الموجود أو الذات هذا ما نستشفه من آيات أخرى أشارت الى ذلك ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾[٢] ، فالآية المباركة لم ترد بقوله تعالى ﴿ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ الإشارة الى كون الله واحداً من حيث الالوهية وإلا كانت إكتفت بقوله ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾ لانها أوضحت ذلك ولو كان المراد من قوله تعالى ﴿ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ ذلك لأصبحت زيادة لا طائل منها لكنها بصدد بيان صفة مميزة جدا عن بقية ما إتخذوه من آلهة ألا وهي وحدة الذات المقدسة وكونها غير متناهية قاهرة لكل الموجودات ، لذلك فوحدة الذات تكون مقرونة دائماء بمفردة (القهار) وهذا ما نراه في عدة آيات منها ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾[٣] و ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ

---

١) النور / ٢١ .

٢) ص / ٦٥ .

٣) يوسف / ٣٩ .

الْقَهَّارُ ﴾[1] و ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[2] و ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاء سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾[3] و ﴿ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[4] ، إذن بقوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[5] مادام بصدد التعريف بذات الله المقدسة يريد ان يبين انه تعالى موجود مقدس ذو ذات هذه الذات أحدية غير قابلة للتبعيض والتجزئة والتركيب (بسيطة) غير متناهية قاهرة غير مقهورة ، ولرب مشكل يقول ان الإنسان واحد أو بمعنى آخر انت واحد وانا فالإنسان يتكون من جسم واحد ، فنقول ان جسم الإنسان متكون من أجزاء مثل الأطراف العلوية والأطراف السفلية والرأس والجذع وكل جزء منها يتألف من أجزاء مثل العظام والعضلات والدم وكذلك يتكون من عدة أجهزة مثل جهاز الدوران والجهاز الهضمي والجهاز العصبي ... الخ وكل هذه الأجزاء والأجهزة متكونة من خلايا مختلفة لا تمتزج مع بعضها يحدها غشاء خلوي وحتى الخلية تتكون من أجزاء مثل النواة والسيتوبلازم وغشاء الخلية وكلها مقهورة بما يحدها من الخلايا والأجزاء ويمكن فصل بعضها عن الجسم وزراعة بعضها في الجسم والانسان نفسه مقهور بمحيطه وما يحده من الأشياء وبالحيز الذي يشغله وهذا ينطبق على جميع الأشياء والمخلوقات حتى أحادية الخلية وتعالى الله عن ذلك فليس كمثله شيء ﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[6] غير قابل للتجزئة والتبعيض والتركيب

---

١) الرعد / ١٦ .

٢) إبراهيم / ٤٨ .

٣) الزمر / ٤ .

٤) غافر / ١٦ .

٥) الإخلاص / ١ .

٦) الشورى / ١١ .

قاهر غير مقهور من حيث كونه لا متناهياً فقاهريته تعني أحاطته بالأشياء مع عدم إمكانية ان تحده الأشياء مهما كبرت وعظمت أو صغرت وتناهت فلو قلت ان الهواء يحيط بجميع الأشياء على الأرض وكتاب الله تعالى يقول﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾[1] ، نقول ان الهواء مقهور ومحدود بالغلاف الجوي وما بعد الغلاف الجوي خال منه والآية المباركة تقول (بكل شيء) فالكواكب أشياء والنجوم والأفلاك والمجرات والعدم أشياء والهواء نفسه مجموعة أشياء فهي مهما اتسعت فان الله تعالى قاهرها بحدودها من حيث انه قهار لا متناه هذا أولا . أما ثانياً فان الهواء قابل للتجزئة والتبعيض فيمكن ان تضع جزءاً منه في قنينة وتحكمها ويصبح هذا الجزء مقهوراً بحيزها ، إضافة الى انه متكون من أجزاء وغازات متنوعة مثل الهيدروجين والأوكسجين وثاني أوكسيد الكاربون والنتروجين ... الخ فهو مركب . ثالثاً لو وضعت في القدح ماء فانه سوف يزيح الهواء داخل القدح ليحل محله فيكون جزء الهواء المتبقي في أعلى القدح مقهوراً بالسائل أسفله وجوانب القدح . إذن من خلال الآية المباركة في سورة الإخلاص أثبت ان الله ذات مقدسة أحادية بسيطة غير مركبة وغير متناهية قاهرة غير مقهورة فعرف نفسه تعالى .

٤. الصمدية :

بعد ان عرف الله ﷻ نفسه بانه موجود مقدس ذو ذات أحدية قال تعالى ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾[2] ولم ترد مفردة الصمد في الكتاب العزيز الا في هذا الموضع ، ولكونها متعلقة بالذات المقدسة التي أصبحت معرفة جاءت مفردة الصمد معرفة لإتمام الإتيان بالصفات المميزة للذات المقدسة ، وقد قيل فيها عدة أقوال أهمها :

---

١) النساء / ١٢٦ .

٢) الإخلاص / ٢ .

أ- الذي لا جوف له[1] ، وهذا الرأي من ضمن عدة آراء ذكرت في معنى هذه المفردة ولا ندعي ان كل من طرح هذا الرأي يذهب اليه بل لعل طرحه جاء على سبيل سرد الآراء بما ورد في معناها وقد أشكل عليه جملة من المفسرين من جميع المذاهب الإسلامية لأن هذا الرأي انما فيه تشبيه لله تعالى وهو تعالى ﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[2] يقول الرازي (والقول الثاني : أن الصمد هو الذي لا جوف له ، ومنه يقال : لسداد القارورة الصماد ، وشيء مصمد أي صلب ليس فيه رخاوة ، وقال قتادة : وعلى هذا التفسير: الدال فيه مبدلة من التاء وهو المصمت ، وقال بعض المتأخرين من أهل اللغة : الصمد هو الأملس من الحجر الذي لا يقبل الغبار ولا يدخله شيء ولا يخرج منه شيء ، واعلم أنه قد استدل قوم من جهال المشبهة بهذه الآية في أنه تعالى جسم ، وهذا باطل لأنا بينا أن كونه أحداً ينافي جسماً فمقدمة هذا الآية دالة على أنه لا يمكن أن يكون المراد من الصمد هذا المعنى ، ولأن الصمد بهذا التفسير صفة الأجسام المتضاغطة وتعالى الله عن ذلك)[3] وقال الطوسي (ومن قال: الصمد بمعنى المصمت، فقد جهل الله، لان المصمت هو المتضاغط الاجزاء وهو الذي لا جوف له وهذا تشبيه وكفر بالله تعالى.)[4].

---

١) تفسير الفخر الرازي : ٣٢/ ١٨١، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٢٠١٢ ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور : ٧٤٢/١٥ ، والنكت والعيون تفسير الماوردي : ٣٧١/٦ ، وتفسير السمرقندي : ٥٢٥/٣ ، وتفسير القرآن العظيم تفسير ابن كثير : ٢٠٥٠ ، وتفسير الآلوسي (تفسير جزء عم) : ٢٧٤/٣٠، تفسير البحر المحيط : ٥٣٠/٨ ، تفسير الطبري : ٧/ ٥٨٢ ، ، والأصفى في تفسير القرآن : ١٤٩٠/٢ ، والميزان في تفسير القرآن : ٤٥٠/٢٠ ، وتفسير فرات الكوفي : ٦١٧ , الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ١٥/ ٦٠٤ .

٢) الشورى / ١١ .

٣) تفسير الفخر الرازي : ٣٢/ ١٨١.

٤) التبيان في تفسير القرآن : ٤٣١/١٠ .

ب- هو السيد الذي يصمد إليه في الحوائج[1] وهو من أهم الآراء التي طرحت في معنى مفردة الصمد وقد ورد في آراء جل المفسرين من مختلف طوائف المسلمين ، ولكن بالعودة الى السورة المباركة التي هي بصدد بيان صفة ونسبة الرب كما سميت فان هذا المقصود من المفردة لا يفيد الغرض لانه تعالى أراد ان يبين لهم صفات مميزة عن بقية الموجودات كما هو الحال في الأحدية لأن المشركين والملحدين سوف يقولون نحن نتوجه بحاجاتنا الى آلهتنا حسب ظنهم ومعتقدهم ، ولذلك يقدمون لها القرابين والنذور ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] وحتى في العصور الحديثة فان جميع عبدة الأوثان وعبدة الشيطان والعياذ بالله يتوجهون بحاجاتهم الى من يعبدون ، ولو ان المشركين في عصر الرسول ﷺ فهموا ان المراد بمفردة الصمد هذا المعنى لأعترضوا لكن في واقع الحال لم نجد ان هناك من نقل انهم أبدوا مثل هذا الاعتراض مما دل على انهم فهموا غير هذا المقصود .

ولكي نفهم المعنى الذي يلائم هذه المفردة نضرب مثلاً ولله المثل الأعلى ، لو وجد الباحثون جوهرةً أو حجراً كريما في أعماق طبقات التربة أو أعماق البحار يعود الى أحد العصور القديمة وقد دفن منذ آلاف السنين ولم يطرأ عليه تغيير ولم تؤثر فيه الظروف المحيطة به ولا تقادم السنين عليه فانهم يصفونه بقولهم صمد ضد هذه المؤثرات من هنا نجد ان مفردة (الصمد) مفردة متداولة بين الناس تعني اللا متغير أو الدائم أو الثابت من حيث ان جميع الأشياء المخلوقة مادية تطرأ عليها

---

١) التبيان في تفسير القرآن : ٤٣١/١٠ ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٢٠١٢ ، والنكت والعيون تفسير الماوردي : ٣٧١/٦ ، وتفسير السمرقندي : ٥٢٥/٣ ، وتفسير الآلوسي (تفسير جزء عم) : ٢٧٣/٣٠، وتفسير التستري : ٣٣٥ ، وتفسير الفخر الرازي : ٣٢/ ١٨١ ، وتيسير الكريم المنان في تفسير القرآن : ٢٠٠٠ .
٢) النحل / ١١٥ .

التغييرات وبهذا يكون معنى الصمد في الآية المباركة الواجب لذاته الممتنع التغير في ذاته وجميع صفاته ، وهذه الصفة المميزة التي لا يمكن ان يتصف بها موجود في الوجود غيره تنفي الصفات المادية عنه وتحقق قوله تعالى ﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[1] ، وقد أشار الى هذا الرأي جملة من المفسرين[2] كرأي من الآراء دون الركون اليه حيث ينقل الآلوسي في تفسيره عن الربيع (هو الذي لا تعتريه الآفات)[3] وقول مرة الهمداني (هو الذي لا يبلى ولا يفنى)[4] وينقل البغوي (وقال الربيع: الذي لا تعتريه الآفات.)[5] ويقول الرازي في معناها (وهو كونه تعالى واجب الوجود في ذاته وفي صفاته ممتنع التغير فيهما)[6] ، وفي موضع آخر يقول (أنه المنزه عن قبول النقصانات والزيادات ، وعن أن يكون مورداً للتغيرات والتبدلات ، وعن إحاطة الأزمنة والأمكنة والآنات والجهات .)[7] وفي نور الثقلين (قال الباقر عليه السلام : كان محمد بن الحنفية رضي الله عنه قال : الصمد القائم بنفسه الغني عن غيره ، وقال غيره الصمد المتعالي عن الكون والفساد ، والصمد الذي لا يوصف بالتغاير .)[8] ، والمراد بمفردة الفساد هنا هو التغير الذي يعتري الخلق والأجساد ، ومؤيد آخر ذلك ان جذر مفردة صامد هو صمد ومعنى صامد كما لا يخفى هو الثابت مثل قولك فلان صامد في رأيه أي ثابت ولم يتغير رأيه ، أو قولك الجيش صامد أي ثابت ولم

---

١) الشورى / ١١ .
٢) الأصفى في تفسير القرآن : ١٤٩٠/٢ ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ١٥/ ٦٠٤ ، والنكت والعيون تفسير الماوردي : ٣٧١/٦ ، تفسير ابو السعود : ٥٩١/٥.
٣) تفسير الآلوسي (تفسير جزء عم) : ٢٧٤/٣٠.
٤) المصدر نفسه : ٢٧٤/٣٠.
٥) تفسير البغوي (معالم التنزيل) : ١٤٤٨ .
٦) تفسير الفخر الرازي : ٣٢/ ١٨١.
٧) المصدر نفسه : ٣٢/ ١٨٢.
٨) تفسير نور الثقلين : ٥/ ٧١١ ، والأصفى في تفسير القرآن : ١٤٩٠/٢ .

يتغير موقفه ولم يترك مواضعه ومنه صَمَدَ ثَبَتَ ، وإثبات هذه الصفة له تعالى حيث صدق الله العظيم بقوله تعالى ﴿ اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾[1] فتعالى الله ان يعتريه ما يعتري مخلوقاتهِ .

٥.نسبة الرب تبارك وتعالى :

بعد ان بين الله تعالى أحديته وصمديته أراد نفي النسب عنه والذي جعله بين الناس للتعارف والتقارب والتراحم فيما بينهم ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾[2] وان هذا الشيء في أذهانهم المادية ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾[3] ، وان اليهود قالوا ان عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح هو ابن الله ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[4] وقال مشركو العرب ان الملائكة بنات الله ، تعالى الله عما يصفون ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾[5] ، فقال تعالى﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾[6] فنفى عنه تعالى الولادة أولا وبأداة الجزم (لم) التي تفيد الماضي لإدعائهم هذا السابق لنزول السورة المباركة فكان رداً جازماً فامتنع عنه تعالى ان يرثه أحد فيكون هالكاً ، وان طلب الولد يكون عن حاجة ونوع

---

١) البقرة / ٢٥٥ .
٢) الفرقان / ٥٤ .
٣) الصافات / ١٥٨ .
٤) التوبة / ٣٠ .
٥) النحل / ٥٧ .
٦) الإخلاص / ٣ .

من التجزئة والتبعيض والله تعالى غني دائم وباق وكامل غير محتاج كونه أحد غير قابل للتجزئة والتبعيض وصمد ممتنع التغيير ثم انه تعالى قال (ولم يولد) وأيضاً بأداة الجزم لنفي ان يكون منتسباً لاقتضائها التركيب المادي المنافي للأحدية والصمدية ولاقتضائها سبق العدم وتعدد القدماء والمجانسة المستحيلة على واجب الوجود ولاقتضائها المحدودية لأن من يولد يحد بوالدته وبالجوف الذي يحمله والله قاهر غير مقهور ولامتناهي إذن فكونه ليس له ولد ولم يولد يتلاءم مع ذاته المقدسة الأحدية الصمدية غير القابلة للتجزئة والتبعيض والتركيب القاهرة اللامتناهية , ولابد من التنبه الى دقة المفردات والعبارات في الكتاب العزيز في هذه الآية المباركة والتي تنطبق على كل مفردات وعبارات الكتاب المبارك فتلاحظ انها وردت بالماضي المجزوم وقدمت الولادة التبعية على الولادة الأصلية في حين ان الولادة الاصلية تسبق الولادة التبعية ففي حقيقة المخلوقات انها تولد ومن ثم تلد !! ونقول ان من الأسباب الواضحة ان الله تعالى يريد ان يبين ان من الأمور المجزومة والتي لا تقبل الشك بل هي عين الحقيقة انه لم يلد ولم يولد وبما ان ادعاء الولادة كان قد سبق وادعاه اليهود ومن ثم النصارى ومشركو العرب فكان البيان بالماضي وجاء تقديمه من باب تقديم الأهم لكونه إدعاءً مطروحاً ومن باب ان هذا الإدعاء سبق طلب نسبة الرب الذي جاء سببا لنزول السورة المباركة وليبين لهم ان ما إعتادوا عليه وأدركته المفاهيم البشرية من تسلسل توالد المخلوقات المادية لا يجب بحق الذات المقدسة واجبة الوجود وهذا ما يعزز أحديته وصمديته تعالى وانه لا شبيه له ولا نظير ، فقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام ما يؤيد هذا المعنى بقوله (قل هو الله أحد بلا تأويل عدد ، الصمد : بلا تبعيض بدد ، لم يلد فيكون موروثا هالكا ، ولم يولد فيكون إلها مشاركا ، ولم يكن له من خلقه كفوا أحد)[1] وعنه عليه السلام يقول في إحدى خطب نهج البلاغة : « لم

---

١) مجمع البيان في تفسير القرآن : ١٠/ ٣٧٦ .

يلد فيكون مولوداً، ولم يولد فيصير محدوداً... »[١] ، وباسناده إلى يعقوب السراج عن ابى عبدالله عليه السلام انه قال في حديث : « لم يلد لان الولد يشبه اباه ، ولم يولد فيشبه من كان قبله ، ولم يكن له من خلقه كفوا احدا ، تعالى عن صفة من سواه علوا كبيرا »[٢] ، وباسناده إلى ابن ابى عمير عن موسى بن جعفر عليهما السلام انه قال : « واعلم ان الله تبارك وتعالى واحد احد صمد لم يلد فيورث ، ولم يولد فيشارك »[٣] .

٦. نفي وجود النظير :

بعد نفي النسب عنه تعالى وانه تعالى (لم يلد ولم يولد) ولإتمام هذه الصورة في ذهن المتلقي ومحو المتراكم المادي قال تعالى ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[٤] ، وبتأمل هذه الآية المباركة وربطها بما قبلها من الآيات وبأسباب النزول وكذلك بآيات أشارت الى نفس المعنى في الكتاب العزيز وهي قوله تعالى ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٥] و ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾[٦] نجد انه تعالى ينفي ان يكون له تعالى نظير في ذاته وفي أفعاله من حيث تدبير أمور الخلق وفي قدرته وغناه وملكه وقاهريته لان وجود النظير يعني تعدد اللامتناهي فيصبح متناهياً ومحدوداً ومقهوراً ووجود الصحبة تعني الحاجة وعدم الغنى وهي من الصفات المادية وتعالى

---

١) نهج البلاغة : ٤٣٣/٢.
٢) تفسير نور الثقلين : ٥/ ٧١٥ .
٣) المصدر نفسه : ٥/ ٧١٥ .
٤) الإخلاص / ٤ .
٥) الأنعام / ١٠١ .
٦) الجن / ٣ .

الله علوا كبيرا فهو الغني القاهر من حيث أحديته وصمديته كما مروانه ليس كمثله شيء ، أي فيه دلالة على أنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا هو في مكان ولا جهة ، ثم بالعودة الى الآية المباركة تجد ان التعبير القرآني جاء بحقيقة جازمة غير قابلة للشك باستعمال أداة الجزم (لم) والتي تفيد الماضي وهو تعبير دقيق جداً لم يكن أي موجود كفواً له تعالى حيث قلنا ان مفردة أحد تشير الى موجود(ذات أو شخصية أو شيء) وهي مفردة مستعملة في الكلام المتداول بين الناس في كافة لغاتهم ، ثم ملاحظة أخرى التعبير القرآني قال ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ولم يقل ولم يوجد وبنفس التعبير القرآني في سورة الأنعام ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ﴾ لنفي تعدد القدماء وانه دائم لا يحده مكان وزمان لكونه خالق المكان والزمان ولم تكن له صاحبة بعد خلقهما أيضاً، ومنه تحصل ان الله تبارك وتعالى بين أنه لم يكن هناك موجود كفواً له ليتخذها صاحبة لتلد وجاء التعبير بالماضي لكون إدعاء من نسب له الولادة كان قد سبق وكما بينا في إدعاء اليهود والنصارى ومشركوا العرب ولم يأتِ مثل هذا الإدعاء بعد نزول السورة المباركة ، وان حصل فالآية جزمت بعدم وجود الكفؤ وبذلك فانه تعالى نفى عنه الولد والوالدة والصاحبة ونفى النسب جملة وتفصيلا . ومما يؤيد ذلك ما ورد عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يقول في إحدى خطب نهج البلاغة : (ولا كفء له فيكافئه، ولا نظير له فيساويه)[1] ، يقول الماوردي في تفسيره (الثاني : يعني لم تكن له صاحبة ، فنفى عنه الولد والوالدة والصاحبة ، قاله مجاهد .)[2] ، وكذا ابن كثير في تفسيره يقول : (قال مجاهد: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ يعني: لا صاحبة له.)[3] ، ويقول أبو السعود في تفسيره (أي

---

١) نهج البلاغة ، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية : الدكتور صبحي الصالح ، دار الكتاب المصري ، القاهرة : ٢٧٥.

٢) النكت والعيون تفسير الماوردي : ٣٧٢/٦ .

٣) تفسير القرآن العظيم تفسير ابن كثير : ٢٠٥٠ .

لم يكافئه أحد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها)[1] ،وقال الآلوسي (أي لم يكافئه أحد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وقيل هو نفي للكفاءة المعتبرة بين الأزواج)[2] ، أما الرازي فيقول (قال مجاهد : لم يكن « له » صاحبة كأنه سبحانه وتعالى قال : لم يكن أحد كفؤاً له فيصاهره ، رداً على من حكى الله عنه قوله : ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجنة نَسَباً ﴾ فتفسير هذه الآية كالتأكيد لقوله تعالى : ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾)[3].

اذن فان الله وصف نفسه بأنه موجود مقدس بذات مقدسة أحادية غير قابل للتجزئة والتبعيض والتركيب غير متناهي قهار لا يحده زمان ومكان (صمد) ممتنع التغير دائم باق . ونفى عن نفسه النسب بأنه لم يلد ولم يولد ولم يكافئه موجود ليكون له صاحبة وولداً ووالداً وبذلك نفى عنه جميع الصفات المادية التي تتصف بها مخلوقاته وما تصورته أذهان المادة بان هناك نسباً وصهراً كما هي حال البشر﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾[4] ولذلك كانت هذه السورة المباركة تعريفا للذات المقدسة وتوحيداً لها فعدلت ثلث القرآن .

---

١) تفسير أبي السعود :٥٩١/٥ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣٤٧/٥ .

٢) تفسير الآلوسي (تفسير جزء عم) : ٢٧٧/٣٠.

٣) تفسير الفخر الرازي : ٣٢/ ١٨٥.

٤) الفرقان / ٥٤ .

المبحث الثاني - الرب والملك والإله :

من خلال ما مر تبين لنا توحيد الذات الإلهية وصمديتها ، وبالعودة الى الكتاب العزيز نجد انه عبر عن الذات المقدسة بمقامات كما في سورة الناس قوله تعالى ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ ﴾[1] فهذه ثلاث مقامات مباركة للذات الإلهية المقدسة الأحدية الصمدية وهي مقام الربوبية ومقام الملوكية ومقام الألوهية ، وبما إننا نعتقد ان ترتيب الآيات وقفيٌ منه تعالى فلابد من ان ترتيب أو تسلسل ورود هذه المقامات في هذه السورة المباركة مقصود ذو غاية وأهمية بالغة لا أقل توضيحية فما هو الرب وما هو الملك وما هو الإله .

١. مقام الربوبية :

الرب عرفه علماء اللغة : المالكُ، والخالقُ، والصَّاحب. والرّبُّ: المُصْلِح للشّيء. يقال رَبَّ فلانٌ ضَيعتَه، إذا قام على إصلاحها. وهذا سقاء مربُوبٌ بالرُّبِّ. والرُّبّ .. والأصل الآخرُ لُزوم الشيءِ والإقامةُ عليه[2] أي هو المتصرف بكل الشؤون ومن له حق ولاية التصرف ومن تتبع موارد هذه المفردة في الكتاب العزيز نجد انها وردت بعدة تصريفات حسب إستعمالها في النص القرآني وهي (رَب[3] ، ربك[4] ، ربكم[5] ، ربكما[6] ، ربنا[1] ، ربه[2] ، ربها[3] ، ربهم[4] ، ربهما[5] ، ربي[6] ، أرباب[7] ، ربيون[8]) ،

---

١) الناس .

٢) معجم مقاييس اللغة : ٢/ ٣٨١ ، ومختار الصحاح : ٩٦.

٣) ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الفاتحة / ٢.

٤) ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة / ٣٠.

٥) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة / ٢١.

٦) ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ طه / ٤٠.

وكان ورودها في آيات عديدة مفادها ولاية التصرف المطلق للرب ﷻ في الدنيا والآخرة . ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾[9] فخلق كل شيء كان من مقام الربوبية[10] ، وكل شيء يشمل الملائكة والناس والجن والأرض والسموات والأفلاك والأكوان ...[11] ، ولما كان ﷻ خالق كل شيء فهو رب كل شيء[12] وعالم بكل شيء السر والعلانية ولا يخفى عليه شيء[1] ، ثم بعد الخلق

---

١) ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ البقرة / ١٢٧.

٢) ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ البقرة / ١٣١.

٣) ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ إبراهيم / ٢٥.

٤) ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ البقرة / ٥.

٥) ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ الكهف / ٨١.

٦) ﴿ إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ آل عمران / ٥١.

٧) ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ التوبة / ٣١.

٨) ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ آل عمران / ١٤٦.

٩) يوسف / ١٠١.

١٠) ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ الرعد / ١٦، وقوله تعالى ﴿ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ الأنعام / ١٠٢، وقوله تعالى ﴿ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ الزمر / ٦٢.

١١) ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ الأعراف / ٥٤.

١٢) ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ الأنعام / ١٦٤ .

هدى المخلوقات(٢) لذلك أشهد بني آدم على أنفسهم وأخذ عليهم العهد في عالم الذر بالربوبية ولكنهم غفلوا عن ذلك(٣) . فالرب سبحانه هو الولي المتصرف في الدنيا والآخرة(٤)، وان إتخاذ أولياء من دونه لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا لهو من العمى وعدم التفكر وكأنه يتخبط في الظلمات وان لم يهتدِ الى النور فقد اشرك بخالقه وهو خالق كل شيء(٥) . والكتاب العزيز أثبت ولاية التصرف لمقام الربوبية في آيات عدة ارتبطت بهذا المقام دون المقامات الأخرى قلنا ان الرب هو خالق كل شيء والانسان منها(٦) . فهو الذي يحيي ويميت بمقام الربوبية(٧)، والدعاء وطلب الآمان والرزق من الرب(٨) . الإسلام والتسليم للرب(٩) . وتكون النذور لطلب

---

١) ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ الحجر / ٨٦ ، وقوله تعالى،﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ الأعراف / ٨٩ وقوله تعالى،﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ إبراهيم / ٣٨ .

٢) ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ طه / ٥٠ .

٣) ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾الأعراف / ١٧٢ .

٤) ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ يوسف / ١٠١ وقوله تعالى ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام / ١٢٧ .

٥) ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ الرعد / ١٦ .

٦) ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ﴾العلق .

٧) ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ البقرة / ٢٥٨ .

٨) ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾البقرة / ١٢٦ .

٩) ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾البقرة / ١٣١ .

الحاجات من الرب[1] ، والدعاء لطلب الذرية من الرب[2] ، وان الرب يفعل ما يشاء[3] والصلاة والنسك والمحيا والممات له[4] ، وتكون مناجاة العباد وحديثهم مع الرب[5] ، وطلب المغفرة والرحمة منه لأنه ربٌ رحمن رحيم وصفة الرحمة والغفران من صفات مقام الربوبية [6] ، والخوف من الرب [7] ، والحمد يكون للرب[8] ، وإرسال الرسل من الرب[9] ، والايمان بالرب [10] ، والإهلاك بمشيئته والهداية والمشيئة من الرب[11]، وتفصيل الكتاب من الرب[12] ، والوعد الحق من الرب فهو أحكم الحاكمين[13] ، والإستعاذة تكون بالرب[1] ، ومنها الاستعاذة من الشيطان

---

١) ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾آل عمران / ٣٦ .

٢) ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾آل عمران / ٣٨ .

٣) ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ آل عمران / ٤٠ .

٤) ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾الانعام / ١٦٢ .

٥) ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾المائدة / ٢٥ .

٦) ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾الاعراف / ١٥١ .

٧) ﴿ لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾المائدة / ٢٨ .

٨) ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الفاتحة / ٢ .

٩) ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾الاعراف /٦١ .

١٠) ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾الاعراف / ١٢١ .

١١) ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾الاعراف / ١٥٥ .

١٢) ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ يونس / ٣٧ .

١٣) ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ هود / ٤٥ .

الرجيم [٢] ، وهو الذي يؤتي الملك[٣] ، وكل الأعمال والافعال تكون بإذنه تعالى[٤] ، والجعل منه [٥] ، جميع طلبات الخلق منه وحتى إبليس[٦] ، والعذاب بأمره [٧]، والرب من أمر بدعائه بمقام الربوبية وليس بالمقامات الأخرى[٨]، وهو الذي ينزل بصائر الى الناس[٩]، وذكر الرب عند النسيان بأمر منه[١٠]، وجعل الآيات مبشرة ومنذرة للناس من الرب[١١] ، وهو الذي يشرح الصدور للتفقه والتعلم والحديث والفهم وإيصال المطلوب الى الناس[١٢] ، وطلب العلم من الرب[١٣] ، وهو الذي يحشر الناس ليوم القيامة[١٤] ، ويكون التسبيح للرب[١] ، وتطلب الذرية من الرب[٢]

---

١) ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾هود / ٤٧ .

٢) ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾آل عمران /٣٦ .

٣) ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ يوسف / ١٠١ .

٤) ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ابراهيم / ٢٥ .

٥) ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ ابراهيم / ٤٠ .

٦) ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ابراهيم / ٤٠ .

٧) ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ الاسراء / ٥٧ .

٨) ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ الاسراء / ٨٠ .

٩) ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ الاسراء / ١٠٢ .

١٠) ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ الكهف / ٢٤ .

١١) ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ مريم / ١٠ .

١٢) ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ طه / ٢٥ .

١٣) ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ المؤمنون / ١١٤ .

١٤) ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ طه / ١٢٥ .

، وهو الذي يحكم بالحق والمستعان في كل الامور[٣] ، والنصرة منه[٤] ، والمنازل المباركة ينزلها الرب[٥] ، ومناجات الرسل وشكواهم كانت مع الرب[٦] ، والأجر على الاعمال من الرب[٧] ، والكتب السماوية من الرب[٨] ، والنعم جميعها من الرب مما يوجب شكره وهو الذي يقبل العمل الصالح ويدخل برحمته في عباده الصالحين[٩] ، والاسلام للرب[١٠] ، والعبادة للرب[١١] ، فالرب هو المُنْجيّ من القوم الظالمين فتكون صفة المنجي من صفاته[١٢] ، والرب منزل الخير فالمخلوق هو الفقير لهذا الخير[١٣] ، وهو الذي جعل الارض قرارا والسماء بناءً وصورنا ورزقنا من الطيبات[١٤] ، وبالبينات التي جاءت من الرب نهينا ان نعبد غيره وأمرنا ان نسلم له[١٥] ، كل النعم

---

١) ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ الحجر / ٩٨ .
٢) ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ الانبياء / ٨٠.
٣) ﴿ قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ الانبياء / ١١٢ .
٤) ﴿ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ المؤمنون / ٢٦ .
٥) ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾المؤمنون / ٢٩ .
٦) ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ الفرقان / ٣٠ .
٧) ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الشعراء / ١٢٧ .
٨) ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ السجدة / ٢ .
٩) ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ النمل / ١٩ .
١٠) ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ النمل / ٤٤ .
١١) ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ النمل / ٩١ .
١٢) ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ القصص / ٢١ .
١٣) ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ القصص / ٢٤ .
١٤) ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ غافر / ٦٤ .
١٥) ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾غافر / ٦٦ .

التي أنعم علينا بها أوجبت منا الشكر والتوبة وطلب الرضا من الرب فاذا بلغ الانسان أربعين سنة دخل مرحلة إدراكية جديدة وتخطى به العمر وقد انعم عليه ربه كل هذه النعم فوصل الى الحد الذي يلزمه السير والعمل بما يرضي الله تعالى وان يتجنب الاخطاء التي لربما كانت تطرأ عليه في شبابه ويتوب عنها [1] ، فكل ما يأتي من الرب هو الحق يستلزم اتباعه [2] ، رحمن من كونه رب [3] ، الهدى من الرب [4] ، تكون الملاقاة والرجعة الى الرب [5] ، الصلوات والرحمة من الرب [6] ، ما أوتي النبيون من الرب [7] ، والجزاء على الاعمال من الرب [8] ، الحياة الآخرة عند الرب [9] ، والرب هو الذي يكفر السيئات ويجزي الجنات وحسن الثواب [10] ، ابتغاء

---

١) ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ الاحقاف / ١٥ .

٢) ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾ محمد / ٣ .

٣) ﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ النبأ / ٣٧ .

٤) ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ البقرة / ٥ .

٥) ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ البقرة / ٤٦ .

٦) ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ البقرة / ١٥٧ .

٧) ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران / ٨٤ .

٨) ﴿ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ آل عمران / ١٣٦ .

٩) ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ آل عمران / ١٦٩ .

١٠) ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ آل عمران / ١٩٥ .

الفضل والرضوان منه[١] ، الوعيد للذين يكفرون بربهم[٢] ، الحشر الى الرب[٣] ،مرجع كل الامم الى ربها فينبئها بما كانت تعمل[٤] ، الرحمة والهدى تكون للذين لديهم الرهبة من الرب[٥] ، اللقاء يوم القيامة بالرب[٦] ، الذي يراعي مخلوقاته ويأمر وينهى هو الرب فالأوامر تصدر الى الخلق من الرب[٧] ، يكون التوكل على الرب[٨] ، الدرجات العليا والمغفرة والرزق الكريم من الرب[٩] ، الاهلاك والمحاسبة على الذنوب من الرب[١٠] ، والرضوان والنعيم المقيم من الرب[١١] ، الناس

---

١) ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ﴾ المائدة / ٢ .
٢) ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ الانعام / ٣٠ .
٣) ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ الانعام / ٥١ .
٤) ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الانعام / ١٠٨ .
٥) ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ الاعراف / ١٥٤ .
٦) ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ الانعام / ١٥٤ .
٧) ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ الاعراف / ٢٢ .
٨) ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الانفال / ٢ .
٩) ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ الانفال / ٤ .
١٠) ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ الانفال / ٥٤ .
١١) ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴾ التوبة / ٢١ .

يعرضون على الرب واللعنة على الظالمين من الرب[١] ، والجحود يكون بآيات الرب[٢] ، لزم ان تكون استجابة الناس لربهم ولهم منه الحسنى والذي لم يستجب فله الحساب وعذاب جهنم من الرب[٣] ، الخشية والخوف من الرب[٤] ، الجزاء الحسن من الرب[٥] ، الذي يُخْرِج الناس من الظلمات الى النور هو الرب[٦] ، الخلود في الجنات لا يكون الا بإذن الرب[٧] ، التخلص من سلطان الشيطان بالتوكل على الرب[٨] ، وإبتغاء الوسيلة يكون الى الرب ورجاء الرحمة من الرب والحذر من عذاب الرب[٩] ، والخير الذي يصيب الناس من الرب[١٠] ، والذكر يأتي من الرب[١١] ، والاستكانة والتضرع يجب للرب[١٢] ،السجود والقيام للرب[١] ، ووجوب تذكر آيات

---

١) ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ هود / ١٨ .

٢) ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ هود / ٥٩ .

٣) ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ الرعد / ١٨ .

٤) ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ الرعد / ٢١ .

٥) ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ الرعد / ٢٢ .

٦) ﴿ الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ ابراهيم / ١ .

٧) ﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ ابراهيم / ٢٣ .

٨) ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ النحل / ٩٩ .

٩) ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ الاسراء / ٥٧ .

١٠) ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ الكهف / ٨١ .

١١) ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ الانبياء / ٢ .

١٢) ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ المؤمنون / ٧٦ .

الرب[٢] ، المجرمون يحاسبون من قبل الرب[٣] ، والظالمون يحاسبون من قبل الرب فذكر الظلم مع مقام الربوبية [٤]، وإقامة الصلاة وإتاء الزكاة من أوامر الرب[٥] ، والرب من يأتي بالآيات[٦] ، الغضب والعذاب الشديد من الرب[٧] ، الذي يُكَفِر السيئات ويقي العذاب ويصلح البال هو الرب فالأوامر تصدر منه[٨] ، تنزيل الملائكة باذن الرب[٩] ، والابتلاء من الرب[١٠] ، الرب من يرشد عباده في الأمور الدنيوية المتعلقة بمعاملاتهم بين بعضهم[١١] ، خروج النبات بإذن الرب[١] ، وهو من كلم

---

١) ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ الفرقان / ٦٤ .
٢) ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ الفرقان / ٧٣ .
٣) ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ السجدة / ١٢ .
٤) ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ ﴾ سبأ / ٣١ .
٥) ﴿ إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ فاطر / ١٨ .
٦) ﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ يس / ٤٦ .
٧) ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ الشورى / ١٦ .
٨) ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ محمد / ٢ .
٩) ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ القدر / ٤ .
١٠) ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ البقرة / ١٢٤ .
١١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيرًا أَو كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ البقرة / ٢٨٢ .

موسى[٢] ، الرعاية للعباد المخلصين من الرب[٣] ، يكون الفسق عن أمر الرب[٤] ، والمرد الى الرب[٥] ، ولان الاوامر من الرب فتكون المعصية له[٦] ، والتعظيم لحرمات الرب[٧] ، واتخاذ السبل الى الرب[٨] ، غدو الريح ورواحها واسالة عين القطر وعمل الجن لسليمان بإذنه[٩] ، البينة منه[١٠] ، الزواج بإرادة الرب[١١] ، النعمة من الرب[١٢] ، اتخاذ المآب الى الرب[١٣] ،والرب بصير بأحوال العباد[١٤] ، والابتلاء منه[١٥] ، سماع الحجة يوم الحساب منه[١٦] ، الخير والرحمة والفضل العظيم منه[١] ، هو

---

١) ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ الاعراف / ٥٨ .

٢) ﴿ وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ الاعراف / ١٤٣ .

٣) ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ يوسف / ٢٤ .

٤) ﴿ وإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ الكهف / ٥٠ .

٥) ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ الكهف / ٨٧ .

٦) ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ طه / ١٢١ .

٧) ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ الحج / ٣٠ .

٨) ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ الفرقان / ٥٧ .

٩) ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ سبأ / ١٢ .

١٠) ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ ﴾ محمد / ١٤ .

١١) ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ التحريم / ٥ .

١٢) ﴿ لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاء وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾ القلم / ٤٩ .

١٣) ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا ﴾ النبأ / ٣٩ .

١٤) ﴿ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ الإنشقاق / ١٥ .

١٥) ﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ الفجر / ١٥ .

١٦) ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة / ٧٦ .

من فرض المعاملات الدنيوية على الناس[٢] ، والسكينة منه[٣] ، معجزات الانبياء منه[٤] ، والنصرة منه[٥] ، والبراهين منه[٦] ، البصائروالهداية والنور منه[٧] ، تحريم المحرمات والرزق بكافة أنواعه منه[٨] ، الوعد بالآخرة منه[٩] ، سخر الشمس والقمروالنجوم بأمره[١٠] ، هو من جعل خلفاء في الارض[١] ، هو من يوقع الرجس ،

---

١) ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ البقرة / ١٠٥ .

٢) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ البقرة / ١٧٨ .

٣) ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة / ٢٤٨ .

٤) ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران / ٤٩ .

٥) ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴾ آل عمران / ١٢٤ .

٦) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ النساء / ١٧٤ .

٧) ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ الأنعام / ١٠٤ .

٨) ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الأنعام / ١٥١ .

٩) ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ الأعراف / ٤٤ .

١٠) ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ الأعراف / ٥٤ .

والغضب يكون من الرب[٢] ،وهو الذي يسير الامور الدنيوية ويرفع الظلم[٣] ، الوحي منه[٤] ، تكون الاستغاثة بالرب[٥] ، وما من شفيع الا بإذنه[٦] ، الاستغفار والتوبة اليه ويرسل السماء بالغيث بأمره[٧] ، وكل دابة هو آخذ بناصيتها[٨] ، وتصريفات الكون بيد الرب واللقاء به[٩] ،إنزال الخير منه في الدنيا ودار الاخرة منه[١٠] ، جعل الليل والنهار منه وابتغاء الفضل منه[١١] ، الرحمة والعذاب بمشيئته[١٢] ،اعطاء الذرية والرزق منه[١٣] ،تصريف الليل والنهار منه[١]، العبادة له والشكر له والرجوع

---

١) ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الأعراف / ٦٩ .

٢) ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ﴾ الأعراف / ٧١ .

٣) ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ الأعراف / ١٢٩ .

٤) ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف / ٢٠٣ .

٥) ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ الأنفال / ٩ .

٦) ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ يونس / ٣ .

٧) ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ هود / ٥٢ .

٨) ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ هود / ٥٦ .

٩) ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ الرعد / ٢ .

١٠) ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ النحل / ٣٠ .

١١) ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾ الاسراء / ١٢ .

١٢) ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ الاسراء / ٢٥ .

١٣) ﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ الشعراء / ١٦٦ .

اليه فهو عليم بأعمال الخلق(٢) ، الإختصام يوم القيامة عنده(٣) ، هو من جعل الأرض قراراً والسماء بناءاً وصوركم ورزقكم من الطيبات(٤) ، هو من سخر المراكب والدواب والأنعام(٥) ، استحق ان يكون الجهاد في سبيله والايمان به(٦) ، الصبر وتثبيت الاقدام والنصرة منه(٧)، التكاليف منه وكل أعمال الخلق مناطة به والهبات منه(٨) ، هو جامع الناس ليوم القيامة(٩) ، هو الذي يقي عذاب النار(١٠) ، رزق الطيبات في الدنيا منه(١١) ، هو الذي يحكم بالحق وهو المستعان(١٢) ، ضرب

---

١) ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ فاطر / ١٣ .

٢) ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ الزمر / ٧ .

٣) ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ الزمر / ٣١ .

٤) ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ غافر / ٦٤ .

٥) ﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ الزخرف / ١٣ .

٦) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ الممتحنة / ١ .

٧) ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة / ٢٥٠ .

٨) ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ آل عمران / ٨ .

٩) ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ آل عمران / ٩ .

١٠) ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ آل عمران / ١٦ .

١١) ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ المائدة / ١١٤ .

١٢) ﴿ قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ الانبياء / ١١٢ .

الامثال والارشاد والنصائح والهداية منه[1] ، وهو من يسمع حجج المجرمين يوم الحساب[2] ، والمحاكمة يوم القيامة عنده والمصير اليه[3] ، الذين قالوا ربنا الله ثم إستقاموا لا خوف ولا حزن عليهم يوم القيامة عنده [4] أي ليس الاعتراف بالربوبية والتوحيد هو المطلوب بل يتبعه الاستقامة بالعمل الصالح ، وجوب التبرء من الذين يعبدون غيره[5] ، الرب لديه القدرة على كل شيء فاخراج النبات والارزاق وعدم غفلته عن الاعمال كلها من قدرته[6] ، القنوت والسجود والركوع لا تجب الا له[7]، والاوامر بتبليغ الرسالة تصدر منه[8] ، وهو أعلم بالضالين والمهتدين[9] ، اهلاك القرى بأمره[10] ، هو من فصل المحرمات[11] وكل من يحرمون غير ما حرم

---

١) ﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾ الفرقان / ٣٩ .

٢) ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ الأحزاب / ٦٧ .

٣) ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ السجدة / ١٢ .

٤) ﴿ ٢٧٧. إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ فصلت / ٣٠ .

٥) ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ الممتحنة / ٤ .

٦) ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ البقرة / ٦١ .

٧) ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ آل عمران / ٤٣ .

٨) ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ المائدة / ٦٧ .

٩) ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ الأنعام / ١١٧ .

١٠) ﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ الأنعام / ١٣١ .

١١) ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ الأنعام / ١١٩ .

الرب فهم يضلون بأهوائهم بغير علم ، وهو من ينصر المظلومين والمستضعفين[١] ، هو المتصرف بالخلق[٢] ، هو العالم بكل شيء وما تخفي الانفس وما تعلن وبالماضي والحاضر والمستقبل[٣] ، هو المنجي[٤] ، ويبسط الرزق[٥] ، وصاحب العطاء أحاط بالناس [٦] ، فهو من يبعث المقام المحمود[٧] ، وتعرض الناس عليه[٨] ،فهو الذي يرعى الخلق[٩] ، وكل شيء هين على الرب [١٠]، والحلف يكون بالرب [١١] ، وهو الذي

---

١) ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ الأعراف / ١٣٧ .

٢) ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ الأنفال / ١٢ .

٣) ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ يونس / ٦١ .

٤) ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ هود / ٦٦ .

٥) ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ الاسراء / ٣٠ .

٦) ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ الاسراء / ٦٠ .

٧) ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ الاسراء / ٧٩ .

٨) ﴿ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾ الكهف / ٤٨ .

٩) ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ الكهف / ٨٢ .

١٠) ﴿ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ مريم / ٢١ .

١١) ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ النساء / ٦٥ .

يهدي الى الصراط المستقيم[١] ، وصاحب الفضل على الناس[٢] ، والحفيظ على كل شيء[٣] ، وهو الذي أنشأ[٤] ، واليه المنتهى[٥] ، فالعرش للرب[٦] ، ويعلم بشؤون الحياة وما يعمل الفرد ويقدر الليل والنهار[٧] ، وله جنود[٨] ، واليه المستقر[٩] والمساق[١٠] ، وبطش الرب شديد[١١] ، والعطاء منه[١٢] ، والنحر يجب ان يكون له[١٣] ، لديه علم الساعة[١٤] ، فهو لا يضل ولا ينسى[١] ،هو الذي ينسف الجبال[٢]

---

١) ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ الحج / ٥٤ .

٢) ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ النمل / ٧٣ .

٣) ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ سبأ / ٢١ .

٤) ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ النجم / ٣٢ .

٥) ﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾ النجم / ٤٢ .

٦) ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ الحاقة / ١٧ .

٧) ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ المزمل / ٢٠ .

٨) ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾ الحاقة / ٣١ .

٩) ﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾ القيامة / ١٢ .

١٠) ﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ القيامة / ٣٠ .

١١) ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ البروج / ١٢ .

١٢) ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ الضحى / ٥ .

١٣) ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ الكوثر / ٢ .

١٤) ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الأعراف / ١٨٧ .

، ويهب الحكم ويجعل المرسلين[٣] ، فالابتلاء والتكريم منه[٤] ، والرجوع في الامور المختلف فيها يكون الى الرب[٥] ،فبأي الآء ربكما تكذبان .

فهذا بعض ما إرتبط بمقام الربوبية ولم نجد موردا في الكتاب العزيز يربط هذه الموارد أو غيرها مما لم نذكرها بمقام الملوكية أو مقام الالوهية .

أ. الأسماء الحسنى والصفات العلا المرتبطة بهذا المقام :

هناك من الأسماء الحسنى والصفات المباركة التي ارتبطت بهذا المقام وتمت الاشارة اليها مباشرة في آيات الكتاب العزيز سوى غيرها ممن يمكن استنباطها من الآيات ولم يتم ذكرها مع المقامات الأخرى منها : الرحيم[٦] ، والعزيز الغفار[٧] ، الوهاب[٨] ،الحميد[٩] ، التواب[١٠] ، الأعلى[١١]، الرؤوف[١٢] ، العلي الكبير[١] ،

---

١) ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ طه / ٥٢ .

٢) ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾ طه / ١٠٥ .

٣) ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ الشعراء / ٢١ .

٤) ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ الفجر / ١٥ .

٥) ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ الشورى / ١٠ .

٦) ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ إبراهيم / ٣٦ .

٧) ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ ص / ٦٦ .

٨) ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ص / ٣٥ .

٩) ﴿ الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ ابراهيم / ١ .

١٠) ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ البقرة / ٣٧ .

١١) ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ الليل / ٢٠ .

١٢) ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ النحل / ٧ .

القدير[2] ، السميع[3] ، الحكيم[4] ، القوي[5] ، الفتاح[6] ، الخلاق[7] ، الخبير البصير[8] ، الرزاق[9] ، الهادي[10] ، الحفيظ[11] ، الوهاب[12] ، الشهيد[13] ، ذو الجلال والاكرام[14] ، العظيم[15] ، الكريم[16] ، المحيي والمميت[17] ، الودود[18] ،

---

1) ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ سبأ / 23 .

2) ﴿ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ التحريم / 8 .

3) ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ البقرة / 127 .

4) ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ العنكبوت / 26 .

5) ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ الحج / 40 .

6) ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ سبأ / 26 .

7) ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ الحجر / 86 .

8) ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ الاسراء / 17 .

9) ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ المؤمنون / 72 .

10) ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ الفرقان / 31 .

11) ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ سبأ / 6 .

12) ﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾ ص / 9 .

13) ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فصلت / 53 .

14) ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ الرحمن / 27 .

15) ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ الواقعة / 74 .

16) ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ الانفطار / 6 .

17) ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ البقرة / 258 .

18) ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ هود / 90 .

اللطيف[١] ، الغني[٢] ، القريب[٣] ، المستعان[٤] ، المجيب[٥] ، وكلها جاءت مع مقام الربوبية .

ب. خلاصة المقام :

بعد معرفتنا لكل هذا عن مقام الربوبية ، والموارد الواردة في الكتاب العزيز التي دلت على التصرف المطلق لله تعالى فخلق كل شيء كان من مقام الربوبية وخلق الناس والجن والملائكة والارض والسموات والاكوان والنعم التي أنعمت على المخلوقات وارسال الرسل والهداية والانذار والقدرة على كل شيء والعلم بكل شيء بما انه خالق كل شيء ، وجميع الأوامر والنواهي كانت منه تعالى ، والمحيا والممات بيده ، لذلك استحق هذا المقام الحمد والشكر ، وكان له ان يثيب على إستجابة الخلق ، وان يعاقب على عدمها فكانت الجنة برحمته والرجوع اليه للحساب والعذاب للمجرمين والظالمين والكافرين والمشركين به ، وهذه القدرة المطلقة أوجبت الخوف والرهبة لمقامه المبارك وبما انه خالق ومربّ كانت له الرحمة والمغفرة والتوبة على عباده وكل هذه الفيوضات إستحق بها التسبيح والتهليل والتوكل عليه في الامور التي لا يجب الا له وحده فهذا بقدرته التي لا يمتلكها مخلوق من مخلوقاته وقد دلت الآيات المباركة ان مناجات الرسل والعباد مع الله سبحانه

---

١) ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ يوسف / ١٠٠ .
٢) ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ النمل / ٤٠ .
٣) ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ سبأ / ٥٠ .
٤) ﴿ قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ الانبياء / ١١٢ .
٥) ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ هود /٦١.

تكون في هذا المقام وحتى الكافرين مثل إبليس فأمر الله تعالى عباده بأن يكون دعاؤهم وتوسلهم بهذا المقام المتصرف بأمور الخلق .

٢. مقام الملوكية :

الملك في اللغة قال الرازي : (والمَلِكُ مَقْصُور من مَالِك أَو مَلِيك والجَمْع المُلُوك والأَملاك والاسم المُلْك والموضع مَمْلَكَةٌ. وتَمَلَّكه مَلَكَه قَهْراً)[١] وقال الفراهيدي : (ملك: الملك لله المالك المليك . والملكوت : ملك الله، وملكوت الله: سلطانه والملك : ما ملكت اليد من مال وخول . والمملكة : سلطان الملك في رعيته ، يقال: طالت مملكته ، وعظم ملكه وكبر. والمملوك : العبد أقر بالملوكة ، والعبد أقر بالعبودة . وأصوبه أن يقال : أقر بالملكة وبالملك .) [٢] وقال ابن فارس (ملك الميم واللام والكاف أصلٌ صحيح يدلُّ على قوّةٍ في الشيء ... مَلَكَ الإنسانُ الشَّيء يملِكُه مَلْكاً . والاسم المِلْك ؛ لأنَّ يدَه فيه قويّةٌ صحيحة . فالمِلْك : ما مُلِك من مالٍ . والمملوك : العبْد . وفلانٌ حَسن المَلَكة، أي حسن الصَّنيع إلى مماليكه . وعبدُ مَمْلكةٍ : سُبِيَ ولم يُملَك أبواه . وما لفلانٍ مولى مَلاكةٍ دونَ الله تعالى ، أي لم يملكْه إلاّ هو).[٣]

وقد وردت مفردة ملك بعدة تصريفات في آيات الكتاب المبارك (أَمْلِكُ[٤] ، تَمْلِكُ[٥] ، تَمْلِكُهُمْ[٦] ، تَمْلِكُونَ[١] ، يَمْلِكُ[٢] ، يَمْلِكُونَ[٣] ، بِمَلْكِنَا[٤] ، مُلْك[٥]

---

١) مختار الصحاح : ٢٦٤ .
٢) كتاب العين : ١٦٥/٤ .
٣) معجم مقاييس اللغة : ٣٥١/٥ .
٤) ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ المائدة / ٢٥ .
٥) ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ المائدة / ٤١
٦) ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ النمل / ٢٣ .

،مُلْكًا[٦]،مُلْكه[٧]) ولا نقول ان كل التصريفات أريد بها مقام الملوكية للذات المقدسة فبعضها أريد بها من آتاهم الله الملك وغيرها من المدلولات حسب ورودها في الآيات المباركة .

ان الولاية والتصرف والهيمنة على إدارة شؤون الحياة الدنيا والآخرة والنعم والهداية والتنزيل وإرسال الرسل مبشرين ومنذرين ومبلغين للرسالات السماوية ، والقدرة والعلم والخلق والتصوير والجعل ، وجميع ما أفاض به الرب على مخلوقاته بعد أن أوجدها ، وقدرته على إماتتها وفنائها وحسابها وثوابها ومعاقبتها ما أوجب على الخلق العبادة والسجود والصلاة والتسليم والايمان والانقياد التام للرب دلت على هيمنته سبحانه وسلطانه وتملكه للمخلوقات قهراً . وبما انه كذلك فهو مالك كل شيء وإستحق بها دون غيره مقام الملوكية المطلقة لأن ما سواه لا يملكون شيئاً[٨] وهم مملوكون لله تعالى ولا يملكون من رزقهم شيئاً[٩] فهو من يؤتي

---

١) ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾ الاسراء / ١٠٠ .

٢) ﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ المائدة / ١٧ .

٣) ﴿ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ الرعد / ١٦ .

٤) ﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾ طه / ٨٧ .

٥) ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ البقرة / ١٠٢ .

٦) ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ص / ٣٥ .

٧) ﴿ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة / ٢٤٧ .

٨) ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ النساء / ٥٣ و ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ المائدة / ٧٦ .

٩) ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ النحل / ٧٣ .

الملك[1] ويهبه[2] وقد صرح الكتاب العزيز ان الرب مالك كل شيء منها يوم الدين[3] ، والله مالك السموات والأرض[4] وما فيهن وهو على كل شيء قدير ، وهو الذي يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر[5] ، والله له القدرة على أن يخلق ما يشاء فله ملك كل شيء[6] وبما ان الله خلق البشر وله ان يعذبهم بذنوبهم ويغفر لمن يشاء وإليه المصير فله ملك السموات والارض[7] وخلق السموات والارض

---

١) ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ يوسف / ١٠١ ، وقوله تعالى ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ البقرة / ٢٥١ و ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ البقرة / ٢٥٨ و﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ آل عمران / ٢٦

٢) ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ص / ٣٥ .

٣) ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ الفاتحة /٤.

٤) ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ آل عمران/١٨٩ و ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ المائدة /١٢٠

٥) ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ فاطر/١٣.

٦) ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ المائدة /١٧ .

٧) ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ المائدة /١٨ و ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ المائدة /٤٠ و ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ المائدة /١٨

بقوله كن فيكون وقوله الحق فله الملك يوم ينفخ بالصور[1] وهو الذي يحيي ويميت ولا ولي ولا نصير من دونه فله ملك السموات والارض[2] فالله هو الذي يرزق من السماء والارض ويملك السمع والابصار ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويدبر الامر[3] وليس له شريك في الملك[4] وله ملك يوم الحساب فيحكم بين الناس[5] فالله هو الملك الحق[6] وهذا مقام الملوكية الذي جاء من مقام الربوبية .

الأسماء الحسنى والصفات العلا المرتبطة بهذا المقام :

من الأسماء الحسنى والصفات العلا التي وردت مع تصريفات هذا المقام في الكتاب المبارك وبصورة مباشرة دون الحاجة الى الاستنباط : واسع عليم[7] ، القدير[8] ، السميع[1] ، الحكيم الخبير[2] ، الولي والنصير[3] ، الكريم[4]

١) ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ الأنعام /٧٣ .

٢) ﴿ إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ التوبة /١١٦ .

٣) ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ يونس /٣١ .

٤) ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ الإسراء /١١١ و ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ الفرقان /٢

٥) ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ الحج /٥٦ .

٦) ﴿ فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ طه /١١٤ و ﴿ فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ المؤمنون /١١٦

٧) ﴿ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة /٢٤٧ .

٨) ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ آل عمران /١٨٩ .

الواحد القهار[٦] ، الغفور الرحيم[٧] ، الشهيد[٨] ، ونجد ان اسمه تبارك وتعالى الرحمن ورد في مقام الربوبية ومقام الملوكية لأنه رحمن من كونه رباً ورحمن من كونه ملكاً وسلطان وكذا فيما يخص الغفور الرحيم والصفات الأخرى التي تكررت في المقامين فكون الملوكية جاءت من مقام الربوبية كذلك الصفات التي إتصف بها مقام الملوكية جاءت من كونه رباً غفوراً رحيماً عليماً قديراً وانها صفات وأسماء ذات مقدسة واحدة لها مقامات مقدسة في حين كونه قهاراً وكريماً فهي من صفات الملوكية لأن القهر يأتي من السلطان وكذلك الكرم يأتي من تملك كل شيء فيكرم بما يجود الملك .

إذن فالملك هو السلطان المهيمن القاهر والمالك وما يقع في مملكته فهو من مواليه وعبيده والله مالك كل شيء فكل المخلوقات من مواليه وعبيده .

---

١) ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ المائدة /٧٦ .

٢) ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ الأنعام /٧٣ .

٣) ﴿ إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ التوبة /١١٦ .

٤) ﴿ فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ المؤمنون /١١٦ .

٥) ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾ الفرقان /٢٦ .

٦) ﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ غافر /١٦ .

٧) ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ الفتح /١٤ .

٨) ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ البروج /٩ .

٣. مقام الألوهية :

الاله في اللغة يقول الرازي (أَلَه يَأْلَهُ بالفتح فيهما إِلاَهَةً أي عَبَد . ومنه قرأ ابن عباس رضي الله عنهما «يَذَرَكَ وإِلاَهَتَكَ» بكسر الهمزة أي وعبادَتَك وكان يقول إن فرعون كان يُعْبَد . ومنه قولنا اللهُ وأصله إلاَه على فِعَال بمعنى مفعول لأنه مَألُوه أي مَعْبُود كقولنا إمام بمعنى مُؤْتَمٌّ به فلما أُدخِلت عليه الألف واللام حُذِفت الهمزة تخفيفاً لكثرته في الكلام ولو كانتا عوضاً منها لَمَا اجْتَمَعَتَا مع المُعَوَّض في قولهم الإِلَه وقُطِعَت الهمزةُ في النِّداء لِلزُومها تفخيماً لهذا الاسم.)[١] وقال ابن فارس (أله - الهمزة واللام والهاء أصل واحد ، وهو التعبُّد . فالإله الله تعالى، وسمّيَ بذلك لأنّه معبود . ويقال تألّه الرجُل ، إذا تعبّد.)[٢] .

وإذا تتبعنا تصريفات مفردة اله في الكتاب العزيز نجد انها وردت بعدة تصريفات وحسب إستعمالها في الآيات المباركة منها (إله[٣] ، إلها[٤] ، إلهك[٥] ، إلهكم[٦] ، إلهنا[٧] ، إلهه[٨] ، إلهين[٩] ، آلهة[١٠] ، آلهتك[١] ، آلهتكم[٢]) .

---

١) مختار الصحاح : ٩ .

٢) معجم مقاييس اللغة : ١/ ١٢٧ .

٣) ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ البقرة /١٦٣ .

٤) ﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ الأعراف /١٤٠ .

٥) ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ البقرة /١٣٣ .

٦) ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ البقرة /١٦٣ .

٧) ﴿ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ العنكبوت /٤٦ .

٨) ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ الفرقان /٤٣ .

٩) ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ النحل /٥١ .

١٠) ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ الأنعام /٧٤ .

وقد تبين لنا في مبحث مقام الربوبية ان الله تعالى هو خالق كل شيء ولأنه كذلك فقد إستحق العبادة دون غيره لأن غيره لا يخلق شيئا لذلك كان ﷻعلى كل شيء وكيل[٣] فالله ﷻ ربنا ورب السموات والأرض فلا إله الا هو[٤] وهو الذي له ملك السموات والأرض يحيي ويميت فكان له مقام الملوكية فاستحق العبادة[٥] ولأنه عالم بكل شيء من كونه ربا إستحق العبادة والتوحيد في عبوديته[٦] ولأنه لا خالق الا هو فهو الذي يرزق من السماء والأرض بوصفه ربا فاستحق العبادة ولا إله الا هو[٧] وكل شيء هالك الا هو[٨] وكونه خلقنا من نفس واحدة وجعل منها زوجها وله الملك فلا معبود سواه[٩] والفيوضات الربانية على مخلوقاته لا تحصى ولا تعد[١]

---

١) ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ الأعراف /١٢٧ .

٢) ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ الأنبياء /٦٨ .

٣) ﴿ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ الأنعام /١٠٢ و ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ النمل /٦٠

٤) ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾ الكهف /١٤ .

٥) ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ الأعراف /١٥٨ .

٦) ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ طه /٩٨ .

٧) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ فاطر /٣ .

٨) ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ القصص /٨٨ .

٩) ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ الزمر /٦ .

وقد أوردنا نتفا منها في ما مر لذلك إحتج الرب على الناس في موارد كثيرة من الكتاب المبارك التي تبيّن قدرته ﷻ وإستحق بها العبادة ليكون إلهاً واحداً[٢] ولأنه تعالى فضل الناس فلا يُبغى غيره إلهاً[٣] ولكل ذلك كان إلها لا يشرك بعبادته أحد أو شيء لمن كان يرجوا لقاء ربه[٤] وان اتخاذ أرباب من دون الله هو شرك فكان الأمر بعبادة إله واحد إستحق العبودية[٥] فجل الآيات المباركة الواردة بتصريفات هذه المفردة ندبت الى توحيد الألوهية وأكدت عليها وبينتها[٦] وكثير منها حذر من العذاب لأن

---

١) ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ إبراهيم /٣٤ .

٢) ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ الأنعام /٤٦ ، و ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ الأعراف /٨٥ .

٣) ﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ الأعراف /١٤٠ .

٤) ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ الكهف /١١٠ .

٥) ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ التوبة /٣١ .

٦) ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ البقرة /١٦٣ ، و ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ آل عمران /٢ ، و ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ آل عمران /٦٢ ، و ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ المائدة /٧٣ ، و ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا ﴾ النساء /٨٧ ، و ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ هود /١٤ ، و ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴾ الاسراء /٢٢ .

الرب هو القادر عليه دون غيره[1] لأن الآلهة الأخرى لا تملك نفعاً ولا ضراً لا لنفسها ولا لمن يعبدها فهم لا يخلقون شيئاً وهم مخلوقون ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشورا[2] ولا يستطعون نصر أنفسهم[3] .

ان تعدد الآلهة يفسد الكون بجميعه كما صوره الكتاب العزيز حيث يذهب كل إله بما خلق ليستقل به ، ولتفرق الخلق ولكانت هناك صراعات كونية وبشرية خارج تصور العقول البشرية ولعلا كل إله على الآخر[4] ولو كان معه آلهة أخرى ، فان العرش والسلطان لأحدهم فتبغي هذه الآلهة الى صاحب العرش منهم السبل للتقرب اليه على حساب الخلق ، ولتنازعت للوصول الى العرش ، وكذا المخلوقات تبغي السبل هي أيضا الى صاحب العرش فتنقم منها آلهتها وفي كلا الحالين صراعات تفسد الكون وتفرق الخلق بكونه[5] ، وبالعودة الى تعريف مفردة إله وهي المعبود فبكل ما أنعم الرب به على خلقه وكونه مالكهم من كونه خالقهم فقد كان له وحده مقام المعبود دون غيره فأصبح هو الاله لا إله إلا هو.

---

١) ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴾ الإسراء /٣٩ و ﴿ وَقَالَ اللهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ النحل /٥١ و ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ المؤمنون /١١٧.

٢) ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ الفرقان /٣.

٣) ﴿ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ الانبياء /٤٣.

٤) ﴿ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ المؤمنون /٩١.

٥) ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ الاسراء /٤٢.

الأسماء الحسنى والصفات العلا المرتبطة بالمقام :

من الأسماء الحسنى والصفات العلا التي وردت مع مفردة إله وتصريفاتها ظاهرياً دون الحاجة الى إستنباط (الحي القيوم[1] ، العزيز الحكيم[2] ، علاّم الغيوب[3] ، الواحد القهار[4] ، العليم[5] ، الرحمن الرحيم[6] ، الملك القدوس السلام المهيمن العزيز الجبار المتكبر[7] ، العلي العظيم[8])

٤. الملاحظ من ورود الأسماء الحسنى والصفات العلا مع المقامات :

ان الأسماء والصفات التي تناولناها في المباحث السابقة هي الظاهرة في نهاية الآيات المباركة أو ما أشير إليها بصورة ظاهرة وواضحة والتي جاءت مع مفردات كل مقام على حدة في الآية مثل الحكيم العليم في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ

---

١) ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ آل عمران /٢.

٢) ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ آل عمران /٦.

٣) ﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ المائدة /١١٦.

٤) ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ ص /٦٥.

٥) ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ الزخرف /٨٤.

٦) ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ البقرة /١٦٣.

٧) ﴿ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الحشر /٢٣.

٨) ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ البقرة /٢٥٥.

إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾[1] فقد وردت في الآية مع مفردة إله ، وهذه الاسماء والصفات مصنفة الى ثلاثة أصناف :

أ. ما قد اشتركا مع المقامات الثلاثة للذات المقدسة مثل (الرحمن والرحيم) فهي واردة في كل المقامات الربوبية والملوكية والألوهية لأنها ذات مقدسة واحدة ولها نفس الاسماء الحسنى وهو التوحيد للذات المقدسة فالرب والملك والاله واحد وهو الله تعالى ، مما يدل على ان فيوضات هذين الاسمين يجري بكل المقامات المقدسة .

ب. هناك من الأسماء والصفات ما قد إشترك بين مقامين وهي أيضاً على ثلاثة أصناف الأول ما وردت مع مقام الربوبية ومقام الألوهية مثلا (العزيز والحكيم والعلي والعظيم والكريم) والثاني ما وردت مشتركة بين مقام الملوكية ومقام الألوهية مثل (الملك والعليم والواحد والقهار) والثالث ما وردت مشتركة بين مقام الربوبية ومقام الملوكية مثل (القديروالسميع والحكيم والكريم والغفاروالشهيد) . وهذا يعني ان فيوضات هذه الأسماء والصفات يجري في كلا المقامين التي اشتركت فيهما .

ت. قسم منها إرتبط بمقام دون غيره من المقامات وهي الأخرى على ثلاثة أصناف الأول خاص بمقام الربوبية مثل (الوهاب والحميد والتواب والأعلى والودود والكبير والقوي والفتاح والخلاق والبصير والرزاق والهادي والحفيظ والوهاب وذو الجلال والاكرام والمحيي والمميت واللطيف والغني والمستعان والقريب والمجيب) لأنها من أسماء وصفات الربوبية وفيوضاتها على الخلق من كونه تعالى رب كل شيء ، الثاني خاص بمقام الملوكية مثل (الولي والنصير) لأنها من أسماء وصفات الملوكية وفيوضاتها على الخلق من كونه مالك كل شيء والثالث خاص بمقام الألوهية مثل

---

١) الزخرف /٨٤.

(الحي والقيوم وعلام الغيوب والقدوس والسلام والمهيمن والعزيزوالجباروالمتكبر) لأنها من أسماء وصفات المعبود الذي استحق الالوهية .

٥. الربط بين المقامات الثلاث :

ان الله ﷻ ربط بين المقامات في كتابه العزيزبقوله تعالى ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾[1] فالشفاعة عنده تكون بإذنه لأن الحساب والثواب والعقاب من مقام الربوبية وكذلك العلم بكل شيء ، وبما انه ملك فقد وسع سلطانه وهيمنته السماوات والأرض لبيان سعة ملكه تعالى بما يتصوره عقل المخاطبين ولأنه رب وملك فلا إله الا هو فعندما أورد في بداية الآية المباركة ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ليبين ان ذلك من كونه رب كل شيء وكل شيء ملكه تعالى فجاء ما يدل على الربوبية بمفردة (يشفع) يتبع توحيد الألوهية ثم تبعها بالملك بقوله ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ .

٦. سورة الناس :

في قوله تعالى ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾[2] يتوضح لنا الترتيب الوارد في السورة المباركة لهذه المقامات والسؤال الذي يطرح حول هذا الترتيب الوارد في السورة هل هو ترتيب مقصود ؟ ولماذا لم يقدم إله الناس مثلا في الآية الأولى أو ملك الناس ؟ وإنما ورد

---

١) البقرة /٢٥٥.

٢) الناس .

هكذا في السورة ؟ والجواب هو : انه تعالى قال في الآية الأولى (رب الناس) وبما انه ربهم فخلقهم وخلق كل شيء والمتصرف بهم وبشؤونهم ، وهو الذي يحيي ويميت ويدفع الشرور عنهم وليس لغير الله تعالى التصرف بشؤون الناس وبهذا فقد ملكهم فأصبح مالكاً لكل شيء والناس شيء من ألاشياء ولا أحد غيره يملكهم ويتصرف بشؤونهم غير مالكهم فكانت الآية الثانية (ملك الناس) وبما انه رب مطلق وملك مطلق إستحق العبادة المطلقة لأنه قيوم على الناس مهيمن على كل شيء فكل شيء خاضع لسلطانه تعالى فأردفها بالآية الثالثة (إله الناس) فكان هذا الترتيب مقصوداً وموضحاً ومبيناً وكانت هذه الاستعاذة الواردة في السورة المباركة قوية وشديدة ومنيعة وحصينة جداً وبكافة المقامات المطلقة المباركة لتمنع الشرور لأن الناس انما تلجأ بالاستعانة الى مربها وخالقها والمتصرف بشؤونها أو الى من يملك السلطان والهيمنة والحكم عليها أو الى معبودها ولا معبود وإله الا الله تعالى وكل هذه المقامات كانت له تعالى .

نظرة في أقوال علماء التفسير :

إذا استقرأنا آراء علماء التفسير نجد ان منهم من تنبه الى هذا الترتيب وموجباته بشيء من البيان الذي أوردناه ومنهم من لم يتطرق اليه أصلا وسوف نرى بعض هذه الآراء :

أ. الطبري (ت٣١٠هـ) يقول (يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ : قل يا محمد أستجير« بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ » وهو ملك جميع الخلق: إنسهم وجنهم، وغير ذلك، إعلاما منه بذلك من كان يعظم الناس تعظيم المؤمنين ربهم أنه ملك من يعظمه، وأن ذلك في مُلكه وسلطانه، تجري عليه قُدرته، وأنه أولى بالتعظيم، وأحقّ بالتعبد له ممن يعظمه، ويُتعبد

له، من غيره من الناس . وقوله:(إِلَهِ النَّاسِ) يقول: معبود الناس، الذي له العبادة دون كل شيء سواه.)[1] .

ب. السمرقندي (ت٣٩٣ﻫ) يقول(قوله تعالى : « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الناس » يقول أستعيذ بالله وخالق الناس ويقال : أستعيذ بالله الذي هو رازق الخلق ، ثم قال عزوجل : « مَلِكِ الناس » يعني : خالق الناس ومالكهم وله نفاذ الأمروالملك فيهم ، ثم قال عزوجل : « إله الناس » يعني : خالق الناس ومعطيهم ومانعهم) [2] .

ت. الطوسي (ت٤٦٠ﻫ) يقول («رب الناس» هو الذي خلقهم ودبرهم على حسب ما اقتضته الحكمة وقوله «ملك الناس» إنما خص بأنه ملك الناس مع أنه ملك الخلق أجمعين لبيان أن مدبر جميع الناس قادر أن يعيذهم من شر ما استعاذوا منه مع أنه أحق بالتعظيم من ملوك الناس. والفرق بين «ملك» و«مالك» حتى جازا جميعا في فاتحة الكتاب ولم يجز - ههنا - إلا ملك، لان صفة ملك تدل على تدبير من يشعر بالتدبير، وليس كذلك مالك، لانه يجوز أن يقال : مالك الثوب ، ولا يجوز ملك الثوب، ويجوز أن يقال : ملك الروم ، ولا يجوز مالك الروم ، فجرت - في فاتحة الكتاب - على معنى الملك في يوم الجزاء ، ومالك الجزاء ، وجرت في سورة الناس على «ملك» تدبير من يعقل التدبير، فكأن هذا أحسن وأولى . وقوله «إله الناس» معناه أنه الذي يجب على الناس أن يعبدوه ، لانه الذي تحق له العبادة دون غيره)[3] .

ث. الزمخشري (ت٥٣٨ﻫ) يقول (فإن قلت : لم قيل « بِرَبِّ الناس » مضافاً إليهم خاصة ؟ قلت : لأنّ الاستعاذة وقعت من شرّ الموسوس في صدور

---

١) تفسير الطبري : ٧/ ٥٨٧ .

٢) تفسير السمرقندي : ٥٢٨/٣ .

٣) التبيان في تفسير القرآن : ٤٣٥/١٠ .

الناس ، فكأنه قيل : أعوذ من شرّ الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك عليهم أمورهم ، وهو إلههم ومعبودهم ، كما يستغيث بعض الموالي إذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي أمرهم . فإن قلت : « مَلِكِ الناس إله الناس » ما هما من رب الناس؟ قلت : هما عطف بيان ، كقولك : سيرة أبي حفص عمر الفاروق . بين بملك الناس ، ثم زيد بياناً بإله الناس ، لأنه قد يقال لغيره : رب الناس ، كقوله : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أَرْبَاباً مّن دُونِ الله » [التوبة : ٣١] وقد يقال : ملك الناس . وأمّا « إله الناس » فخاص لا شركة فيه ، فجعل غاية للبيان .)[١] .

ج. الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) يقول (« أعوذ برب الناس » أي خالقهم ومدبرهم ومنشئهم « ملك الناس » أي سيدهم والقادر عليهم ولم يجز هنا إلا ملك وجاز في فاتحة الكتاب ملك ومالك وذلك لأن صفة ملك تدل على تدبير من يشعر بالتدبير وليس كذلك مالك وذلك لأنه يجوز أن يقال مالك الثوب ولا يجوز ملك الثوب فجرت اللفظة في فاتحة الكتاب على معنى الملك في يوم الجزاء وجرت في هذه السورة على ملك تدبير من يعقل التدبير فكان لفظ ملك أولى هنا وأحسن ومعناه ملك الناس كلهم وإليه مفزعهم في الحوائج « إله الناس » معناه الذي يجب على الناس أن يعبدوه لأنه الذي تحق له العبادة دون غيره وإنما خص سبحانه الناس وإن كان سبحانه ربا لجميع الخلائق لأن في الناس عظماء فأخبر بأنه ربهم وإن عظموا ولأنه سبحانه أمر بالاستعاذة من شرهم فأخبر بذكرهم أنه الذي يعيذه منهم وفي الناس ملوك فذكر أنه ملكهم وفي الناس من يعبد غيره فذكر أنه إلههم ومعبودهم وأنه هو المستحق للعبادة دون غيره)[٢] .

١) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ١٢٣٠.
٢) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣٨١/١٠ .

ح. الرازي (ت ٦٠٦هـ) يقول (وأيضاً بدأ بذكر الرب وهو اسم لمن قام بتدبيره وإصلاحه ، وهو من أوائل نعمه إلى أن رباه وأعطاه العقل فحينئذ عرف بالدليل أنه عبد مملوك وهو ملكه ، فثنى بذكر الملك ، ثم لما علم أن العبادة لازمة له واجبة عليه ، وعرف أن معبوده مستحق لتلك العبادة عرف أنه إله ، فلهذا ختم به ، وأيضاً أول ما يعرف العبد من ربه كونه مطيعاً لما عنده من النعم الظاهرة والباطنة ، وهذا هو الرب ، ثم لا يزال يتنقل من معرفة هذه الصفات إلى معرفة جلالته واستغنائه عن الخلق ، فحينئذ يحصل العلم بكونه ملكاً ، لأن الملك هو الذي يفتقر إليه غيره ويكون هو غنياً عن غيره ، ثم إذا عرفه العبد كذلك عرف أنه في الجلالة والكبرياء فوق وصف الواصفين وأنه هو الذي ولهت العقول في عزته وعظمته ، فحينئذ يعرفه إلهاً .)[1] .

خ. البيضاوي (ت٦٨٥هـ) يقول (« بِرَبّ الناس » لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الإنسان وغيره والاستعاذة في هذه السورة من الأضرار التي تعرض للنفوس البشرية وتخصها ، عمم الإضافة ثمَّ وخصصها بالناس ها هنا فكأنه قيل : أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك أمورهم ويستحق عبادتهم . « مَلِكِ الناس إله الناس » عطفاً بيان له فإن الرب قد لا يكون ملكاً والملك قد لا يكون إلهاً ، وفي هذا النظم دلالة على أنه حقيق بالإعاذة قادراً عليها غير ممنوع عنها وإشعار على مراتب الناظر في المعارف فإنه يعلم أولاً بما عليه من النعم الظاهرة والباطنة أن له رباً ، ثم يتغلل في النظر حتى يتحقق أنه غني عن الكل وذات كل شيء له ومصارف أمره منه ، فهو الملك الحق ثم يستدل به على أنه المستحق للعبادة لا غير ، ويتدرج وجوه الاستعاذة كما

١) تفسير الفخر الرازي : ٣٢/ ١٩٦ .

يتدرج في الاستعاذة المعتادة ، تنزيلاً لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات إشعاراً بعظم الآفة المستعاذة منها ، وتكرير « الناس » لما في الإظهار من مزيد البيان ، والإشعار بشرف الإنسان .)[1] .

د. النسفي (ت٧١٠هـ) يقول (« قُلْ أَعُوذُ بِرَبّ النَاس » أي مربيهم ومصلحهم «مَلِكِ الناس » مالكهم ومدبر أمورهم « إله الناس » معبودهم .) [2] .

ذ. ابو حيان (ت٧٤٥هـ) في البحر كذلك حيث يقول (أضيف الرب إلى الناس ، لأن الاستعاذة من شر الموسوس في صدورهم ، استعاذوا بربهم مالكهم وإلهم ، كما يستعيذ العبد بمولاه إذا دهمه أمر . والظاهر أن « ملك الناس إله الناس » صفتان . وقال الزمخشري : هما عطفا بيان ، كقولك : سيرة أبي حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ، ثم زيد بياناً بإله الناس لأنه قد يقال لغيره : رب الناس ، كقوله : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » وقد يقال : ملك الناس ، وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه ، فجعل غاية للبيان ، انتهى .)[3] .

ر. ابن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ) يقول (الإضافة الأولى : إضافة الربوبية المتضمنة لخلقهم وتدبيرهم ، وتربيتهم وإصلاحهم ، وجلب مصالحهم ، وما يحتاجون إليه ، ودفع الشر عنهم ، وحفظهم مما يفسدهم . هذا معنى ربوبيته لهم . وذلك يتضمن قدرته التامة ، ورحمته الواسعة ، وإحسانه ، وعلمه بتفاصيل أحوالهم ، وإجابة دعواتهم ، وكشف كرباتهم . الإضافة الثانية : إضافة الملك : فهو ملكهم المتصرف فيهم . وهم : عبيده ومماليكه . وهو المتصرف لهم المدبر لهم كما يشاء ، النافذ

---

١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣٥٠/٥ .
٢) تفسير النسفي : ٦٩٩/٣ .
٣) تفسير البحر المحيط : ٥٣٥/٨ .

القدرة فيهم ، الذي له السلطان التام عليهم . فهو ملكهم الحق : الذي إليه مفزعهم عند الشدائد والنوائب ، وهو مستغاثهم ومعاذهم وملجأهم . فلا صلاح لهم ولا قيام إلا به وبتدبيره ، فليس لهم ملك غيره يهربون إليه إذا دهمهم العدو ، ويستصرخون به إذا نزل العدو بساحتهم . الإضافة الثالثة : إضافة الإلهية . فهو إلههم الحق ، ومعبودهم الذي لا إله إلا لهم سواه ولا معبود لهم غيره . فكما أنه وحده هو ربهم ومليكهم ، لم يشركه في ربوبيته ولا في ملكه أحد ، فكذلك هو وحده إلههم ومعبودهم ، فلا ينبغي أن يجعلوا معه شريكا في إلهيته ، كما لا شريك معه في ربوبيته وملكه .) [1] .

ز. الأيجي (ت٧٥٦هـ) يقول : (فكأنه قال : قل أعوذ بربي من شر موسوسي ﴿ملك الناس إله الناس ﴾عطفا بيان « لرب الناس » ، وهو من قبيل الترقي في صفات الكمال فان الملك أعلى من الرب لأن كل ملك رب ومالك ، ولا ينعكس كلياً ، ثم الإله الذي هو أعلى وخاص لله جعل غاية للبيان ﴿ من شر الوسواس ﴾ أي : الوسوسة ،) [2] .

س. وكذا ابن كثير (ت٧٧٤هـ) يقول (هذه ثلاث صفات من صفات الرب، عز وجل؛ الربوبية، والملك، والإلهية: فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له، مملوكة عبيد له، فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات) [3] .

ش. ابو السعود (ت٩٨٢هـ) يقول (« برب الناس » أَي مالك أُمورهم ومربيهم بإِفاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى « ملك الناس » عطف بيان جيء به لبيان أَن تربيته تعالى إِياهم ليست بطريق تربية سائر الملاك

١) بدائع التفسير ، الجامع لما فسره ابن القيم الجوزية :٣/ ٤٣٨ .
٢) جامع البيان في تفسير القرآن ، الإيجي :٤/ ٥٤٧ .
٣) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) : ٢٠٥٥ .

لما تحت أيديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى « إله الناس » فإنه لبيان أن ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير أمورهم وسياستهم والتولي لترتيب مبادئ حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى أمر المملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة . على الألوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهم إحياء وإماتة وإيجاداً وإعداماً وتخصيص الإضافة بالناس مع انتظام جميع العاملين في سلك ربوبيته تعالى وملكوتيته وألوهيته للإرشاد إلى منهج الاستعاذة المرضية عنده تعالى الحقيقة بالإعاذة فإن توسل العائذ بربه وانتسابه إليه تعالى بالمربوبية والمملوكية والعبودية في ضمن جنس هو فرد من أفراده من دواعي مزيد الرحمة والرأفة وأمره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالإعاذة لا محالة ولأن المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز إلى إنجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان فمن جعل مدار تخصيص الإضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر في توفية المقام حقه وأما جعل المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف إليه لمزيد الكشف والتقرير.) [1] .

ص. وكذلك الماوردي (ت١٠٥٨هـ) حيث يقول (« قُلْ أعُوذُ بِربِّ النّاسِ » وإنما ذكر أنه رب الناس ، وإن كان ربّاً لجميع الخلق لأمرين : أحدهما : لأن الناس معظمون ، فأعلم بذكرهم أنه رب لهم وإن عظموا . الثاني : لأنه أمر بالاستعاذة من شرهم ، فأعلم بذكرهم أنه هو الذي يُعيذ منهم .

١) تفسير أبو السعود : ٥٩٥/٥ .

« مَلِكِ النّاسِ ۝ إِلَهِ النّاسِ » لأن في الناس ملوكاً ، فذكر أنه ملكهم ، وفي الناس من يعبد غيره فذكر أنه إلههم ومعبودهم .)[1] .

ض. حقي (ت ١١٢٧هـ) يقول (« قل اعوذ برب الناس » اي مالك امورهم ومربيهم بإفاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم قال القاشاني رب الناس هو الذات مع جميع الصفات لان الانسان هو الكون الجامع الحاصر لجميع مراتب الوجود فربه الذى اوجده وافاض عليه كماله هو الذات باعتبار جميع الاسماء الجمالية والجلالية تعوذ بوجهه بعد ما تعوذ بصفاته ولهذا تأخرت هذه الصورة عن المعوذة الاولى اذ فيها تعوذ في مقام الصفات باسمه الهادي فهداه الى ذاته ... « ملك الناس » عطف بيان جيء به لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية سائر الملائكة لما تحت ايديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الشامل والسلطان القاهر فما ذكروه فى ترجيح المالك على الملك من ان المالك مالك العبد وانه مطلق التصرف فيه بخلاف الملك فانه انما يملك بقهر وسياسة ومن بعض الوجوه فقياس لا يصح ولا يطرد الا في المخلوقين لا في الحق فانه من البين انه مطلق التصرف وانه يملك من جميع الوجوه فلا يقاس ملكية غيره عليه ولا تضاف النعوت والاسماء اليه الا من حيث اكمل مفهوماته ومن وجوه ترجيح الملك على المالك ... « اله الناس » هو لبيان ان ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير امور سياستهم والتولي لترتيب مبادى حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى امر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما وايضا ان ملك الناس اشارة الى حال الفناء في الله كما اشرنا

١) النكت والعيون تفسير الماوردي : ٣٧٨/٦ .

اليه واله الناس لبيان حال البقاء بالله لان الاله هو المعبود المطلق وذلك هو الذات مع جميع الصفات فلما فنى العبد في الله ظهر كونه ملكا ثم رده الله الى الوجود لمقام العبودية فتم استعاذته من شر الوسواس لان الوسوسة تقتضى محلا وجوديا ولا وجود في حال الفناء ولا صدر ولا وسوسة ولا موسوس .) [1] .

ط. الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) يقول (« ربّ الناس » : مالك أمرهم ، ومصلح أحوالهم ، وإنما قال « ربّ الناس » مع أنه ربّ جميع مخلوقاته للدلالة على شرفهم ، ولكون الاستعاذة وقعت من شرّ ما يوسوس في صدورهم . وقوله : « مَلِكِ الناس » عطف بيان جيء به لبيان أن ربيته سبحانه ليست كربية سائر الملاك لما تحت أيديهم من مماليكهم ، بل بطريق الملك الكامل ، والسلطان القاهر. « إله الناس » هو أيضاً عطف بيان كالذي قبله لبيان أن ربوبيته ، وملكه قد انضمّ إليهما المعبودية المؤسسة على الألوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي بالاتحاد والإعدام ، وأيضاً الربّ قد يكون ملكاً ، وقد لا يكون ملكاً ، كما يقال ربّ الدار ، وربّ المتاع ، ومنه قوله : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أَرْبَاباً مّن دُونِ الله » [التوبة : ٣١] فبين أنه ملك الناس . ثم الملك قد يكون إلها ، وقد لا يكون ، فبيّن أنه إله؛ لأن اسم الإله خاصّ به لا يشاركه فيه أحد ، وأيضاً بدأ باسم الربّ ، وهو اسم لمن قام بتدبيره ، وإصلاحه من أوائل عمره إلى أن صار عاقلاً كاملاً ، فحينئذ عرف بالدليل أنه عبد مملوك ، فذكر أنه ملك الناس . ثم لما علم أن العبادة لازمة له واجبة عليه ، وأنه عبد مخلوق ، وأن خالقه إله معبود بيّن سبحانه أنه إله الناس ، وكرّر لفظ

---

١) تفسير روح البيان : ١٠/ ٥٤٦ .

الناس في الثلاثة المواضع؛ لأن عطف البيان يحتاج إلى مزية الإظهار؛ ولأن التكريريقتضي مزيد شرف الناس .)[1] .

ظ. الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) يقول (« بِرَبّ الناس » أي مالك أمورهم ومربيهم بإفاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وأمال الناس هنا أبو عمرو والدوري عن الكسائي وكذا في كل موضع وقع فيه مجروراً . «مَلِكِ الناس » عطف بيان على ما اختاره الزمخشري جيء به لبيان أن تربيته تعالى إياهم ليست بطريق تربية سائر الملاك لما تحت أيديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهروكذا قوله تعالى : « إله الناس » فإنه لبيان أن ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير أمور سياستهم والتولي لترتيب مبادئ حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى أمر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الألوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهم إحياء وإماتة وإيجاداً وإعداماً وجوزت البدلية أيضاً وأنت تعلم أنه لا مانع منه عقلاً ثم ماهنا وإن لم يكن جامداً فهو في حكمه ولعل الجزالة دعت إلى اختياره وتخصيص الإضافة إلى الناس مع انتظام جميع العالم في سلك ربوبيته تعالى وملكوته وألوهيته على ما في الإرشاد للإرشاد إلى منهاج الاستعاذة الحقيقة بالإعاذة فإن توسل العائذ بربه وانتسابه إليه بالمربوبية والمملوكية والعبودية في ضمن جنس هو فرد من أفراده من دواعي مزيد الرحمة والرأفة وأمره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالإعاذة لا محالة ولأن المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز إلى

---

١) فتح القدير : ١٦٧١ .

انجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطبق به قوله تعالى : « إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سلطان »[1] .

ع. السعدي (ت١٣٧٦هـ) يقول (فينبغي له أن [يستعين] ويستعيذ ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم . وأن الخلق كلهم، داخلون تحت الربوبية والملك، فكل دابة هو آخذ بناصيتها . وبألوهيته التي خلقهم لأجلها، فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم، الذي يريد أن يقتطعهم عنها ويحول بينهم وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السعير،)[2] .

غ. ابن عاشور (ت١٣٩٤هـ) يقول (وقد رتبت أوصاف الله بالنسبة إلى الناس ترتيباً مدرَّجاً فإن الله خالقهم ، ثم هم غير خارجين عن حكمه إذا شاء أن يتصرف في شؤونهم ، ثم زيد بياناً بوصف إلهيته لهم ليتبين أن ربوبيته لهم وحاكميته فيهم ليست كربوبية بعضهم بعضاً وحاكمية بعضهم في بعض . وفي هذا الترتيب إشعار أيضاً بمراتب النظر في معرفة الله تعالى فإن الناظر يعلم بادئ ذي بدء بأن له رباً يسبب ما يشعُر به من وجود نفسه ، ونعمة تركيبه ، ثم يتغلغل في النظر فيَشعر بأن ربه هو الملِكُ الحقُّ الغني عن الخلق ، ثم يعلم أنه المستحق للعبادة فهو إله الناس كلهم .)[3] .

ف. الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ) يقول (قوله تعالى: "قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس" من طبع الإنسان إذا أقبل عليه شر يحذره ويخافه على نفسه وأحس من نفسه الضعف أن يلتجئ بمن يقوى على دفعه ويكفيه وقوعه والذي يراه صالحا للعوذ والاعتصام به أحد ثلاثة إما رب يلي أمره ويدبره ويربيه يرجع إليه في حوائجه عامة، ومما يحتاج إليه في

---

١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير جزء عم) : ٢٨٥/٣٠ .
٢) تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن : ٢٠٠٢ .
٣) تفسير التحرير والتنوير : ٣٠/ ٦٣٢ .

بقائه دفع ما يهدده من الشر، وهذا سبب تام في نفسه ، وإما ذو قوة وسلطان بالغة قدرته نافذ حكمه يجيره إذا استجاره فيدفع عنه الشر بسلطته كملك من الملوك ، وهذا أيضا سبب تام مستقل في نفسه . وهناك سبب ثالث وهو الإله المعبود فإن لازم معبودية الإله وخاصة إذا كان واحدا لا شريك له إخلاص العبد نفسه له فلا يدعو إلا إياه ولا يرجع في شيء من حوائجه إلا إليه فلا يريد إلا ما أراده ولا يعمل إلا ما يشاؤه . والله سبحانه رب الناس وملك الناس وإله الناس كما جمع الصفات الثلاث لنفسه في قوله: « ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون » : الزمر: ٦ وأشار تعالى إلى سببية ربوبيته وألوهيته بقوله : « رب المشرق و المغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا » : المزمل : ٩، وإلى سببية ملكه بقوله: « له ملك السماوات والأرض وإلى الله ترجع الأمور» : الحديد : ٥ فإن عاذ الإنسان من شر يهدده إلى رب فالله سبحانه هو الرب لا رب سواه وإن أراد بعوذه ملكا فالله سبحانه هو الملك الحق له الملك وله الحكم وإن أراد لذلك إلها فهو الإله لا إله غيره.)[١] .

ق. مكارم الشيرازي يقول (على المستعيذ الحقيقي أن يقرن قوله «ربّ النّاس» بالإعتراف بربوبية الله تعالى، وبالإنضواء تحت تربيته؛ وأن يقرن قوله «ملك النّاس» بالخضوع لمالكيته، وبالطاعة التامة لأوامره؛ وأن يقرن قوله: «إله النّاس» بالسير على طريق عبوديته، وتجنب عبادة غيره.)[٢] .

ك. ولم يتطرق القمي(ت٣٢٩هـ)[٣] الى شيء في تفسيره ، وكذا البغوي (ت٥١٦هـ)[١] ، وابن عطية (ت٥٤١هـ) إكتفى بالكلام عن الوسواس[٢] .

---

١) الميزان في تفسير القرآن : ٤٥٨/٢٠ .
٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٦٢٧/١٥ .
٣) تفسير القمي : ٢/ ٤٥٠ .

والثعالبي (ت٨٧٥هـ)[٣] والفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)[٤] والحويزي(ت١١١٢هـ)[٥] .

---

١) تفسير البغوي (معالم التنزيل) : ١٤٥٠ .
٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٢٠١٣ .
٣) تفسير الثعالبي : ٦٤٢/٥ .
٤) الأصفى في تفسير القرآن : ١٤٩٤/٢ .
٥) تفسير نور الثقلين :٥/ ٧٢٥ .

المبحث الثالث ـ الكفر والشرك:

كثيرا ما وردت هاتان المفردتان في الكتاب العزيز وبتصريفات عديدة لكل مفردة فتارة وردت مع مقام الربوبية وأخرى مع مقام الألوهية قال تعالى ﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴾[1] ففي هذه الآية المباركة وغيرها ذكر الكفر وكذلك الشرك مما يدل على ان للكل مفردة منهما إستعمالها الخاص فلو كان المراد بها نفس المعنى فقوله ﴿لِأَكْفُرَ بِاللهِ﴾ يكون كافي ولأصبح قوله ﴿وَأُشْرِكَ بِهِ﴾ زيادة لا طائل منها ، فالمراد هو ان الكفر يكون من خلال الشرك لذلك جاء العطف هنا ، فالكفر بكل تصريفاته غير الشرك بكل تصريفاته فعندما يقول الباري كافر أو يكفر أو كافرون ... الخ فانما يريد به المعنى المطابق والمقصود لهذه المفردات وكذلك عندما يذكر الشرك أو المشركون أو الذين أشركوا فأنما يريد بهم معنى مقصوداً لهذه المفردات فالمشركون غير الكافرين . فما معنى الكفر ؟ وما معنى الشرك ؟ وهل هناك فرق بينهما ؟ وما المراد بهما مع كل مقام من مقامات الذات المقدسة ؟ وهل إحداهما تنطوي على الأخرى ؟ كل هذه التساؤلات سيجري البحث فيها .

١. الشرك:

وردت مفردة الشرك بتصريفاتها في عدة موارد وبآيات كثيرة من الكتاب العزيز . والشرك في اللغة هو ان يكون الشيء بين إثنين لا ينفرد به أحدهما[2] ،

---

١) غافر / ٤٢ .

٢) معجم مقاييس اللغة : ٢٦٥/٣ .

والشرك بالله ﷻ إما ان يكون شركاً في الربوبية[١] أو شركاً بالملوكية[٢] أو شركاً بالألوهية[٣] وقد بين الكتاب العزيز المشركين بأنهم من يدعون من دون الله تعالى شركاء ويتبعون الظن[٤] فهم يعرفون الله تعالى ويجعلون له شركاء ليقربوهم الى الله زلفى[٥] أو ليشفعوا لهم عند الله فيما يدعون[٦] ولم يكن لديهم كتاب أو أرسل اليهم رسول كما هو الحال في قوم نبينا المصطفى ﷺ وما جاورهم من القرى وكثير من آيات القرآن قد أرادت بهم هؤلاء وأمثالهم فمثلا قوله تعالى ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا

---

١) ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ الأنعام /٧٨ وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ النحل /٥٤ وقوله تعالى ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ الكهف /٣٨ وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ الروم /٣٣ .

٢) ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يونس /٦٦ وقوله تعالى ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الحشر /٢٣ وقوله تعالى ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ سبأ /٢٢ .

٣) ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام /١٩ وقوله تعالى ﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ النمل /٦٣ وقوله تعالى ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الطور /٤٣ .

٤) ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يونس /٦٦ .

٥) ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ الزمر /٣ .

٦) ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يونس /١٨ .

﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[1] ، فكما هو واضح من الآية المباركة ان المشركين فئة ثانية من الذين كفروا غير الذين كفروا من أهل الكتاب ، وأن أهل الكتاب في زمن نزول الآية المباركة مثلا هم اليهود في المدينة المنورة ونصارى نجران والمشركون هم أهل مكة والقرى الأخرى غير قرى اليهود والنصارى الذين لم يؤمنوا وكما هو حال القرآن الكريم مستمر لكل الأزمان فأمثالهم في كل عصر ، وقد بينهم وفصلهم ووصفهم تعالى بأن منهم من هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا بقوله تعالى ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[2] ، وكذلك قوله تعالى ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾[3] ، فتبين ان الذين أوتوا الكتاب غير الذين أشركوا فهم إذن مشركو قريش وأمثالهم في كل عصر.

الا ان من أهل الكتاب أيضا من يشرك بالله ﷻ كما بينه الكتاب العزيز في آيات مباركة عدة منها قوله تعالى﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾[4] وقوله تعالى ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا

---

١) البقرة /١٠٥ .

٢) المائدة /٨٢ .

٣) آل عمران /١٨٦ .

٤) المائدة /٧٢ .

﴿وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1] اذن هو لفظ يعم كل من يتخذ من دون الله شركاء سواء كانوا أهل كتاب مثل اليهود والنصارى والمسلمون أو لم يكن لديهم كتاب ممن يعرفون بوجود الله ﷻ أو سمعوا به فكل من يدعي مع الله ﷻ شيئاً فهو مشرك . فالشرك إذن بالضد من الإسلام والمراد بالإسلام هنا ليست الشريعة المحمدية بل التسليم المطلق والانقياد لله تعالى وحده وهذا ما أراده الباري ﷻ[2] في الكتاب العزيز حيث بين ان نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام كان حنيفاً مسلماً[3] ولم تكن الرسالة المحمدية المباركة قد شرعت في زمنه ، أما الحنيف فهو (كل من أسلم في أمر الله فلم يلتو في شيء منه)[4] أو بتعريف لغوي آخر هو (المائل الى الدين المستقيم)[5] وبما انه عليه السلام قد أسلم في أمر الله تعالى ومال الى الدين المستقيم فهو إذن ضد ان يكون مشركاً فعبر عنه الكتاب الكريم ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ بفعله واعتقاده ولا من قومه الذين كانوا يشركون بعبادة الله وجعلوا الأصنام آلهة لهم يعبدونها من دونه ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ

---

١) التوبة /٨١ .

٢) ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ البقرة / ١٣٥، وقوله تعالى ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ آل عمران / ٦٧ ، وقوله تعالى ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ آل عمران / ٩٥ ، وقوله تعالى ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الأنعام / ٧٩ ، وقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الأنعام / ١٦١ ، وقوله تعالى﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يونس / ١٠٥ ، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ النحل / ١٢٠.

٣) ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ آل عمران / ٦٧.

٤) كتاب العين : ٣٦٦/١ .

٥) معجم مقاييس اللغة : ١١٠/٢ .

لَهَا عَاكِفُونَ ﴾[1] فالذي يأمرنا به الله ﷻ ان نكون حنفاء له غير مشركين به ﴿حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾[2] . وقد يتبادر الى الذهن للوهلة الأولى القول بما ان الشرك بالضد من التسليم لله وحده إذن هو بالضد من الإيمان لقوله تعالى ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[3] وقوله تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[4] ففي مثل هاتين الآيتين ربط الإيمان بالشرك وجعله ضدا ، فالقول في ذلك يكون على نحوين الأول ان الإيمان في قوله تعالى(حتى يؤمن) يعني التصديق وإتباع الرسالة المحمدية الخالدة وسيأتي بيان ذلك لاحقا في مبحث المؤمنون والمسلمون وبإتباع هذه الشريعة يكون التسليم متحققا لله وحده ، والثاني فان الشرك قسم من أقسام الكفر لأن الكفر له عدة صور وأحد صوره الشرك والمشركون من الذين كفروا[5] فمثلا في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾[6] فمن الواضح ان الذين كفروا كما تشير الآية

---

١) الأنبياء /٥٢ .
٢) الحج /٣١ .
٣) البقرة /٢٢١ .
٤) يوسف /١٠٦ .
٥) ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ آل عمران / ١٥١، وقوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ التوبة / ١٧ ، وقوله تعالى ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ البينة / ١.
٦) البينة /٦ .

المباركة هم من أهل الكتاب والمشركين عموما وهكذا لبقية الموارد وسيأتي بيان ان الكفر عكس الإيمان وبالضد منه وبما ان الشرك بالضد من الإسلام فهو بالتالي بالضد من الايمان . والشرك يكون بعدة صور منها شرك بالعبودية[١] ، وشرك باتخاذ غير الله ولياً[٢] ، والشرك بقدرة الله تعالى[٣] والشرك بجعل لله شركاء من الجن وجعل له بنين وبنات[٤] والشرك بالخلق[٥] والشرك باتخاذ أرباب من دون الله تعالى[٦] والشرك بتولي من لم يأمر به الله تعالى[٧] والشرك بدعوة غير الله[١] ،

---

١) ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ الأنعام / ١٠٠، وقوله تعالى ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ النساء / ٣٦ ، وقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ الكهف / ١١٠.

٢) ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام / ١٤، وقوله تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الطور / ٤٣ .

٣) ﴿ قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ الأنعام / ٦٤، وقوله تعالى ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ الكهف / ٤٢ .

٤) ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الأنعام / ١٠٠ .

٥) ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ الأعراف / ١٩١، وقوله تعالى ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ النحل / ٣ وقوله تعالى ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ القصص / ٦٨ .

٦) ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ التوبة / ٣١ وقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ المؤمنون / ٥٩ .

٧) ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ النحل / ١٠٠ .

والشرك بالإنابة لغير الله[٢] ، والشرك بجعل شركاء بالرزق والمحيا والممات[٣] ، وقد صنف علماء الإسلام الشرك الى شرك أكبر ويقع فيه الشرك بالربوبية والالوهية ... وهذا الشرك تارة يكون ظاهراً وتارة يكون خفياً والشرك الأصغر وهو كل وسيلة تؤدي الى الشرك الأكبر ، وتفصيل ذلك ليس من محاور بحثنا الذي يتعلق بالفظ القرآني ، لذلك إعتبر الله تعالى المشركين نجس فمنع دخولهم المسجد الحرام[٤] الذي تتوجب فيه الطهارة[٥] ، والشرك من المحرمات التي نص عليها الكتاب العزيز بنص صريح وواضح[٦] فكان من محبطات العمل[٧] فلا يستوجب الاستغفار للمشركين ولو كانوا ذوي قربى[٨] وليس لهم عهد عند الله ورسوله[١] ولكن أمره

---

١) ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ العنكبوت / ٦٥ ، وقوله تعالى ﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ المؤمنون / ٥٩ .

٢) ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الروم / ٣١ .

٣) ﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الروم / ٤٠ .

٤) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة / ٣٨ .

٥) ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ الحج / ٢٦.

٦) ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الأنعام / ١٥١ ، وقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الأعراف / ٣٣ .

٧) ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الأنعام / ٨٨ .

٨) ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ التوبة / ١١٣.

تعالى بأن تقبل إستجارتهم لمن يطلب الاستجارة لكي يسمعوا كلام الله لعلهم يؤمنون به[٢] ، واذا تتبعنا موارد الشرك في القرآن الكريم تجده مرتبطاً بالعقل لذلك نجد القرآن الكريم دعا إلى مناقشتهم ودعوتهم للإسلام وقتالهم على ذلك لأنهم إنما بكلا الحالين من الممكن أن يأتوا للإسلام فالمشرك من الممكن أن

يؤمن لقوله تعالى ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[٣] فأن لم يؤمنوا فهم كفار بالله تعالى .

٢. الكفر:

الكفر في اللغة («كفر» الكاف والفاء والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على معنىً واحد، وهو السَّتْر والتَّغطية. ... والكُفْر: ضِدّ الإيمان، سمِّي لأنَّه تَغْطِيَةُ الحقّ . وكذلك كُفْران النِّعمة : جُحودها وسَترُها .)[٤] وقال الرازي (ك ف ر الكُفْر ضدّ الإيمان وقد كَفَرَ بالله من باب نصر وجَمْعُ الكافِر كُفَّار وكَفَرةٌ وكِفَار بالكسر مُخَفَّفاً كجائع وجِيَاع ونائِم ونِيام . وجَمْع الكافِرة كَوَافِرُ . والكُفْر أيضاً جُحُود النِّعْمة وهو ضدّ الشُّكْر وقد كَفَره من باب دخل وكُفْرَاناً أيضاً بالضم . وقوله تعالى « إنَّا بِكُلّ كافِرُونَ » أي جَاحِدون . وقوله تعالى « فَأَبَى الظَّالِمُون إلاَّ كُفُوراً » قال

---

١) ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ التوبة / ٧ .

٢) ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ التوبة / ٦ .

٣) البقرة /٢٢١ .

٤) معجم مقاييس اللغة : ١٩١/٥ .

الأَخْفَش هو جَمْع كُفْر مثل بُرْد وبُرُود . والكَفْر بالفتح التَّغْطِيَة وبابه ضرب)[1]
وقال الفراهيدي (كفر : الكفر : نقيض الايمان . ويقال لأهل دار الحرب : قد كفروا ، أي : عصوا وامتنعوا . والكفر : نقيض الشكر . كفر النعمة ، أي : لم يشكرها . والكفر أربعة أنحاء : كفر الجحود مع معرفة القلب ، كقوله ﷻ : « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم » وكفر المعاندة : وهو أن يعرف بقلبه ، ويأبى بلسانه . وكفر النفاق : وهو أن يؤمن بلسانه والقلب كافر . وكفر الانكار : وهو كفر القلب واللسان . وإذا ألجأت مطيعك إلى أن يعصيك فقد أكفرته ... وكل شيء غطى شيئا فقد كفره .)[2] .

ومن خلال تتبع آيات الكتاب العزيز نلاحظ ان الكفر يقابل الإيمان[3] فمعنى الكفر يقابل معنى الإيمان وقد نوَّه اللغويون في معنى الكفر انه التغطية ومنهم من قال انه العصيان والامتناع ومن معانيه الانكار فاذا أردنا فهم معنى الكفر من خلال اللغة والقرآن الكريم لابد لنا ان نرى معنى الايمان لأن القرآن قد بين انه بالضد من الإيمان ، والإيمان هو التصديق القلبي الباعث على الثقة والطمأنينة والقطع وستأتي تعريفات اللغويين له لاحقا ومنه يتبين ان الكفر هو عدم التصديق

---

١) مختار الصحاح : ٢٣٩ .
٢) كتاب العين : ٣٨/٤ .
٣) ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ البقرة / ١٠٨ ، وقوله ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ النساء / ١٥٥ ، وقوله ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ هود / ١٧ ، وقوله ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ البقرة / ٤١ ، وقوله ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ التغابن / ٢ ، وقوله ﴿ قُلْ كَفَى بِاللهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ العنكبوت / ٥٢ .

القلبي[1] الباعث الى عدم الثقة والطمأنينة والمؤدي الى العصيان والامتناع بمعنى آخر هو الإنكار والتكذيب القلبي بعناد واستكبار وهذا ما يستشف من آيات الكتاب نفسه مثل قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[2] فظاهر الآية واضح انهم كذبوا نبأ الذين من قبلهم وقولهم (في شك) يدل على عدم التصديق القلبي ؛لان الشك قلبي لذلك قالوا (انا كفرنا) أي غير مصدقين بما أرسلتم به وشككنا به فأنكرناه وآية أخرى تؤيد ذلك في قوله تعالى﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾[3] في البداية كان الحديث عن الذين يكذبون الرسول ﷺ فهم كغيرهم ممن قبلهم حيث جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب فكذبوهم لذلك في الآية التي بعدها وصفهم بالذين كفروا ، وغيرها من الآيات تؤيد ما أردناه في هذا التعريف ، وهناك كفر بنعم الله فهل هذا التعريف يفيد هذا النوع من الكفر؟ فأهل اللغة قالوا ان الكفر بالنعم يعني جحودها وعدم شكرها وإذا رجعنا الى الكتاب العزيز مثل قوله تعالى ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾﴾[4] فالآيتان المباركتان تبينان الحوار الذي دار بين نبي الله موسى عليه السلام وفرعون ، فان فرعون يلومه ويمن عليه بان رباه عندما كان وليدا ولبث عندهم الى ان أصبح شابا قويا ثم قتل موسى عليه السلام أحد أتباع فرعون فقال له فرعون (وأنت من الكافرين) فهل

---

١) ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ النحل / ٢٢ .
٢) ابراهيم /٩ .
٣) فاطر .
٤) الشعراء .

يفيد المعنى هنا الجحود وعدم الشكر لان فرعون كما هو واضح يسرد النعم التي مَنَّ بها على نبي الله موسى (عليه السلام) في بداية حديثه ثم يعطف على الفعل الذي فعله موسى بأحد اتباعه وكان من المفروض حسب ما يراه فرعون ان لا يفعلها ، ماذا يفيد المعنى هنا الانكار ام الجحود ؟ فاذا رجعنا الى اللغة (الجُحود، وهو ضدّ الإقرار، ولا يكون إلاّ مع علم الجاحد به أنّه صحيح.) [1] وفي قول آخر (الجحود : ضد الاقرار كالانكار والمعرفة .) [2] ، اذن الجحود هو الإنكار مع معرفة وبالتالي عدنا الى نفس المعنى لهذه المفردة وهذا ما يؤيده جواب نبي الله موسى (عليه السلام) الذي نقله الكتاب العزيز بقوله﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٢) ﴾[3] حيث برر فعلته وفراره منهم وان فرعون يَمُنَّ عليه بان رباه ولبث عنده وبالتالي جعل بني اسرائيل عبيداً له وان الله تعالى هو مَنْ مَنَّ عليه فوهبه حكما وجعله من المرسلين فهو من يستوجب الشكر له تعالى وليس لفرعون الذي مَنَّ بما أعطى ، ثم ان الله تعالى لو كان يريد بها الجحود في المواضع التي وردت فيها المفردة مع النعم لقالها صراحة لأن مفردات (جحد وجاحدون وجحود) قد وردت في الكتاب العزيز وقد جمع بينها وبين مفردة الكفر في آية واحدة في قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾[4] وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ

---

١) معجم مقاييس اللغة : ١/ ٤٢٦ .

٢) كتاب العين : ٢١٨/١ .

٣) الشعراء .

٤) العنكبوت / ٤٧ .

﴿كَفُورٍ﴾[1] ، والجحود يكون بآيات الله تعالى أو بنعمه بعد معرفتهاوالتيقن انها من الله ﷻ[2] وكما هو واضح من الآيات فإنّ الجحود من الكفر وليس معنى للكفر لأنه عدم إقرار للآيات والنعم التي أنعمها الله تعالى وإنكار لها، وهذا هو الفرق في الاستعمال القرآني بينه وبين الكفر ، مع ملاحظة ان الخطاب القرآني ذكر مرة الذين كفروا بآيات الله تعالى وأخرى الذين كذبوا بآيات الله ﷻ فقوله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3] وقوله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[4] فهم بالإضافة الى كونهم كافرين عطف

---

١) لقمان / ٤٢ .

٢) ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ الأنعام / ٣٣ ، وقوله ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ الأعراف / ٥١ ، وقوله ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ هود / ٥٩ ، وقوله ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ النحل / ٧١ ، وقوله ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ النمل ، وقوله ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ العنكبوت / ٤٩ ، وقوله ﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ غافر / ٦٣ ، وقوله ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ فصلت / ١٥ وقوله ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ فصلت / ٢٨ وقوله ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ الأحقاف / ٢٦ .

٣) البقرة / ٣٩ .

٤) المائدة / ١٠ .

عليهم كونهم كذبوا بآيات الله تعالى وهناك آيات عديدة لمثل هذا العطف الظاهر[1] ، أما قوله تعالى﴿ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[3] فكما ملاحظ ان الخطاب القرآني ورد تارة (كذبوا بآياتنا) وأخرى (كفروا بآياتنا) فلابد ان يكون المراد القرآني للأول يختلف عن الثاني وقد ورد في سورة الأنفال ذكر للعبارتين في آيتين مباركتين في نفس السياق فقال تعالى ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[4] وقال تعالى في الآية التي تلت الآية التي بعدها﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾[5] فالمفردات التي بدأت بها الآيتان المباركتان نفسها ولغاية المفردتين موضوعتي البحث (كفروا ، كذبوا) وبالطبع ان الخطاب القرآني لا يقبل التكرار الذي لا طائل منه بل ان في ذلك نكتة مهمة لابد من الإنتباه اليها ثم نجد في سورة آل عمران آية مشابهة لهما وتحمل نفس الالفاظ بقوله تعالى ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[6] فعبارة ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ ثابتة في الآيات الثلاث ، أما عبارة

---

١) ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ الروم / ١٦ ، وقوله ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ التغابن / ١٠ .
٢) آل عمران / ٤ .
٣) النساء / ٥٦ .
وقوله ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ التغابن / ١٠ .
٤) الأنفال / ٥٢ .
٥) الأنفال / ٥٤ .
٦) آل عمران / ١١ .

﴿ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ فقد ذكرت في الآية ٥٢ من سورة الأنفال مع (كفروا بآياتنا) وذكرت في الآية ١١ من سورة آل عمران مع (كذبوا بآياتنا) ، لكنه تعالى قال مع الذين (كفروا بآياتنا) ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ بينما قال تعالى مع الذين (كذبوا بآياتنا) ﴿ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ حيث ورد اسمه تعالى (قوي) في الأولى ولم يرد في الثانية وإستخدم مع الذين (كفروا بآياتنا) التوكيد مما جعل الخطاب أكثر شدةً من خطابه مع الذين (كذبوا بآياتنا) ، واذا ما قارنا ما ورد في سورة آل عمران بقوله تعالى ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[1] وما ورد في الآية ٥٤ من سورة الأنفال ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾[2] نجد ان عبارة ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ نفسها في كلا الآيتين لكن في سورة آل عمران قال تعالى﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ بينما في سورة الأنفال قال تعالى ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ وفي سورة آل عمران قال ﴿ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ بينما في سورة الأنفال قال تعالى ﴿ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ ، وطبعا هذا ليس بتكرار في الآيات والتغير في الألفاظ ليس من باب التحسين اللفظي الأدبي الذي يلجأ اليه الأديب المحتاج فالله تعالى غني عن كل ذلك فالقول في ذلك والله أعلم لبيان علة ما تكمن في ان التكذيب غير الكفر فقد يكون التكذيب مكابرة وشكاً وظناً[3] وقد يكون تكذيبا لسانيا قولياً غير قلبي يمكن لصاحبه ان يهتدي بعدها الى الصواب وهذا ما

---

١) آل عمران / ١١ .
٢) الأنفال / ٥٤ .
٣) ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ الأنعام / ١٤٨ .

دل عليه قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1] ، لكن هذا التكذيب عندما يتمادى به صاحبه فيصعد الى القلب ليصبح مصحوبا بالإمتناع والعصيان والانكار يصير كفراً فعبر عنه الكتاب العزيز (كفروا بآياتنا) وكلا النوعين توعد الله تعالى أصحابهما أنواع العذاب وكان الخطاب أكثر شدة مع الذين (كفروا بآياتنا) ، ثم انه تعالى في سورة آل عمران بين شدة العقاب الذي ينتظرهم في الآخرة وفي سورة الأنفال الآية ٥٤ فصل وبيّن كيفية عذابهم قبل وأثناء الموت بإهلاكهم وإغراق آل فرعون أو لربما كانت الأخيرة مفصلة ومبينة للأولى ، أما انه تارةً قال (آياتنا) وأخرى قال (آيات ربهم) فلأن الكفر والتكذيب قد يكون بالآيات المرتبطة او المشتركة بين مقامين أو أكثر من المقامات (الربوبية والملوكية والالوهية) فعبر عنه (آياتنا) والاخرى فان الكفر والتكذيب يكون بالآيات المرتبطة بمقام الربوبية فعبر عنه (آيات ربهم) ، وأما ان الخطاب القرآني الذي يكون بصيغة (كفروا وكذبوا بآياتنا) فمرةً لأنهم أنكروها وظلوا يكذبونها في أحاديثهم ، وأخرى انهم كانوا يدعون غير الله عز وجل فعندما تأتيهم آيات الله تعالى يكذبون بها كما بينه تعالى بقوله ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ ﴾[2] أو ينسبون هذه الآيات الى من يدعون من دون الله تعالى ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[3] وهناك أدلة أخرى في الكتاب العزيز منها قوله تعالى﴿ ذَلِكَ جَزَآؤُهُم

---

١) الأنعام / ٣٩ .
٢) الأعراف / ٣٧ .
٣) الجاثية / ٢٤ .

بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾[1] فالآية المباركة واضحة بان الذين (كفروا بآياتنا) هنا أنكروا البعث بعد الموت ، وقوله تعالى﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ﴾[2]

فكما ملاحظ ان الآيات تصف الذين كفروا بآيات ربهم .

وللوقوف على آراء علماء التفسير في تفسيرهم للذين كفروا بآيات ربهم أو آياتنا والذين كذبوا بآيات ربهم أو آياتنا نأخذ الآيتين المباركتين من سورة الأنفال ٥٢ و٥٤ والآية المباركة ١١ من سورة آل عمران والتي تحدثنا عنها في ما مر يقول الرازي في آيتي سورة الأنفال (ذكروا فيه وجوهاً كثيرة : الأول : أن الكلام الثاني يجري مجرى التفصيل للكلام الأول ، لأن الكلام الأول فيه ذكر أخذهم ، وفي الثاني ذكر إغراقهم وذلك تفصيل . والثاني : أنه أريد بالأول ما نزل بهم من العقوبة في حال الموت ، وبالثاني ما ينزل بهم في القبر في الآخرة . الثالث : أن الكلام الأول هو قوله : ﴿ كَفَرُواْ بآيات الله ﴾ والكلام الثاني هو قوله : ﴿ كَذَّبُواْ بآيات رَبّهِمْ ﴾ فالأول إشارة إلى أنهم أنكروا الدلائل الإلهية ، والثاني إشارة إلى أنه سبحانه رباهم وأنعم عليهم بالوجوه الكثيرة ، فأنكروا دلائل التربية والإحسان مع كثرتها وتواليها عليهم ، فكان الأثر اللازم من الأول هو الأخذ والأثر اللازم من الثاني هو الإهلاك والإغراق ، وذلك يدل على أن

---

١) الاسراء / ٩٨ .

٢) سورة الكهف .

لكفران النعمة أثراً عظيماً في حصول الهلاك والبوار ، ثم ختم تعالى الكلام بقوله : ﴿ وَكُلٌّ كَانُواْ ظالمين ﴾ والمراد منه أنهم كانوا ظالمي أنفسهم بالكفر والمعصية ، وظالمي سائر الناس بسبب الإيذاء والإيحاش ، وأن الله تعالى إنما هلكهم بسبب ظلمهم) [1] وقال في موضع آخر (ثم قال تعالى ﴿ إِنَّ الله قَوِىٌّ شَدِيدُ العقاب ﴾ والغرض منه التنبيه على أن لهم عذاباً مدخراً سوى ما نزل بهم من العذاب العاجل) [2] . يقول الآلوسي في تفسير قوله تعالى ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾[3] (استئناف آخر على ما ذكره بعض المحققين مسوق لتقرير ما سيق له الاستئناف الأول بتشبيه دأبهم بدأب المذكورين لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعْل الدأب في الجانبين عبارة عما يلازم معناه الأول من تغيير الحال وتغيير النعمة أخذا مما نطق به قوله تعالى : ﴿ ذلك بِأَنَّ الله لَمْ يَكُ مُغَيّراً ﴾ [الأنفال : ٥٣] تفسير لدأبهم الذي فعلوه من تغييرهم لحالهم ، وأشير بلفظ الرب إلى أن ذلك التغيير كان بكفران نعمه تعالى لما فيه من الدلالة على أنه مربيهم المنعهم عليهم ، وقوله سبحانه : ﴿ فأهلكناهم ﴾ تفسير لدأبهم الذي فعل بهم من تغييرهم تعالى ما بهم من نعمته جل شأنه . وفي الاهلاك رمز إلى التغيير ولذا عبر به دون الأخذ المعبر به أولا وليس الأخذ مثله في ذلك ، ألا ترى أنه كثيراً ما يطلق الاهلاك على إخراج الشيء عن نظامه الذي هو عليه ولم نر اطلاق الأخذ على ذلك ، وقيل؛ إنما عبر أولا بالأخذ وهنا بالاهلاك لأن جنايتهم هنا الكفران وهو يقتضي أعظم النكال والاهلاك مشير إليه ولا كذلك ما تقدم وفيه نظر)[4] ، أما ابن عاشور فانه بدايةً تنبه الى الألفاظ وتغير التعبير القرآني بين ما ورد في الآية ١١ من سورة آل

١) تفسير الفخر الرازي : ١٨٧/١٥ .

٢) المصدر نفسه : ١٥/ ١٨٦ .

٣) الأنفال / ٥٤ .

٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ٢٠/١٠ .

عمران والآيتين ٥٢، ٥٤ من سورة الأنفال ولكنه لم يوفق في بيان أسباب هذا الاختلاف في بعض الالفاظ والمراد من الآية ، وظن انه تكرار لزيادة التوضيح فقال في تفسير الآية ٥٢ (ولا فرق بين الآيتين إلاّ اختلاف العبارة ، ففي سورة [آل عمران : ١١] «كذبوا بآياتنا » وهنا « كفروا بآيات الله » ، وهنالك « والله شديد العقاب » [آل عمران : ١١] وهنا ﴿ إن الله قوي شديد العقاب ﴾ . فأمّا المخالفة بين « كذبوا » [آل عمران : ١١] و « كفروا » فلأنَّ قوم فرعون والذين من قبلهم شاركوا المشركين في الكفر بالله وتكذيب رسله ، وفي جحد دلالة الآيات على الوحدانية وعلى صدق الرسول ﷺ فذُكِروا هنا ابتداء بالأفظع من الأمرين فعبّر بالكفر بالآيات عن جحد الآيات الدالّة على وحدانية الله تعالى ، لأنّ الكفر أصرح في إنكار صفات الله تعالى . وقد عقبت هذه الآية بالتي بعدها ، فذكر في التي بعدها التكذيب بالآيات ، أي التكذيب بآيات صدق الرسول عليه الصلاة والسلام ، وجَحد الآيات الدالّة على صدقه . فأمّا في سورة آل عمران [١١] فقد ذكر تكذيبهم بالآيات ، أي الدالّة على صدق الرسول ﷺ لأنّ التكذيب متبادر في معنى تكذيب المخبِر ، لوقوع ذلك عقب ذكر تنزيل القرآن وتصديق من صدق به ، وإلحاد من قصد الفتنة بمتشابهه ، فعبّر عن الذين شابَهوهم في تكذيب رسولهم بوصف التكذيب . فأمّا الإظهار هنا في مقام الإضمار ، فاقتضاه أنّ الكفر كفر بما يرجع إلى صفات الله فأضيفت الآيات إلى اسم الجلالة؛ ليدلّ على الذات بعنوان الإله الحَقّ وهو الوحدانية . وأمّا الإضمار في آل عمران فلكون التكذيب تكذيباً لآيات دالّة على ثبوت رسالة محمد ﷺ فأضيفت الآيات إلى الضمير على الأصل في التكلّم . وأمّا الاختلاف بذكر حرف التأكيد هنا ، دونه في سورة آل عمران [١١] ، فلأنّه قصد هنا التعريض بالمشركين ، وكانوا ينكرون قوّة الله عليهم ، بمعنى لازمها ، وهو إنزال الضرّ بهم ، وينكرون أنّه شديد العقاب لهم ، فأكّد الخبر باعتبار لازمه التعريضي الذي هو إبلاغ هذا الإنذار إلى من بقي من المشركين ، وفي سورة آل عمران [١١] لم يقصد إلا الإخبار عن كون

الله شديد العقاب إذا عاقب ، فهو تذكير للمسلمين وهم المقصود بالإخبار بقرينة قوله ، عقِبَه : « قل للذين كفروا ستغلبون » [آل عمران : ١٢] الآية . وزيد وصفُ «قوي» هنا مبالغة في تهديد المشركين المقصودين بالإنذار والتهديد . والقوي الموصوف بالقوة ، وحقيقتها كمال صلابة الأعضاء لأداء الأعمال التي تراد منها ، وهي متفاوتة مقول عليها بالتشكيك . وقد تقدّم عند قوله تعالى : « فخذها بقوة » [الأعراف : ١٤٥] . وهي إذا وصف الله بها مستعملة في معناها اللزومي وهي منتهى القدرة على فعل ما تتعلّق به إرادته تعالى من المُمْكنات . والمقصود من ذكر هذين الوصفين : الإيماء إلى أنّ أخذهم كان قوياً شديداً ، لأنّه عقابُ قوي شديد العقاب ، كقوله : ﴿ فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر ﴾ [القمر : ٤٢] ، وقوله : ﴿ إن أخذه أليم شديد ﴾ [هود : ١٠٢] .)[١] وقال في تفسير الآية ٥٤ (تكرير لقوله : ﴿ كدأب آل فرعون ﴾ المذكور قبله لقصد التأكيد والتسميع ، تقرير للإنذار والتهديد ، وخولف بين الجملتين تفنّناً في الأسلوب ، وزيادة للفائدة ، بذكر التكذيب هنا بعد ذكر الكفر هناك ، وهما سببان للأخذ والإهلاك كما قدّمناه آنفاً . وذكر وصف الربوبية هنا دون الاسم العلم لزيادة تفظيع تكذيبهم ، لأنّ الاجتراء على الله مع ملاحظة كونه ربّاً للمجترئ ، يزيد جراءته قبحاً لإشعاره بأنّها جرأة في موضع الشكر ، لأنّ الربّ يستحقّ الشكر . وعبر بالإهلاك عوض الأخذ المتقدّم ذكره ليفسّر الأخذ بأنّه آل إلى الإهلاك ، وزيد الإهلاك بياناً بالنسبة إلى آل فرعون بأنّه إهلاك الغرق . وتنوين « كل » للتعويض عن المضاف إليه ، أي : وكل المذكورين ، أي آل فرعون والذين من قبلهم .)[٢] ، وأما الزمخشري فاعتبر ان هناك تكرارا للتوكيد بين آيتي سورة الأنفال حيث يقول (﴿ كَدَأْبِ ءالِ فِرْعَوْنَ ﴾ تكرير للتأكيد . وفي قوله : ﴿ بآيات رَبّهِمْ ﴾ زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق . وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب ﴿وَكُلٌّ كَانُواْ ظالمين ﴾ وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر

١) تفسير التحرير والتنوير : ٤٣/١٠ .
٢) المصدر نفسه : ٤٦/١٠.

والمعاصي .)[1] ، أما ابن عطية فانه أشار الى ان التكرار الحاصل لوجود إختلاف بالمعنى فقال(وقوله ﴿ كدأب آل فرعون ﴾ الآية ، الكاف من ﴿كدأب ﴾في هذه الآية متعلقة بقوله ﴿حتى يغيروا ﴾ ، وهذا التكرير هو لمعنى ليس للأول ، إذ الأول دأب في أن هلكوا الآية الأولى .)[2] وذهب الى ذلك أيضا الثعالبي حيث قال (وقوله تعالى : ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ والذين مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بآيات رَبِّهِمْ فأهلكناهم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ ، هذا التكريرُ هو لمعنًى ليس للأول؛ إذ الأول دَأْبٌ في أنْ هَلَكُوا لما كَفَرُوا ، وهذا الثَّاني دأْبٌ في أَنَّهُ لم يغيِّرْ نعمتهم؛ حتَّى غيروا ما بأنْفُسِهِم ، والإشارة بقوله : ﴿ والذين مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ، إلى قومِ شعيبٍ وصالحٍ وهودٍ ونوحٍ وغيرهِمِ .)[3] ، أما النسفي فيقول (﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾تكرير للتأكيد ، أو لأن في الأولى الأخذ بالذنوب بلا بيان ذلك ، وهنا بين أن ذلك هو الإهلاك والاستئصال ﴿والذين مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بآيات رَبِّهِمْ ﴾ وفي قوله ﴿ بآيات رَبِّهِمْ ﴾ زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق ﴿ فأهلكناهم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَونَ ﴾ بماء البحر ﴿وَكُلٌّ ﴾ وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش ﴿ كانُواْ ظَالِمِينَ ﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي .)[4] ، آما الطوسي فيقول (انما اعاد قوله : ﴿ كداب آل فرعون والذين من قبلهم ﴾ لا على وجه التكرار بلا فائدة بل لوجهين: احدهما - قال ابو علي: لانه على نوعين مختلفين من العقاب. وقال الرماني: فيه تصريف القول في الذم بما كانوا عليه من قبح الفعل وتقدير الكلام: دأب هؤلاء الكفار مثل داب آل فرعون. ويحتمل ان يكون كناية عن هؤلاء الكفار " كذبوا بآياتنا ". والتكذيب نسبة الخبر إلى الكذب. فالتكذيب بالحق مذموم، والتكذيب بالباطل - لانه باطل - ظاهره امره محمود، وانما وجب في التكذيب بآيات الله تعجيل العقوبة، ولم يجب ذلك في غيره، لما في تعجيل عقوبتهم من الزجر لغيرهم،

---

١) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ٤١٧ .
٢) تفسير ابن عطية : ٨٠٩ .
٣) تفسير الثعالبي : ١٤٥/٣ .
٤) تفسير النسفي : ٦٥٢/١ .

فيصلحون به مع علم الله بأنه ليس فيهم من يفلح - على مذهب من يقول: لو علم الله ان فيهم من يؤمن، لأبقاه . وانما كان التكذيب بآيات الله من اعظم الاجرام، لما يتبعه من تضييع حقوق الله فيما يلزم من طاعاته التي لا تصح الا بالتصديق بآياته التي جاءت بها رسله . اخبر الله انه كما اهلك هؤلاء الكفار بتكذيبهم النبي صلى الله عليه واله كذلك اهلك من الكفار قوما آخرين بتكذيبهم بآيات الله، واغرق آل فرعون بمثل ذلك، ثم اخبر ان كل هؤلاء كانوا ظالمين لنفوسهم بارتكاب معاصي الله وبترك طاعاته .)[1] ، وقال الطبرسي (﴿ كدأب آل فرعون و الذين من قبلهم ﴾أي كعادتهم و طريقتهم في التكذيب بآيات الله عادة هؤلاء ﴿كذبوا بآيات ربهم ﴾ أي بحجة وبيناته ﴿فأهلكناهم بذنوبهم ﴾أي استأصلناهم ﴿وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ﴾أي كل هؤلاء المهلكين كانوا ظالمين لأنفسهم فلم نعاقب فريقا منهم إلا عن استحقاق وإنما كرر قوله ﴿كدأب آل فرعون ﴾ لأنه أراد بالأول بيان حالهم في استحقاق عذاب الآخرة وفي الثاني بيان استحقاقهم لعذاب الدنيا وقيل إن في الأول تشبيه حالهم بحال أولئك في التكذيب وفي الثاني تشبيه حالهم بحالهم في الاستئصال و قيل إن الأول في أخذهم بالعذاب والثاني في كيفية العذاب وقيل إن آل فرعون كانوا على أحوال مختلفة في المعصية فبين مشاركة هؤلاء إياهم في تلك الأحوال .)[2] ، وقال الفيض الكاشاني (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكنهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون : تكرير للتأكيد، وفي قوله : ﴿بآيات ربهم﴾ زيادة دلالة على كفران النعم، وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب . وكل: من غرق آل فرعون، وقتلى قريش . كانوا ظالمين : أنفسهم بكفرهم ومعاصيهم .)[3] ، الطباطبائي في الميزان (قوله تعالى : ﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم﴾ إلخ كرر التنظير السابق لمشابهة الفرض مع ما

---

١) التبيان في تفسير القرآن : ١٤١/٥ .
٢) مجمع البيان في تفسير القرآن : ٣٥٦/٤.
٣) تفسير الصافي : ٣١٠/٢ .

تقدم فقوله : ﴿ كدأب آل فرعون ﴾ إلخ السابق تنظير لقوله : ﴿ ذلك بما قدمت أيديكم و أن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ كما أن قوله : ﴿ كدأب آل فرعون ﴾ - إلى قوله - وكل كانوا ظالمين ثانيا تنظير لقوله : ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة ﴾ إلخ . غير أن التنظير الثاني يشتمل على نوع من الالتفات في قوله : ﴿ فأهلكناهم بذنوبهم ﴾ و قد وقع بحذائه في التنظير الأول : ﴿ فأخذهم الله بذنوبهم ﴾ من غير التفات ولعل الوجه فيه أن التنظير الثاني لما كان مسبوقا بإفادة أن الله هو المفيض بالنعم على عباده ولا يغيرها إلا عن تغييرهم ما بأنفسهم ، وهذا شأن الرب بالنسبة إلى عبيده اقتضى ذلك أن يعد هؤلاء عبيدا غير جارين على صراط عبودية ربهم ولذلك غير بعض سياق التنظير فقال في الثاني : ﴿ كذبوا بآيات ربهم ﴾ وقد كان بحذائه في الأول قوله : ﴿ كفروا بآيات الله ﴾ ولذلك التفت هاهنا من الغيبة إلى التكلم مع الغير فقال : ﴿ فأهلكناهم بذنوبهم﴾ للدلالة على أنه سبحانه هو ربهم وهو مهلكهم ، وقد أخذ المتكلم مع الغير للدلالة على عظمة الشأن وجلالة المقام ، وأن له وسائط يعملون بأمره ويجرون بمشيته . وقوله : ﴿ وأغرقنا آل فرعون﴾ أظهر المفعول ولم يقل : وأغرقناهم ليؤمن الالتباس برجوع الضمير إلى آل فرعون والذين من قبلهم جميعا . وقوله تعالى : ﴿ وكل كانوا ظالمين﴾ أي جميع هؤلاء الذين أخذهم العذاب الإلهي من كفار قريش وآل فرعون والذين من قبلهم كانوا ظالمين في جنب الله . وفيه بيان أن الله سبحانه لا يأخذ بعقابه الشديد أحدا، ولا يبدل نعمته على أحد نقمة إلا إذا كان ظالما ظلما يبدل نعمة الله كفرا بآياته فهو لا يعذب بعذابه إلا مستحقه .)[1] ويقول مكارم الشيرازي (﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربّهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكلّ كانوا ظالمين﴾ ظلموا أنفسهم وظلموا سواهم أيضاً . الجواب على سؤال : قد يرد هنا سؤالٌ وهو: لِمَ تكررت عبارة « كدأب آل فرعون » في الآي بفاصلة قليلة مرّتين ،

١) الميزان في تفسير القرآن : ٩/ ١٠٤ .

ومع إختلاف يسير في التعبير؟! وللإجابة على هذا التساؤل ينبغي الإلتفات إلى لطيفة، وهي أنّه بالرغم من أنّ التكرار أو التأكيد على المسائل الحساسة من أُصول البلاغة ، ويلاحظ في أقوال البلغاء والفصحاء ، لكنّ في الآيات . آنفة الذكر . فرقاً مهماً يخرج تلك العبارة عن صورة التكرار . وهو أنّ الآية الأُولى تشير إلى الجزاء الإلهي في مقابل إنكار آيات الحق والتكذيب بها ، ثمّ تمثل حال هؤلاء بقوم فرعون والأقوام السابقين . إلاّ أنّ الآية الثّانية تشير إلى تبدل النعم في الدنيا وذهاب المواهب الرّبانية، مثل الإنتصارات والأمن والقدرات وما يُفتخر به. ثمّ مثّلت الآية بحال فرعون والأقوام السابقين . ففي الحقيقة أنّ جانباً من الكلام كان عن سلب النعم وما ينتج عن ذلك من الجزاء ، ويقع الكلام في جانب آخر منه على تبدل النعم وتحوّلها .)[1]

وبمجرد النظر في أقوال علماء التفسير ترى ان لكل واحد منهم نظرته وإجتهاده في البيان بينما الكتاب العزيز قد بين العلل والمراد بصورة تامة تحتاج الى ان يكون النظر الى مجموع الآيات الناظرة للموضوع دون فصلها.

لقد بين الكتاب العزيز من هم الكافرون حقا وبنص واضح صريح وبين إنهم من يكفر بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾[2] هذا صنف ، ومنهم الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوا الرسول ﷺ ليؤمنوا به يحرفون الكلم عن مواضعه ، والذين يشترون بآيات الله ثمنا قليلا

١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٩٤/٥ .
٢) النساء .

، ومن لم يحكم بما أنزل الله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴿٤٤﴾ ﴾[١] وكل من اتصف بهذه الصفات التي بينتها الآيات المباركة فهو من الكافرين ، وقد يكون الكفر بمقام الربوبية وبعدة أصناف جميعها تؤدي الى انكار توحيد الربوبية لله تعالى منها :

أ. الذين يعدلون بخلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور لغير الله ﷻ[٢].

ب. الذين لا يؤمنون بالبعث بعد الموت ويقولون ان هي الا حياتنا الأولى[٣] .

---

١) المائدة .

٢) ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ الأنعام / ١.

٣) ﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنعام ، وقوله تعالى ﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ الرعد / ٥.

ت. الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه الآخر ومنهم يطبق بعض الآيات ويتناسى أو ينكر الآيات الأخرى التي قد تكون مفصلة ومبينة وناظرة لموضوع الآية الأولى[1] .

ث. الذين لا يؤمنون بما أنزل الله ﷻ [2].

ج. الذين قالوا للرسل المنذرين لهم والمبشرين انهم سحرة[3] .

ح. الذين يفعلون كما فعلت ثمود قوم صالح [4] حيث رفضوا ترك عبادة ألهتهم وشكوا فيما عرضه عليهم نبي الله صالح عليه السلام[5] وعقروا الناقة التي هي آية من آيات الله تعالى[6] .

خ. الذين يتخذون عباد الله تعالى من دونه أولياء[7] إلا من كان بأمر الله تعالى فيمكن اتخاذه وليا فهؤلاء ارتضاهم الله ﷻ ان يكونوا أولياء للمؤمنين[8]

---

١) ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ البقرة / ٨٥.

٢) ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ البقرة / ٩٠.

٣) ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ﴾ يونس / ٢.

٤) ﴿ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ ﴾ هود / ٦٨.

٥) ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ هود / ٦٢.

٦) ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ هود / ٦٥.

٧) ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾ الكهف / ١٠٢.

٨) ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ المائدة / ٥٥.

واستثناهم بل أمر بإتخاذهم أولياء والموضوع في ذلك مشابه لما أمر به تعالى من سجود الملائكة لآدم والسجود لا يجوز الا لله تعالى فعندما لم يسجد ابليس كان من الكافرين لأنه أبى واستكبر[1].

د. والذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ويضنون أنهم يحسنون صنعا[2] فقد قال عنهم الله تعالى انهم كفروا بآيات ربهم ولقائه[3].

ذ. الذين كفروا بلقاء ربهم[4].

ر. الذين يتبعون الباطل[5].

ز. الذين يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم[6].

س. الذين يجعلون لله أنداداً[7].

ش. الذين يكفرون بنعمة ربهم ولا يشكرونها[8].

ص. الذين ينكرون ان الله خالقهم ورازقهم[1].

---

١) ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة / ٣٤.

٢) ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ الكهف / ١٠٤.

٣) ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ الكهف / ١٠٥.

٤) ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ الروم / ٨ وقوله تعالى ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾ السجدة / ١٠٥.

٥) ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾ محمد / ٣ .

٦) ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾ الفرقان / ٥٥ .

٧) ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ الزمر / ٨ .

٨) ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ ابراهيم / ٧ .

ض. الذين يكفرون بالبينات التي جاء بها القرآن الكريم والكتب السماوية من قبله[٢].

ط. الذين لا يؤمنون بالساعة والذين يقنطون من رحمة الله[٣].

وقد يكون الكفر بمقام الألوهية وكما في الأصناف التالية :

أ. الذين يدعون مع الله إلها آخر وينكرون توحيد الإلوهية [٤] .

ب. الذين يكفرون بذكر الرحمن[٥] .

ت. الذين يفعلون كما فعل قوم عاد[٦] بان قالوا يا هود لم تأتِنا ببينة ورفضوا ترك عبادة آلهتهم ولم يؤمنوا بالله[٧].

---

١) ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٦) إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧) ﴾ الزمر .

٢) ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ هود / ١٧ .

٣) ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ فصلت / ٥٠ .

٤) ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ المائدة / ٧٣ وقوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ المؤمنون / ١١٧ .

٥) ﴿ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ الأنبياء / ٣٦ .

٦) ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ هود / ٦٠.

٧) ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ هود / ٥٣.

وهذه عدة أصناف بينها الله ﷻ في كتابه المبارك من الكفار إضافة الى المشركين الذين يدخلون كصنف من أصناف الكفار حيث دلت آيات عديدة على ان الشرك كفر[١] ومنه يستدل على ان الكفر لفظ عام يشمل كثيراً من الأصناف والشرك لفظ خاص يشمل نوعاً خاصاً من أصناف الكفر وان تعددت أنواعه فكل مشرك كافر إن لم يؤمن ويمكن ان لا يكون كل كافر مشرك فقد يكون الكافر منكراً للربوبية او الألوهية لله تعالى بالكامل وقد صنف علماء المسلمين الكفر الى كفر أكبر مخرج عن الملة وكفر أصغر لا يخرج عن الملة والمقام ليس مقام خوض في هذه الأصناف ، ولا ندعي ان كل ما ذكرناه هنا هم هؤلاء فقط الكافرون بل ما نريد ان نقوله ان موضوع التكفير غير قابل للاجتهاد والتأويل بل يمكن إستنباطه من الكتاب العزيز والسنة الصحيحة المباركة ، وليس من حق أي شخص مهما كان ان يُكَفِر انسانا آخر ما لم يكن مصداقا لكتاب الله تعالى ومن يفعل ذلك فقد أوقع نفسه في هاوية العمل مقابل رب العالمين والعياذ بالله لانه تعالى لم يفوض هذا الأمر الى أحد ليجتهد ويعين ويصنف الكافرين بل تولى ذلك في كتابه العزيز بمفهوم كلي ليقطع الطريق على المتأولين بآيات محكمات ظاهرة واضحة المعنى لما يشكل هذا الموضوع من خطورة بالغة قد تودي بحياة الناس والله تعالى أعلم بسرهم وعلنهم وبالنوايا ، أما المنافقون فمن حيث المعنى والمراد القرآني فهم صنف والكافرون صنف آخر بنص القرآن الكريم كما في قوله تعالى ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[٢]

---

١) ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ آل عمران / ١٥١ وقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ التوبة / ١٧ .
٢) النساء / ١٤٠.

وان جمعوا في نار جهنم بمعنى آخر وان كان العذاب لكلاهما واحد[١] رغم انهما صنفان بالمعنى والمراد الا انه من حيث الاعتبار فالمنافقون من الكفار ، وكفرهم وعذابهم مناط بتوبتهم فان تابوا فهو خير لهم وان لم يتوبوا فهم كفار يعذبهم الله تعالى﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[٢]، فكان العفو عن طائفة من المنافقين قد كفروا مشروطا عند الله تعالى ويعذب طائفة أخرى لم تنته وتتوب اليه . وقد يكون الكفر بعد الإيمان أو بعد معرفة الله تعالى ومعرفة الحق[٣] وغالباً ما يكون الكافرون من الذين جاءهم كتاب

---

١) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ الأحزاب / ١، وقوله تعالى ﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ الأحزاب / ٤٨، وقوله تعالى﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ التوبة /٦٨، وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ التوبة /٧٣.

٢) التوبة / ٧٤.

٣) ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ البقرة / ١٠٨ ، وقوله تعالى ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ آل عمران / ٨٦ ، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ آل عمران / ٩٠ ، وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ آل عمران / ١٠٠ ، وقوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ آل عمران / ١٠٦ ، وقوله تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ النور / ٥٥ ، وقوله تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ المنافقون / ٣ .

من عند الله تعالى أو جاءتهم البينات[1] بمعنى ان الكفر يأتي بعد نزول التبليغ أو بعد معرفة الآيات أو مشاهدة الأدلة والبينات أو بعد إقامة الحجج البالغة ولم يولد انس أو جان كافراً أصلا بل كان الخيار له في الإيمان أو الكفر ومن لم تقم عليه الحجة فلا يمكن الحكم عليه بشيء فان وثق قلبه واطمأن وصدق وسلم فقد آمن ومن أنكر وكذب قلبيا ولم يثق ويطمئن فقد كفر، ومن هنا فان القران الكريم وصف الكافرين بأنهم الفاسقون[2] ولما كانوا فاسقين فان الله لا يهديهم حتى وان استغفر لهم الرسولﷺ بنفسه[3] ووصفهم كذلك بالظالمين[4] والكاذبين[5] والمجرمين[6] واتبعوا الباطل[1] وانهم فجرة[2] والكافرون أولياؤهم الطاغوت[3]

---

١) ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ البقرة /٨٩ ، وقوله تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ غافر/ ٢٢ ، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ فصلت /٤١ ، وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ الحشر /١١ ، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ محمد /٣٢ ، وقوله تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللهُ وَاللهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ التغابن /٦ .

٢) ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ البقرة / ٩٩.

٣) ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ التوبة /٨٠ ، وقوله تعالى ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ التوبة /٨٤ .

٤) ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ آل عمران / ١٥١.

٥) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ العنكبوت /١٢.

٦) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ الجاثية /٣١.

والنص القرآني يصرح بان الذين كفروا لا يؤمنون سواء وصلهم الإنذار والتبليغ وتبينت لهم الآيات والحق أم لم يصلهم لأن الله تعالى ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة فهم لا يعقلون ذلك ولا يسمعونه ولا يرونه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧) ﴾[٤] . وان الله تعالى حرمهم نعمة الهداية[٥] وانه تعالى لن يغفر لهم[٦] لذلك توعد الله ﷻ الذين كفروا بأنواع العذاب منها : عذاب عظيم[٧]، النار خالدين فيها[٨] ، عذاب مهين[٩] ، عذاب شديد[١٠] ، وانهم لن تغنِ عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وهم وقود النار[١١]

---

١) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾ محمد /٣.

٢) ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ عبس /٤٢.

٣) ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ البقرة /٢٥٧.

٤) البقرة .

٥) ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ التوبة /٣٧.

٦) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ محمد /٣٤.

٧) ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ النحل /١٠٦.

٨) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ البقرة /٣٩.

٩) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ الحج /٥٧.

١٠) ﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ يونس /٧٠.

١١) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ آل عمران /١٠.

، الى جهنم وبئس المهاد[1] ، أصحاب الجحيم[2] ، عذاب أليم ولهم شراب من حميم[3] ، الأغلال في أعناقهم[4] ، عذاب غليظ[5] ، قطعت لهم ثياب من ناروبصب من فوق رؤوسهم الحميم[6] ، الويل لهم من مشهد يوم عظيم[7] ، كما أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[8] والذين كفروا وماتوا وهم كفار لن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به[9]، وبعد كل هذا يتضح ان الكفر مرتبط بالقلب لا بالعقل فهم مهما تردهم من معجزات وبراهين تؤمن بها عقولهم وتنصاع لها وتدركها تبقى قلوبهم مسودة معاندة لذلك سواء أنذروا ام لم ينذروا لا يؤمنون لأن الله تعالى ختم على قلوبهم غشاوة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ

---

١) ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ آل عمران /١٢.

٢) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ المائدة /١٠.

٣) ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ يونس /٤.

٤) ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الرعد /٥.

٥) ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ فصلت /٥٠.

٦) ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ الحج .

٧) ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ مريم /٣٧.

٨) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ البقرة /١٦١.

٩) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ آل عمران /٩١.

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾[1] ، اذن فالكفر أو الكافرون والشرك أو المشركون وحسب النصوص القرآنية ماهي الا مفاهيم عامة وكم ينضوي تحت ظلالها من مصاديق تنطبق عليها يمكن استنباطها في كل مكان وزمان متى ما طابقت المفهوم الكلي للآيات الناظرة للموضوع وليس لأحد ان يكفر شخصاً دون انطباق المصداق على المفهوم القرآني .

---

١) البقرة .

المبحث الرابع- المؤمنون والمسلمون :

ان هاتين المفردتين جاءتا من جذرين ثلاثيين هما آمن وسلم وقد ذكرت تصريفات هذين الجذرين كثيراً في الكتب والمقالات والخطابات الدينية حيث لا تكاد تخلو منهما ، فالأولى ذكرت في كتاب الله العزيز بصورة مستفيضة مثل (آمن ، آمنا ، آمنوا ، مؤمنون ، مؤمنين ، مؤمن ، مؤمنات ...) وكذلك فيما يخص تصريفات الجذر الثاني مثل (أسلم ، مسلمون ، مسلمات ، مسلمين ، اسلام ، أسلموا ، أسلمنا) إلا انها كانت أقل وروداً من الأولى بكثير ، وعند ذكر أحد هاتين المفردتين يتبادر الى الذهن ان مفردة المسلمين عامة تشمل كل أتباع الرسالة المحمدية الخالدة وان المؤمنين هي رتبة أعلى منهم قد دخل الايمان في قلوبهم فأصبحوا أكثر طاعة وإلتزاماً وتجنباً للمعاصي والموبقات أو بعبارة أخرى ان الأنسان أول أمره يسلم ثم بعد ذلك يؤمن ولعل هذا هو السائد في أواسط عامة الناس أو المتعارف عليه إصطلاحاً وعرفاً ، أما علماء الدين فقد إختلفوا في الفرق بين الإيمان والاسلام وطرحوا عدة إطروحات منها مثلاً ما قاله الرازي (والحق أن المسلم أعم من المؤمن وإطلاق العام على الخاص لا مانع منه ، فإذا سمي المؤمن مسلماً لا يدل على اتحاد مفهوميهما ، فكأنه تعالى قال أخرجنا المؤمنين فما وجدنا الأعم منهم إلا بيتاً من المسلمين ويلزم من هذا أن لا يكون هناك غيرهم من المؤمنين ، وهذا كما لو قال قائل لغيره : من في البيت من الناس؟ فيقول له : ما في البيت من الحيوانات أحد غير زيد ، فيكون مخبراً له بخلو البيت عن كل إنسان غير زيد .)[1] وقال ابن عجيبة (انّ الإيمان والإسلام واحد ، أي : باعتبار الشرع ، وأما في اللغة فمختلف ، والإسلام

---

١) تفسير الفخر الرازي : ٢٨/ ٢١٩ .

محله الظاهر ، والإيمان محله الباطن .)[1] ومنهم من قال (ما من مؤمن إلا و هو مسلم)[2] فهل ان القرآن الكريم يؤيد هذه الاطروحات أو يطرح نظرية أخرى ؟ إذا ذهبنا الى علماء اللغة لمعرفة المعنى اللغوي لمفردة آمن ، فقد قال ابن فارس (الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان : أحدهما الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب ، والآخر التصديق . والمعنيان كما قلنا متدانيان . قال الخليل : الأَمَنَةُ مِن الأمْن. والأمان إعطاء الأَمَنَة . والأمانة ضدُّ الخيانة .) [3] وقال الفراهيدي (والايمان : التصديق نفسه، وقوله تعالى : (وما أنت بمؤمن لنا) ، أي : بمصدق .) [4] وقال الرازي (والإيمان التصديق واللهُ تعالى المُؤْمِن لأنه آمنْ عبادَه من أَنْ يَظْلمهم . وأصل آمَنَ أَأمَنَ بهمزتين لُيِّنَت الثَّانية ومنه المُهَيمِن وأصله مُؤَأَمِن لُيّنت الثانية وقُلِبَت ياء كراهة اجتماعهما وقلبت الأولَى هاء كما قالوا أَرَاقَ الماءَ وهَرَاقَه . والأَمْنُ ضِدّ الخَوفِ والأَمَنة الأَمْن كما مَرَّ ومنه قوله تعالى « أَمَّنَةً نُعَاساً » والأَمَنة أيضاً الذي يَثِق بكل أحد وكذا الأمَنة بوزن الهُمَزة.) [5] , اذا ما ربطنا أقوال علماء اللغة مع الموارد القرآنية[6] نجد ان الايمان كما ذكرناه سابقاً هو التصديق

---

١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد : ٤٧٦/٥ ، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ٢٧/ ١٤ ، والتبيان في تفسير القرآن : ٩/ ٣٩٠ ، والامثل في تفسير كتاب الله المنزل : ١٣/ ١٣٩.

٢) مجمع البيان في تفسير القرآن :٩/ ٢٠٢ .

٣) معجم مقاييس اللغة : ١٣٣/١ .

٤) كتاب العين : ٩٠/١ .

٥) مختار الصحاح : ١١ .

٦) ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ آل عمران /١٧٩، وقوله تعالى ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ آل عمران /١٩٣، وقوله تعالى ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ النساء /٣٩، وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ

القلبي الباعث على الثقة والاطمئنان ، أما مفردة أسلم فقال عنها علماء اللغة مثل ابن فارس (الإسلام، وهو الانقياد: لأنَّه يَسْلم من الإباء والامتناع .) [1] وقال الفراهيدي (الاسلام: الاستسلام لأمر الله تعالى، وهو الانقياد لطاعته، والقبول لأمره .) [2] وقال الرازي (وأَسْلَم دَخَل في السَّلَم بفتحتين وهو الاستِسْلام وأَسْلَم مِن الإسلام . وأَسْلَمَه خَذَله . والتَّسَالُم التَّصَالحُ . والمُسالَمَة المُصالَحة . واسْتَلَم الحَجَرَ لَمَسَه إما بالقُبْلة أو باليَدِ ولا يُهْمَز وبعضُهم يَهمِزه . واسْتَسْلَم أي انْقادَ .) [3] ، إذن هو التسليم والإنقياد بالمعنى الأعم وهو التسليم والانقياد لوجه الله تعالى بالمعنى الأخص وهذا ما يؤيده القرآن الكريم[4] ، ولكي يحصل التسليم والانقياد بدين ما أو

يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ النساء /٦٠، وقوله تعالى ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ الأعراف /٨٧ ، وقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ النور /٦٢ ، وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الأنفال /٢ .

١) معجم مقاييس اللغة : ٣/٩٠ .

٢) كتاب العين :٢/٢٠٧ .

٣) مختار الصحاح : ١٣١ .

٤) ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ البقرة /١٢٨، وقوله تعالى ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران /٨٠ ، وقوله تعالى ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ هود /١٤ ، وقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ الانبياء /١٠٨ ، وقوله تعالى ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ النمل /٣١ ، وقوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ الاحزاب /٣٥ .

عقيدة أو فكرة ... لابد ان يكون هناك تصديق وثقة واطمئنان بها ثم من بعد ذلك يحصل التسليم والانقياد ، وعليه فان الايمان يسبق الإسلام ، وان الايمان مقترن بالقلب وهو بالضد من الكفر لقوله تعالى ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1] ، أما الاسلام فمقترن بالعقل فالذي يؤمن فان عقله يقوده الى الطاعة والتسليم لذلك فهو بالضد من الشرك ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾[2]. فلابد للإنسان من الايمان ثم بعد ذلك الإسلام وهذا ما دل عليه القرآن الكريم بعدة قرائن وهي :

١. ان جل الآيات التي ذكرت مفردة أسلم وبأي صيغة كانت تذكر الإيمان قبله وتبين ان المذكورين في الآيات قد آمنوا بعد ما تبين لهم الآيات والحجج والبراهين ومن ثم أسلموا ولم يكن تسلسل ورود المفردتين في آية واحدة أي الايمان أولا ومن ثم الاسلام إعتباطا بل كان مقصوداً ذو دلالة[3] ، وان قال قائل هناك موارد وردت فيها مفردة المسلمين أولا ومن ثم المؤمنين مما ينفي قولك في تسلسل المفردتين كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ

---

١) النحل / ١٠٦ .
٢) الجن / من الآية ١٤ .
٣) ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ المائدة / ١١١، وقوله تعالى ﴿ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ الأعراف / ١٢٦ ، وقوله تعالى ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ النمل / ٨١ ، وقوله تعالى﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ العنكبوت / ٤٦ ، وقوله تعالى ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ الروم / ٥٣ ، وقوله تعالى﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾ الجن .

وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1] وقوله تعالى ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾[2] فذكر المسلمين والمسلمات قبل المؤمنين والمؤمنات ، نقول على العكس فان هذه الآيات تثبت ما ذهبنا اليه من ان الايمان يسبق الإسلام وان من أسلم يكون أعلى درجة ممن آمن ولم يسلم بعد ، لذلك فان الموردين اللذين ذكرتهما إنما ذكرتهما من باب الفاضل والمفضول بل ويدل مورد الآية (٣٥) من سورة الأحزاب على صنفين لكل منهما مقوماته فصل بينهما بحرف العطف (الواو) هم صنف المؤمنين وصنف المسلمين .

٢. ان من المؤمنين آمنوا ولكنهم لم يدخلوا في السلم بعد لهذا تجد القرآن ندبهم للدخول فيه بقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾[3].

٣. ان إطلاق تعبير الذين آمنوا أو المؤمنين لم يكن مقتصراً على من اتبع الشريعة المحمدية[4] بل أطلقه القرآن على كل من آمن بالله وكتبه ورسله[5] وحتى في

---

١) الأحزاب / ٣٥ .

٢) التحريم / ٥ .

٣) البقرة / ٢٠٨ .

٤) ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ الشورى /١٣.

٥) ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة /٢٤٩ ، وقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ

الرسالات التي سبقت الرسالة الخاتمة ، وسبق ان ذكرنا ان الإيمان هو بالضد من الكفر فكل ما ذكر بأنه يدخل في الكفر يكون عكسه الايمان ، كالايمان بآيات الله تعالى ، الايمان بان الله تعالى خالق كل شيء ، الايمان بان الله تعالى هو الرازق ، الايمان بان الله تعالى هو الباعث .... وقد فصلنا ذلك في مبحث الكفر والشرك ، فعندما نقول الايمان بالله تعالى نعني الايمان بمقام الربوبية ومقام الملوكية ومقام الألوهية وفيوضاتها بكافة تفاصيلها وهذا الايمان مشفوع بالايمان بما أنزل الله في الكتب السماوية وبالرسل التي أرسلها الله[1] ولا يمكن

أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران /٥٢ ، وقوله تعالى ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ الأنعام /٤٨ ، وقوله تعالى ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف /٧٥ ، وقوله تعالى ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ الأعراف ، وقوله تعالى ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ الأعراف /٨٨ .

١) ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ البقرة/٢٨٥ ، وقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ آل عمران /١٧٩، وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ النساء/١٣٦ ، وقوله تعالى ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ الحديد/٢١.

الايمان ببعض دون الآخر[1] ، فكل من عاش مثلا في زمن نبي الله موسى عليه السلام يطلق عليه مؤمن متى ما آمن بالله تعالى وكتبه ورسله مع نبي الله موسى عليه السلام والتوراة فان مات فانه مؤمنٌ فاذا جاءت الرسالة التي تليها رسالة نبي الله عيسى عليه السلام فانه ان كان حيا وثبتت له بالدليل القاطع أنها رسالة سماوية فلكي يكون مؤمناً عليه ان يؤمن بكل ما مرومعه نبي الله عيسى عليه السلام والأنجيل فان مات فانه مؤمن فاذا جاءت الرسالة التي تليها الرسالة المحمدية الخالدة فانه ان كان حيا وثبتت له بالدليل القاطع أنها رسالة سماوية فلكي يكون مؤمناً عليه ان يؤمن بكل ما مرومعه الإيمان بان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وبما أنزله الله (القرآن الكريم) وان لم يصله البلاغ لم يقم لديه الدليل بها فهو من مؤمني الرسالة التي هو عليها ومرجعه الى الله تعالى بحجته ، لأن القرآن الكريم صرح بان الإنذار الذي أتى به الرسول صلى الله عليه وآله إنما يكون ملزماً لمن بلغه ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[2] ، ومن لم يبلغه هذا الإنذارولم يقم لديه الدليل القاطع فان واقع حال العدالة الالهية التي هي من أسمى صفات الله عز وجل انه مؤمن بالشريعة السماوية التي قطع دليله بها ويحاسب وفقها ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3] ، فكل أصحاب نبي تحققت فيهم

---

١) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ النساء /١٥٠، وقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ النساء/١٥٢.

٢) الانعام /١٩.

٣) البقرة /٦٢ .

شروط الايمان فهم مؤمنون ، أما دين الله ﷻ الذي إرتضاه للناس منذ بدء الخليقة فهو الإسلام فهو واحد على مر العصور ولكل الشرائع والرسالات السماوية ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾[1] .

وما جاء به أنبياء ألوا العزم عليهم السلام لم تكن أديان مختلفة بل كلها شرائع تقيم دين الله تعالى الإسلام ويكمل اللاحق السابق ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾[2] ، فكانت تكاليف الرسل والانبياء عليهم السلام تدعو الى هذا الدين وبما ان الشرائع السماوية كانت إحداها تكمل الأخرى لذلك كان تمام الدين بالشريعة المحمدية الخاتمة ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[3] ، ومن هنا كانت دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام وابنه نبي الله إسماعيل عليه السلام ان يجعلهما الله تعالى هم ومن ذريتهم مسلمين لله ﷻ ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[4] ، والحال نفسه في وصية نبي الله يعقوب عليه السلام لبنيه ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا

---

١) آل عمران /١٩ .
٢) الشورى /١٣ .
٣) من المائدة /٣ .
٤) البقرة /١٢٨ .

وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[1] ، وبما ان الدين الإلهي هو الإسلام بالمعنى الذي بيناه فأي تعبد وتقرب وعمل لا يقبل الا وفق هذا الدين ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[2].

٤. اذا تتبعنا آيات القرآن الكريم نجد انه في كل الحالات عندما يكون الخطاب موجهاً الى أتباع الرسالة المحمدية يخاطبهم بـ (يا أيها الذين آمنوا) [3] ولم نجد ولو لمرة واحدة خاطبهم مثلاً (يا أيها الذين أسلموا أو يأيها المسلمون) والسؤال هنا لماذا ؟ والجواب لأن عامة من اتبع الديانة المحمدية قد أمنوا بها ولم يسلموا لوجه الله تعالى وانقادوا الانقياد الذي يتطلبه التسليم الكامل لله ﷻ فهم ما زالوا يعملون الرجس لذلك نهاهم الله تعالى عنه[4] وما زالوا يعملون الموبقات فاحتاجوا الى الارشاد[5] وما زالوا لم يقيموا الصلاة أو يؤدوا الزكاة والعبادات الأخرى فاحتاجوا الى التوجيه والتنبيه بذلك[6] ، وإلا اذا كان المؤمنون لا يفعلون ذلك ويؤدون العبادات المطلوبة فما هي دواعي هذه الآيات ولكان توجيهها الى المسلمين أولى باعتبار ان الاسلام أعم من الايمان على حد أقوال العلماء ، وان قال قائل نعم ان الأوامر والنواهي موجهة الى المؤمنين

---

١) البقرة /١٣٣ .

٢) آل عمران /٨٥ .

٣) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ البقرة /١٠٤، وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ النساء /٥٩.

٤) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ المائدة /٩٠.

٥) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران /١٣٠، وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ النساء /٢٩.

٦) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الحج /٧٧.

وليس شرطا ان يكونوا لم يجتنبوا ما نهوا عنه أولم يطيعوا ما أمروا به ؟ نقول هي كذلك نواهي وأوامر لكنها موجهة لعامة المؤمنين لأن هناك إحتمال ان تكون ولو نسبة ضئيلة منهم لا تعمل بها بل الملاحظ في مجتمعاتنا المعروفة بالإسلام ان نسبة كبيرة لا تعمل بها أما من أسلم وانقاد الى الله ﷻ فانه اجتنب النواهي واطاع الأوامر بالتقوى ووحد الله بكل المقامات وعبده من خلال انقياده وتسليمه فأمر الذين آمنوا بالتوبة ولم يكن الأمر للمسلمين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[(١)] ومن خلال الآية يتبين ان الذين آمنوا لديهم سيئات بل أمرهم ونصحهم بان يتقوا الله ﷻ ولا يموتوا الا وهم مسلمون ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[(٢)] اذن فتقوى الله تعالى مطلوبة من المؤمنين ليكونوا مسلمين ، وهذا أيضاً ينطبق على المؤمنين في زمن الرسالات التي سبقت الرسالة المحمدية أما بعد الرسالة المحمدية فقد انقلب الخطاب ليصبح الذين هادوا[(٣)] والنصارى[(٤)] ... لأن الايمان الحق المطلوب في هذه المرحلة

---

١) التحريم /٨ .

٢) آل عمران /١٠٢ .

٣) ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ المائدة /٤١.

٤) ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ البقرة /١٢٠.

أصبح يشتمل على الايمان بالشريعة المحمدية باعتبارها رسالة خاتمة شرط بلوغ الانذار وإقامة الدليل القطعي ومتى ما أقيم الدليل وحصل الإيمان بالشريعة أقيمت الحجة على الإستجابة وتطبيق كل ما جاء بها ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1]، مع ملاحظة ان الخطاب القرآني عندما يريد ان يخاطب جميع الطوائف :المؤمن والمسيحي واليهودي والصابئي والمجوسي والبوذي والكافر والمشرك ووو... كان الخطاب بـ (يا أيها الناس) [2] وان كان يريد الكفار قال (يا أيها الذين كفروا أو يا أيها الكافرون) [3] ومنه يتبين ان الخطاب القرآني مقصود ذو دلالة .

٥. بما ان الدين الذي شرعه الله تعالى للخلق هو الإسلام منذ بدء الخلق ونزول الشرائع السماوية ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾[4] . فلابد ان يكون واحداً لكونه جاء من إله واحد وهذا واضح لكل من يعتقد بوحدانية الخالق وحكمته وعدم حصول حادث له لكونه عالماً مطلقاً . وكما قلنا ان الشرائع التي أنزلها ﷻ أتت متممة لبعضها ومقيمة لهذا الدين وحسب التطور الذي يحصل في المجتمعات وطبيعة متطلبات المرحلة وقابلية الناس للتلقي ولم تكن دفعة واحدة وهنا تتجلى حكمة الخالق في النزول التدريجي للشرائع . أما الإختلاف الحاصل بين أصحاب الشرائع السماوية

---

١) البقرة / من الآية٨٥ .

٢) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة /٢١.

٣) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ التحريم /٧ ، وقوله تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ الكافرون /١.

٤) آل عمران /١٩ .

والذي عبر عنهم القرآن الكريم ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ فكان من الذين أبلغوا بالإنذار وأصبحوا على علم به كما بينته الآية المباركة المارة الذكر وإستيقنتها أنفسهم ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾[1] ، لكنهم جحدوا بها وهؤلاء من أرادتهم الآية المباركة وهم غير الذين لم يبلغهم الانذار ولم يقم لديهم الدليل فالآية صريحة وواضحة في المراد من إختلاف ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ ولم يكن الاختلاف في الدين .

٦. ان الله ﷻ لم يَعِدْ الذين آمنوا بثواب وجزاء إلا وجعله منوطاً بأعمالهم الصالحة[2] فلو كان الايمان أعلى درجة من الإسلام لكان ذلك يخص المسلمين حيث ان المعروف في المجتمع الاسلامي ان كل من شهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فهو مسلم وكثير منهم قد سجل في بطاقته المدنية (مسلم) وكثير منهم لا يؤدون العبادات وكثير منهم يعملون الموبقات ويسمى مسلم ، أما الذين يطلق عليهم مؤمنون فهم من يؤدون العبادات ويجتنبون الموبقات ويسعون الى رضا الله ﷻ فمن هو الذي يحتاج الى الارشاد والتذكير في هذه الحالة هل المسلم أم المؤمن ؟ قطعاً في هذه الحالة هو المسلم اذن لماذا كان الخطاب القرآني للمؤمنين ؟ لأن ما فهم سابقاً كان حالة معكوسة تماماً فان كل من صدق بالرسالة المحمدية هو مؤمن بها ويعمل ما يعمل لانه لم يسلم وينقاد لله تعالى ليكون مسلماً ومتى ما إنقاد وإستجاب ونفذ وطبق تعاليمها وأدى ما أوجبته وإجتنب ما نهته أصبح مسلماً وفق الشريعة المحمدية .

---

١) النمل /١٤ .

٢) ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ البقرة /٢٥ .

٧. ان القرآن الكريم أطلق لفظة مسلمون أو أسلم على الأنبياء والرسل وكثير من أتباعهم الذين سبقوا الرسالة المحمدية بآلاف السنين[١] مما يدل على انها لفظة لكل من يؤمن ومن ثم يسلم وجهه لله كما بيناه في ما مر حسب الرسالة التي في زمنه لأن الدين الالهي واحد وهو الاسلام وبما ان الرسالة المحمدية هي الخاتمة فان الذين أسلموا كانوا لوقتهم ولرسالاتهم وحسب الشريعة المنزلة اليهم وما بعد الرسالة المحمدية يجب ان يكون الايمان والاسلام وفق الشريعة المحمدية لذلك قال تعالى في محكم كتابه العزيز ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾[٢] فلو كان المراد فقط أتباع الرسالة المحمدية فما حكم أتباع الرسلات السماوية والانبياء والرسل الذين توفاهم الله تعالى قبل نزولها ؟ الجواب ليس المراد كما ذكر في الاشكالية المطروحة بل المراد الدين الاسلامي واتباع كل شريعة ورسالة في أوانها فالذي مات مسلماً في زمن نبي الله نوح(عليه السلام) كان على دين الاسلام وفق شريعة نوح (عليه السلام) والذي أسلم ومات في زمن نبي الله إبراهيم(عليه السلام) كان على دين الاسلام وفق شريعة إبراهيم

---

١) ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة /١٣٣، وقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران/٥٢ ، وقوله تعالى﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ البقرة /١٢٨ ، وقوله تعالى﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ النمل /٤٤، وقوله تعالى﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ يونس /٧٢ .

٢) آل عمران /١٩ .

عليه السلام وهكذا الى زمن الرسالة المحمدية التي ختمت الرسالات وأتمت الدين الاسلامي.

٨. لقائل ان يقول ان قول الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[١] ينافي ما طرحته لانه تعالى نفى الايمان عن الاعراب وقال لهم قولوا أسلمنا ! نقول لا تنافي فيما بيناه مع هذه الآية المباركة فلو رجعنا الى أسباب نزولها نجد ان (الآية ، نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله في سنة جدبة فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر، فأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويقولون : أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها ، وجئناك بالأثقال والعيال والذراري ، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، يمنون على النبي صلى الله عليه وآله ، ويريدون الصدقة ، ويقولون : أعطنا، فأنزل الله فيهم هذه الآية)[٢] اذن القوم قد جاوروا رسول الله صلى الله عليه وآله ورأوا انتصار الدين وإرتفاع شأن المسلمين ولم يكونوا في حقيقتهم مؤمنين بل جاؤوا مستسلمين فعندما طلبوا من الرسول صلى الله عليه وآله الصدقات فضحهم الله تعالى بان قال لهم ما مر في الآية المباركة وانهم لم يؤمنوا بعد بل جاؤوا مستسلمين خانعين أي ان المراد من قوله تعالى ﴿ أسلمنا ﴾ المعنى اللغوي للمفردة وليس المعنى الفقهي ، والدليل من الآية نفسها لأنه تعالى قال (

---

١) الحجرات /١٤ .

٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد : ٤٣٧/٥ ، وتفسير التحرير والتنوير : ٢٦/ ٢٦٣ ، وتفسير السمرقندي : ٢٦٦/٣ ، وتفسير أبو السعود : ١٨٠/٥ ، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ١٦٧/٢٦ ، وتفسير البغوي : ١٢٢٥ ، ومجمع البيان في تفسير القرآن : ٩/ ١٧٦ ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :١٣/ ١٣٧ .

لا تقولوا آمنا بل قولوا أسلمنا) ولو كان يريد الاسلام بمعنى التسليم والانقياد لقال لهم (بل أسلمتم) إقراراً باسلامهم ولكنه تعالى أتى بمفردة (قولوا) ليبين لهم انها مقولتهم وانهم جاءوا مستسلمين أما ما قاله بعض المفسرين[1] من ان هذا هو أدب حسن أو بمعنى آخر وحسب المصطلحات الحديثة مجاملتهم لكي لا ينفضح أمرهم أو لاستهجان ان يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالإيمان ، فان الله تعالى لا يجامل ولا يستحي من الحق ﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾[2] ودليل آخر قول نبي الله سليمان عليه السلام الذي نقله لنا القرآن الكريم ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾[3] فقوم بلقيس ملكة سبأ لم يعرفوا دين نبي الله سليمان عليه السلام ولم يعرفوا انه نبي مرسل ولم يروا آيات وبينات وحجج نبي الله سليمان عليه السلام بل جاءوا اليه في بداية الأمر خائفين مستسلمين مسالمين بإعتباره ملك ذو قوة وبأس[4] فلما وصلوا الى سليمان ورأوا البينات وعرفوا انه نبي مرسل آمنت وقومها فقالت ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[5] أي الان في هذا الموقف أسلمت لرب العالمين إذن هناك فرق بين الموقف الأول والموقف الثاني ، والحال في آية الأعراب كما هو في ما مر من موقف ملكة سبأ إذن هي مؤيدة لما قلناه ، وهناك

---

١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد : ٤٣٨/٥ ، وتفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ١٠٤١.

٢) الأحزاب /من الآية٥٣ .

٣) النمل /٣٨ .

٤) ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ النمل /٣٤.

٥) النمل /٤٤ .

من علماء التفسير من ذهب الى ان قوله﴿ وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ على ان المراد به الإستسلام مثل ابن عطية[1] والماوردي[2] والسمرقندي[3] والبغوي[4] والتستري[5] والسعدي[6] والطوسي[7] والطبرسي[8] والسيوطي[9].

9. وان قال قائل ما بالك من قوله تعالى ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾[10]

فهذا ينفي اطروحتك ، وما ذهبت اليه ، نقول أيضاً هنا لا تنافي لان الآية المباركة في بدايتها تقول ملة أبيكم ابراهيم فان نبي الله ابراهيم عليه السلام كان على الحنفية التي بينا انها (كل من أسلم في أمر الله فلم يلتو في شيء منه)[11] فالاستقامة هي الملة المطلوبة والتي أُمرنا باتباعها والتي تتحقق بالتسليم لوجه الله تعالى والاسلام يتطلب الإيمان بالله ورسله وكتبه كل في زمنه ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا

---

1) تفسير ابن عطية : ١٧٤٧.
2) النكت والعيون تفسير الماوردي : ٣٣٧/٥ .
3) تفسير السمرقندي : ٢٦٧/٣ .
4) تفسير البغوي : ١٢٢٥ .
5) تفسير القرآن العظيم : ٢٥٥ .
6) تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن :١٦٩٤ .
7) التبيان في تفسير القرآن :٩/ ٣٥١ .
8) مجمع البيان في تفسير القرآن : ٩/ ١٧٦ .
9) تفسير الدر المنثور للسيوطي : ٦٠٢/١٣ .
10) الحج /٧٨ .
11) كتاب العين : ٣٦٦/١ .

بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾[1] وبما ان التسليم لوجه الله يكون من خلال إتباع الرسالة المحمدية الخالدة باعتبارها الخاتمة والشريعة المتممة للدين الإسلام بالمعنى الأعم الذي سقناه فالخطاب في هذه الآية يشمل فقط من أسلم وجهه لله من اتباع الرسالة المحمدية لكونها خاتمة الرسالات والشرائع ودل الدليل القاطع بحجيتها لدى المخاطبين من أتباعها ويتضح مثل هذا الخطاب جلياً عندما بين لهم تعالى العديد من المحرمات التي جاءت بها الرسالة المحمدية والتي أردفها بإرتضاء الاسلام ديناً لهم بقوله تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[2].

١٠. زيادة في الادلة اذا راجعنا قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[3] ، فاذا كان الايمان يأتي بعد الاسلام فلماذا قال لا تموتن الا وأنتم مسلمون والخطاب كما هو واضح للذين آمنوا فلما هم مؤمنون وحسب الرأي السائد بان الإسلام عام والايمان خاص إذن هم مسلمون أصلا وهذا ينافي الآية المباركة ومنه يتبين ان الإيمان لابد من ان يسبق الاسلام ليكون إرشادا لهم بعد إيمانهم لتقوى الله تعالى وان يسلموا لوجه الله قبل موتهم .

١) آل عمران /١٩ .
٢) المائدة /٣ .
٣) آل عمران /١٠٢ .

١١. هناك شواهد روائية من السنة المباركة تبين ما ذهبنا اليه وتوضح معنى الايمان والاسلام منها ما روي عن رسول الله ﷺ عندما سئل ما الإيمان فقال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، ولقائه ، والقدر خيره وشره »[١] ، وهذه الرواية واضحة في معنى الايمان وما هو المنوط بالايمان من تعريف سقناه في بداية البحث ، وانه ﷺ عندما سئل ما الإسلام ؟ كان جوابه منوطاً بالانقياد والتسليم من خلال تأدية العبادات التي أمر بها الله ﷻ فقال ﷺ « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا »[٢] .

أقوال علماء التفسير :

كما بينا سابقا أشهر ما قيل في الفرق بين الايمان والاسلام نستعرض آراء لبعض علماء التفسير في تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[٣] ومنهم :

---

١) السنة لابن أبي عاصم الحديث رقم ١٢٤: ١١١، والشريعة للآجري : ٢/ ٥٦٨ ، وشرح مسند أبي حنيفة : ٣١، وكنز العمال الحديث ١٣٦٤ : ٩٣، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد الحديث ١١٦: ١/ ٥٩، وسنن ابن ماجة الحديث ٦٣ :١/ ٢٤ ، وشرح الأربعين النووية : ٢٥، والبحر الزخار مسند البزار الحديث ١٦٩ :٢٧٢ ، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري : ١/ ١٠٢ .

٢) الشريعة للآجري : ٢/ ٥٦٨ ، وكنز العمال الحديث ٣٨ :٤٠ ، وسنن ابن ماجة الحديث ٦٣ :١/ ٢٤ ، وشرح الأربعين النووية : ٢٥، وبحار الأنوار : ٦٣/٢٧ ، والبحر الزخار مسند البزار الحديث ١٦٩ :٢٧٢ ، وكتاب الفوائد الشهير بالغيلانيات :٣٣٢/١ ، وصحيح الترغيب والترهيب : ٢/ ٣٨٢، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري : ١١٠/١ .

٣) الحجرات /١٤ .

١. البغوي (ان حقيقة الإيمان التصديق بالقلب ، وان الإقرار باللسان وإظهار شرائعه بالأبدان لا يكون إيمانا دون التصديق بالقلب والإخلاص) [١] .

٢. الزمخشري (الإيمان : هو التصديق مع الثقة وطمأنينة النفس . والإسلام : الدخول في السلم . والخروج من أن يكون حرباً للمؤمنين بإظهار الشهادتين)[٢] .

٣. الطبرسي (ثم بين سبحانه أن الإيمان محله القلب دون اللسان فقال ﴿ و لما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ قال الزجاج الإسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به الرسول وبذلك يحقن الدم فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الإيمان وصاحبه المؤمن المسلم حقا فأما من أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم وباطنه غير مصدق)[٣] .

٤. الرازي في تفسير قوله تعالى ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[٤] يقول : (والحق أن المسلم أعم من المؤمن وإطلاق العام على الخاص لا مانع منه ، فإذا سمي المؤمن مسلماً لا يدل على اتحاد مفهوميهما ، فكأنه تعالى قال أخرجنا المؤمنين فما وجدنا الأعم منهم إلا بيتاً من المسلمين ويلزم من هذا أن لا يكون هناك غيرهم من المؤمنين ، وهذا كما لو قال قائل لغيره : من في البيت من الناس؟ فيقول له : ما في البيت من الحيوانات أحد غير زيد ، فيكون مخبراً له بخلو البيت عن كل إنسان غير زيد .)[٥] .

٥. البيضاوي (إذ الإيمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب ، ولم يحصل لكم إلا لما مننتم على الرسول عليه الصلاة والسلام بالإِسلام وترك المقاتلة كما دل عليه

---

١) تفسير البغوي : ١٢٢٥ .
٢) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ١٠٤١.
٣) مجمع البيان في تفسير القرآن : ٩/ ١٧٦.
٤) الذاريات /٣٦ .
٥) تفسير الفخر الرازي : ٢٨/ ٢١٩ .

آخر السورة . ﴿ ولكن قُولُواْ أَسْلَمْنَا ﴾ فإن الإِسلام انقياد ودخول في السلم وإظهار الشهادتين وترك المحاربة)[1] .

٦. النسفي (فالإيمان هو التصديق ، والإسلام الدخول في السلم والخروج من أن يكون حرباً للمؤمنين بإظهار الشهادتين ، ألا ترى إلى قوله ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمان فِى قُلُوبِكُمْ ﴾فاعلم أن ما يكون من الإقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو إسلام ، وما واطأ فيه القلب اللسان فهو إيمان ، وهذا من حيث اللغة . وأما في الشرع فالإيمان والإسلام واحد لما عرف ، وفي ﴿ لَمَّا ﴾ معنى التوقع وهو دال على أن بعض هؤلاء قد آمنوا فيما بعد .)[2] .

٧. ابن كثير (أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ، ويدل عليه حديث جبريل، عليه السلام حين سأل عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص، ثم للأخص منه) [3] .

٨. الثعالبي (والإسلام يقال بمعنيين : أحدهما : الذي يَعُمُّ الإيمانَ والأعمالَ ، وهو الذي في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ الله الإسلام ﴾ [آل عمران : ١٩] والذي في قوله عليه السلام : « بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ » . والمعنى الثاني للفظ الإسلام : هو الاستسلام ، والإظهار الذي يُسْتَعْصَمُ به ويحقن الدم)[4] .

٩. ابو السعود (رَدّاً لهُمْ ﴿ لَّمْ تُؤْمِنُواْ ﴾ إذِ الإيمانُ هُوَ التصديقُ المقارنُ للثقةِ وطمأنينةِ القلبِ ولم يحصُلْ لكُم ذلكَ وإلا لِمَا مننتُمْ عليَّ ما ذكرتُم كَما ينبىءُ عَنْه آخرُ السورةِ ﴿ ولكن قُولُواْ أَسْلَمْنَا ﴾ فإنَّ الإسلامَ انقيادٌ ودخولٌ في السلمِ وإظهارُ الشهادةِ وتركُ المحاربةِ مشعرٌ بهِ) [5] .

---

١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٣٧/٥ .
٢) تفسير النسفي : ٣٥٨/٣ .
٣) تفسير القرآن العظيم : ١٧٥٢.
٤) تفسير الثعالبي : ٢٧٨/٥ .
٥) تفسير ابو السعود : ١٨٠/٥ .

١٠.الماوردي (فالإسلام قول والإيمان عمل ، قاله الزهري) [١] .

١١.الفيض الكاشاني (الايمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب ولم يحصل لكم ولكن قولوا أسلمنا فإن الاسلام إنقياد ودخول في السلم وإظهار الشهادة وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام)[٢] .

١٢.حقي (اذ الايمان هو التصديق بالله وبرسوله المقارن للثقة بحقيقة المصدق وطمأنينة القلب ولم يحصل لكم ذلك والا لما مننتم على ما ذكرتم من الاسلام وترك المقاتلة كما ينبئ عنه آخر السورة يعنى ان التصديق الموصوف مسبوق بالعلم بقبح الكفر وشناعة المقاتلة وذلك يأبى المن وترك المقاتلة فان العاقل لا يمن بترك ما يعلم قبحه ﴿ولكن قولوا أسلمنا ﴾ اسلم بمعنى دخل في السلم كأصبح وامسى وأشتى أي قولوا دخلنا في السلم والصلح والانقياد مخافة أنفسنا فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به أي بالانقياد والدخول المذكور وايثار ما عليه النظم الكريم))[٣] .

١٣.ابن عجيبة (ت١٢٢٤هـ) يقول : (فتحصَّل أن ما يكون من الإقرار باللسان من غير مواطأة للقلب فهو إسلام ، وما واطأ فيه القلبُ اللسانَ فهو إيمان ، وهذا من حيث اللغة ، وأما في الشرع فهما متلازمان ، فلا إسلام إلا بعد إيمان ، ولا إيمان إلا بعد النطق بالشهادة إلا لعذر .) [٤] .

١٤.الآلوسي (الإيمان إذ هو تصديق مع الثقة وطمأنينة القلب ولم يحصل لهم وإلا لما منوا على الرسول ﷺ بترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة ﴿ ولكن قُولُواْ أَسْلَمْنَا ﴾ فإن الإسلام انقياد ودخول في السلم وهو ضد الحرب وما كان من هؤلاء مشعر به ، وكان الظاهر لم تؤمنوا ولكن أسلمتم أو لا تقولوا آمنا ولكن

---

١) النكت والعيون تفسير الماوردي : ٣٣٧/٥ .

٢) تفسير الصافي :٣٠/٥ .

٣) تفسير روح البيان :٩٢/٩ .

٤) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد : ٤٣٨/٥ .

قولوا أسلمنا لتحصل المطابقة لكن عدل عن الظاهر اكتفاء بحصولها من حيث المعنى مع إدماج فوائد زوائد ، بيان ذلك أن الغرض المسوق له الكلام توبيخ هؤلاء في منهم بإيمانهم بأنهم خلوا عنه أولاً وبأنهم الممتنون إن صدقوا ثانياً ، فالأصل في الإرشاد إلى جوابهم قل كذبتم ولكن أخرج إلى ما هو عليه المنزل ليفيد عدم المكافحة بنسبة الكذب ، وفيه حمل له عليه الصلاة والسلام على الأدب في شأن الكل ليصير ملكة لأتباعه وأن لا يلبسوا جلد النمر لمن يخاطبهم به وتلخيص ما كذبوا فيه) [1] .

١٥. ابن عاشور (تعليماً لهم بالفرق بين الإيمان والإسلام فإن الإسلام مَقرُّه اللسان والأعمالُ البدنية ، وهي قواعد الإسلام الأربعة : الصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج الكعبة الوارد في حديث عمر عن سُؤال جبريل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتأتي الزكاة وتصوم رمضان وتحُجّ البيت إن استطعتَ إليه سبيلا» فهؤلاء الأعراب لما جاءوا مظهرين الإسلام وكانت قلوبهم غير مطمئنة لعقائد الإيمان لأنهم حديثو عهد به كذبهم الله في قولهم « آمنَّا » ليعلموا أنهم لم يخف باطنهم على الله ، وأنه لا يتعدّ بالإسلام إلا إذا قارنه الإيمان ، فلا يغني أحدهما بدون الآخر ، فالإيمان بدون إسلام عناد ، والإسلام بدون إيمان نفاق ، ويجمعهما طاعة الله ورسوله ﷺ) [2] .

١٦. الطباطبائي (الفرق بين الإيمان والإسلام بأن الإيمان معنى قائم بالقلب من قبيل الاعتقاد ، والإسلام أمر قائم باللسان والجوارح فإنه الاستسلام والخضوع لسانا بالشهادة على التوحيد والنبوة وعملا بالمتابعة العملية ظاهرا سواء قارن

---

١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ١٦٧/٢٦ .
٢) تفسير التحرير والتنوير : ٢٦/ ٢٦٤.

الاعتقاد بحقية ما شهد عليه وعمل به أو لم يقارن ، وبظاهر الشهادتين تحقن الدماء وعليه تجري المناكح والمواريث .)[١] .

١٧. مكارم الشيرازي (الفرق بين «الإسلام» و«الإيمان» في أنّ : الإسلام له شكل ظاهري قانوني ، فمن تشهد بالشهادتين بلسانه فهو في زمرة المسلمين وتجري عليه أحكام المسلمين . أمّا الإيمان فهو أمر واقعي وباطني، ومكانه قلب الإنسان لا ما يجري على اللسان أو ما يبدو ظاهراً ! الإسلام ربّما كان عن دوافع متعدّدة ومختلفة بما فيها الدوافع الماديّة والمنافع الشخصية ، إلاّ أنّ الإيمان ينطلق من دافع معنوي، ويسترفد من منبع العلم ، وهو الذي تظهر ثمرة التقوى اليانعة على غصن شجرته الباسقة ! وهذا ما أشار إليه الرّسول الأكرم ﷺ في تعبيره البليغ الرائع : « الإسلام علانية والإيمان في القلب » . كما إنّا نقرأ حديثاً آخر عن الإمام الصادق يقول فيه: الإسلام يحقن الدم .)[٢] .

ونقول لكل من قال ان الإيمان أخص من الإسلام ، ان هذا الكلام فيه نظر فان كان المقصود ان الإسلام عام من حيث كونه دين الله تعالى في الأرض وتدخل فيه كل الشرائع السماوية التي أنزلها تعالى على أولي العزم من الرسل وان الإيمان خاص من حيث إذا كان المطلوب أو المراد به كل من آمن أو اتبع الشريعة المحمدية الخاتمة كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٣] ، فمن الواضح هنا ان الذين آمنوا هم أصحاب الشريعة المحمدية لأنه تعالى قد فصل بينهم وبين الشرائع والملل الأخرى ، وعلى هذا المفهوم يكون الكلام في خصوصية الايمان وعمومية الإسلام طابق المراد القرآني ، أما ان كان كلامهم

١) الميزان في تفسير القرآن :١٨/ ٣٣٢ .
٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :١٣/ ١٣٨ .
٣) الحج / ١٧ .

منحصراً على أصحاب الشريعة المحمدية فالمراد القرآني عكس ما ذهبوا اليه لأن الإيمان يعم كل من صدق ووثق وإطمئن بالشريعة المحمدية والإسلام خاص بالذين إتبعوها وطبقوا تعاليمها .

المبحث الخامس - التقوى في كتاب الله تعالى :

التقوى والمتقون والمتقين واتقى واتقوا والوقاية ... هي تصريفات للجذر اللغوي (وقي) والوقاية مفردة دارجة مفهومة لدى عامة الناس حيث لم يخالطها التداخل الحاصل في اللغات ولم يذهب مفهومها مع مرور الزمن واتصال العالم مع بعضه البعض ، ومن مِنَ الناس لم يسمع المقولة المأثورة (الوقاية خير من العلاج) فهي الحماية والصيانة ومنه معنى (وقي) وهو دفع شيء بشيء آخر ، فعند عمل حمية غذائية مثلاً ضد الزيوت والدهون لدفع الإصابة بأمراض القلب وتصلب الشرايين ، إذن هي تجنب وعمل وخشية فتجنب أخذ الدخان والعمل على تركها خشية الإصابة بالسرطان هو أحد أساليب الوقاية من السرطان فنقول عنه وقى نفسه المرض، وهذا هو المفهوم العام ولا يكاد المعنى يكون مختلفا عنه في المعاجم اللغوية حيث يقول ابن فارس (« وقى » الواو والقاف والياء: كلمةٌ واحدة تدلُّ على دَفْعِ شيءٍ عن شيءٍ بغيره. ووقيْتُه أَقِيه وَقْياً. والوِقاية: ما يقي الشَّيء. واتَّقِ اللهَ: تَوَقَّهُ، أي اجعل بينَك وبينه كالوِقاية. قال النَّبي ﷺ : "اتَّقُوا النّارَ ولو بِشقّ تَمرة"، وكأنّه أراد: اجعلوها وقايةً بينكم وبينها.) [1] وقال الفراهيدي (وقى : وكل ما وقى شيئا فهو وقاء له ووقاية، تقول: توق الله يا هذا، و " من عصى الله لم تقه منه واقية إلا بإحداث توبة "ورجل تقي وقي .)[2] وقال ابن منظور (« وقي » وقاهُ اللهُ وَقْياً وَوِقايةً وواقِيةً صانه قال أبو معقل الهذلي فعاد عليك إن لكن حظا وواقية كواقية الكلاب وفي الحديث فوقى أحدكم وجهه النار وقيت الشيء أقيه إذا صنته وسترته عن الأذى وهذا اللفظ خبر أُريد به الأمر أي ليق أحدكم وجهه النار بالطاعة والصدقة وقوله في حديث معاذ وتوق كرائم أموالهم أي تجنبها ولا تأخذها في الصدقة لأنها تكرم على أصحابها وتعز فخذ الوسط لا العالي ولا النازل وتوقى

---

١) معجم مقاييس اللغة : ١٣١/٦.

٢) كتاب العين :٣٩٤/٤ .

واتقى بمعنى ومنه الحديث تبقه وتوقه أي استبق نفسك ولا تعرضها للتلف وتحرز من الآفات واتقها .... ووقاه صانه ووقاه ما يكره ووقَّاه حماه منه والتخفيف أعلى وفي التنزيل العزيز فوقاهم الله شر ذلك اليوم والوِقاءُ والوَقاء والوِقايةُ والوَقايةُ والوُقايةُ والواقِيةُ كل ما وقيت به شيئا وقال اللحياني كل ذلك مصدر وقيته الشيء وفي الحديث من عصى الله لم يقه منه واقية إلا بإحداث توبة ... ويقال وقاك الله شر فلان وقاية وفي التنزيل العزيز ما لهم من الله من واق أي من دافع ووقاه الله وقاية بالكسر أي حفظه والتَّوْقِيةُ الكلاءة والحفظ قال إن المُوَقَّى مِثلُ ما وقَّيْتُ وتَوَقَّ واتَّقى بمعنى وقد توَقَّيْتُ واتَّقَيْتُ الشيء وتَقَيْتُه أَتَّقِيه وأَتْقِيه تُقًى وتَقِيَّةً وتِقاء حذرته الأخيرة عن اللحياني والاسم التقوى التاء بدل من الواو والواو بدل من الياء وفي التنزيل العزيز وآتاهم تقواهم أي جزاء تقواهم وقيل معناه ألهمهم تقواهم وقوله تعالى هو أهل التقوى وأهل المغفرة أي هو أهل أن يتقى عقابه وأهل أن يعمل بما يؤدي إلى مغفرته وقوله تعالى يا أيها النبي اتق الله معناه اثبت على تقوى الله ودم عليه .)[1] وقال الجرجاني (التقوى في اللغة : بمعنى الاتقاء، وهو اتخاذ الوقاية، وعند أهل الحقيقة : هو الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك، والتقوى في الطاعة: يراد بها الإخلاص، وفي المعصية : يراد بها الترك والحذر، وقيل : أن يتقي العبد ما سوى الله تعالى، وقيل : المحافظة على آداب الشريعة، وقيل : مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى، وقيل: ترك حظوظ النفس ومباينة النهى، وقيل: ألا ترى نفسك خيراً من أحد، وقيل: ترك ما دون الله، والمتبع عندهم، هو الذي اتقي متابعة الهوى، وقيل : الاهتداء بالنبي ﷺ قولاً وفعلاً..)[2] ، واذا أردنا المعنى الخاص أو لنعبر عنه المعنى الديني الذي يشمل الفقة والعقائد والتفسير ... فهو لا يبعد كثيراً فاتقاء النار أو العذاب الذي توعد به تعالى يكون بإجتناب كل ما منه ان يقرب اليها والعمل بكل ما

١) لسان العرب : ٢٨١/٢٠ .

٢) التعريفات : ٥٨ .

منه ان يبعد عنها خشية الدخول فيها وتقوى الله ﷻ هو إجتناب نواهيه والعمل بأوامره وكل ما يرضيه خشية غضبه وعقابه الشديد وانتقامه وهذا مؤيد بكثير من الموارد القرآنية منها على سبيل المثال :

١. قوله تعالى ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾[١] خطاب لجميع الناس للوقاية من النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للذين كفروا بربهم ولم يعبدوه كما بينتها الآيات السابقة لهذه الآية[٢] ، وهو من الواضحات تحقق مفهوم تجنب وعمل وخشية فتجنب الكفر والعصيان والعمل على عبادة الله ﷻ خشية الدخول في النار التي وقودها الناس والحجارة .

٢. قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٣] فاجتناب الربا والعمل بما أحل الله تعالى خشية غضبه .

٣. قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[٤] ، حيث ان المعنى واضح في هذه الآية المباركة .

---

١) البقرة / ٢٤ .

٢) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ البقرة .

٣) آل عمران / ١٣٠ .

٤) المائدة / ٢ .

واذا ما تتبعنا الموارد القرآنية نجد ان التقوى هي درجة تأتي بعد الايمان وبوابة الدخول في الاسلام أو بمعنى آخر هي أولى درجات السلم في الاسلام حيث ان الايمان بالله تعالى وكتبه المنزلة ورسله وان الله ﷻ خالق كل شيء وقادر على كل شيء وله ان يثيب أو يعاقب وان الكتب السماوية منزلة منه بما فيها من تعاليم ونواهي ومحرمات وأوامر وان الرسل الذين بعثهم مبشرين ومنذرين يقود الى التقوى هذا أولا وثانياً ان هذا التصديق والثقة والطمأنينة بكل ما ورد أعلاه تبعث على الخشية من العقاب والطمع في الثواب وبالتالي التقوى من الله والتي مؤداها الى التسليم والانقياد وهو الاسلام ، اذن فهي اولى درجات الاسلام ومن الادلة على ذلك:

١. قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[1] ، فمن الملاحظ في الآية المباركة ان الخطاب للمؤمنين بتقوى الله فان كانوا يجتنبون النواهي والمحرمات ويطيعون الأوامر أصبح التوجيه لهم بالتقوى زيادة ولغوا وحاشا لله وان كانوا مسلمين فهم مسلمين ومنقادين لله ولا يحتاجون الى هذا التوجيه اذن فالتوجيه بتقوى الله تعالى للمؤمنين كان لحاجتهم اليه لكي يتقوا الله ولما يتقوه فلا يكفي هذا فلابد ان يسلموا وينقادوا الى الله تعالى قبل موتهم فكانت الآية مبينة لهذه الدرجات من خلال الترتيب التي جاءت به مفرداتها .
٢. اذا راجعنا الموارد القرآنية مثل قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[2] نجد انه الايمان وحده لا يكفي للمثوبة وانما يتطلب التقوى اذن هي درجة أعلى من الايمان .
٣. ان الخطاب القرآني فرق بين الذين آمنوا والذين إتقوا وفيه دلالة واضحة على ان المؤمنين صنف والمتقين صنف آخر كما في قوله تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا

١) آل عمران / ١٠٢ .
٢) البقرة / ١٠٣ .

﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1] .

٤. ان الخطاب القرآني بالتقوى فيما يخص أتباع الرسالة المحمدية الخالدة كان للذين آمنوا ولم يكن للذين أسلموا او المسلمين أو ما شابه كما في قوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[2] مما يدل على ان الذين آمنوا هم المطلوب منهم ان يتقوا الله تعالى .

٥. كما بينا سابقا في مبحث (المؤمنون والمسلمون) ان الله تعالى لم يعد الذين آمنوا بالثواب الا وقد قرنه بالعمل الصالح[3] بينما كان هناك وعد صريح وواضح بالجنات للمتقين كما في قوله تعالى ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ

---

١) البقرة / ٢١٢ .

٢) البقرة / ٢٧٨ ، وقوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ البقرة / ٢٨٢ ، وقوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ المائدة / ٨ ، وقوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ المائدة / ١١ ، وقوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ المائدة / ٣٥ ، وقوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ التوبة / ١١٩ ، وقوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ الأحزاب / ٧٠ .

٣) راجع مبحث المؤمنون والمسلمون : ١٤٩ .

اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[1] وقوله تعالى ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾[2] وهو ما يدل على علو درجتهم عن المؤمنين .

٦. ان القرآن الكريم لم يصرح بان الله تعالى يحب المؤمنين ولو في مورد واحد بينما صرح في موارد عديدة بأنه تعالى يحب المتقون لأنهم اجتنبوا نواهيه ولم يعملوا بالمحرمات وعملوا بأوامره وهذا دليل على علو درجتهم عن المؤمنين كما في قوله تعالى ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[3] وقوله تعالى ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[4] .

٧. ان الله تعالى عندما ذكر أهل الكتاب بين ان الايمان وحده لا يكفي لتكفير السيئات ودخول الجنات بل يتطلب منهم التقوى إضافة الى الايمان كما في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[5] .

٨. الذين اتقوا هم أعلى درجة أيضاً من المؤمنين الذين عملوا الصالحات فقط وهذا ما فصله القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

---

١) آل عمران / ١٥ .
٢) آل عمران / ١٩٨ .
٣) آل عمران / ٧٦ .
٤) التوبة / ٤ .
٥) المائدة / ٦٥ .

﴿الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1] .

هذه بعض الأدلة التي سقناها من الآيات المباركة وهناك غيرها الكثير بالاضافة الى ان القرآن الكريم قد بين من هم المتقين وقال عنهم (أولئك هم المتقون) وقال عنهم بأنهم من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس[2] والذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس[3] والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون[4] والذي جاء بالصدق وصدق به[5] ، اضافة الى الآيات الأخرى التي تصف ما مطلوب من المتقين مثل قوله تعالى﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ

---

١) المائدة / ٩٣ .

٢) ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ البقرة / ١٧٧ .

٣) ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ آل عمران / ١٣٤ .

٤) ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ آل عمران .

٥) ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ الزمر / ٣٣ .

﴿الْمُتَّقِينَ ﴾[1] فحتى الاعتداء على من اعتدى يكون فيه تقوى الله تعالى من خلال التعامل بالمثل وعدم الاسراف والطغيان ، أو قوله تعالى﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠) وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ(٢٤١) ﴾[2] وحق المطلقات من خلال إعطاء حقوقهن وعدم ظلمهن ومتاعهن من النفقة وغيرها يكون من واجبات المتقين وصفاتهم وهكذا لبقية الموارد التي يمكن الرجوع اليها في كتاب الله العزيز الذي بين الكثير من المصاديق للمتقين ومن هنا يتبين ان المتقين بالمعنى الذي قلناه ما هو الا مفهوم عام ينطبق عليه الكثير من المصاديق التي جاء بعضها في الكتاب العزيز وانها القيام بالطاعات وإجتناب المحرمات والنواهي خشية غضب الله تعالى وعقابه فهي غير الإسلام الذي يكون فيه ذلك طاعة وانقيادا وتسليماً لله تعالى عن معرفة وشكر، ولعله بالرجوع الى الروايات المباركة تجد هناك مصاديق أخرى نتركها لمحلها .

---

١) البقرة / ١٩٤ .

٢) البقرة .

المبحث السادس- الصراط المستقيم :

لاشك ان أتباع الرسالة المحمدية يرددون يومياً سورة الفاتحة في صلواتهم وفي مجالس العزاء وحتى في أفراحهم ولعل أول شيء يحفظه الطفل المسلم من الكتاب العزيز هو هذه السورة المباركة ، وكل المؤمنين يطلبون الهداية الى الصراط المستقيم بل هو غايتهم ومتمناهم يقول تعالى ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾[1] ، ولكي يكون الناس على إطلاع بما يطلبون فلابد من معرفة ما هو الصراط المستقيم الذي ندبنا الباري ﷻ لطلب الهداية اليه وهذا ما سنستشعره من الكتاب نفسه لكن في البدء لابد من معرفة من هم الذين أنعم الله عليهم لأن هذا الصراط هو صراطهم كما بينت الآيات المباركة ومن هم المغضوب عليهم الذين قصدهم في الآية المباركة ومن هم الضالون الذين لم يلتزموا هذا الصراط فهذه كلها مطالب مهمة للولوج الى الصراط المستقيم ، وردت فيها آراء وأقوال كثيرة إضافة الى الروايات حول الصراط المستقيم فقد تكاثرت بين وعد ووعيد ، فمن هُدي الى الصراط المستقيم قد نجى بإذن الله تعالى ، وما لم تحط بشيء من المعرفة الى ما ينجيك فكيف تتجنب ما يوقعك عنه ويجرفك الى غيره فتدبر المعنى يعطي نسبة كبيرة في نجاح المطلوب ومن لا يعرف ما يطلب لا يناله فكانه يبحث عن أبرة في كومة قش فنيل المنى يبدأ من معرفة ما يتمنى .

---

١) الفاتحة .

١. تعريف الصراط المستقيم :

الصراط عرفه علماء اللغة بأنه الطريق الواضح حيث قال ابن فارس («صرط» الصاد والراء والطاء وهو من باب الإِبدال، وقد ذكر في السين، وهو الطَّرِيق.)[١] ، وقال ابن منظور (والسِّراطُ السبيل الواضح والصِّراط لغة في السراط والصاد أَعلى لمكان المُضارَعة وإِن كانت السين هي الأَصل)[٢] وفي القرآن الكريم موارد عديدة تبين انه كذلك منها قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾[٣] وقوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[٤] وليس شرطا ان يكون الصراط قائداً الى النعيم بل قد يكون قائداً الى الجحيم كما في قوله تعالى ﴿ مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾[٥] وكلاهما واضح المعالم مع إختلاف السالكين لهما لإختلاف طريقة سلوكه . وكما ملاحظ ان الموارد القرآنية المباركة تفيد انه طريق واضح المعالم بيّن وله دلالاته وعمله وسالكيه وانه يستوعب كل مُريديه وطالبيه ، أما مفردة مستقيم فهي مفردة متداولة في اللغة العربية وما يزال إستعمالها وارداً وبكثرة حتى في الأواسط العلمية وهي تدل على الاستقامة بمعنى عدم الميلان والانحراف الى جهة ما ، إضافة الى كونها أقصر مسافة موصلة بين نقطتين ، ومنها يمكن القول بان الصراط المستقيم هو الطريق الواضح المُبينْ ذو الدلالة الذي لا ميل فيه ولا انحراف الموصل الى الغاية بأقصر مسافة ، وعندما

---

١) معجم مقاييس اللغة :٣٤٩/٣ .
٢) لسان العرب :١٨٥/٩.
٣) الأعراف / ٨٦ .
٤) الملك / ٢٢ .
٥) الصافات / ٢٣ .

نقول انه واضح ومبين ذو دلالة لأسباب منها ان القرآن الكريم استعمل مفردة طريق[١] وسبيل[٢] ولو كان يريد بهما نفس المفردة وبنفس الأوصاف فهذا خلاف الحكمة ، ولكن لكل طريق ولكل سبيل أوصافه وخواصه ونوع سالكية الخاصين به[٣] فباستعمال مفردة صراط انما ميز هذا الطريق عن غيره بالأواصاف التي ذكرت ولهذا لم تجد ان القرآن ولو لمورد واحد جمع مفردة صراط وانما أوردها بصيغة المفرد في حين ان سبيل مثلا قد ذكرت بصيغة الجمع كما في قوله ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٤] هذا أولا ، أما ثانيا . ان الذي يدل ويرشد الى هذا الطريق دون غيره هو الله ﷻ وحده فوضع العلامات اللازمة ليسلكه الناس كما سيأتي خلال البحث ، وثالثا . الوضوح يأتي من خلال انه تعالى بيَّن متبعي هذا الصراط وكيفية سلوكه وانه منوط بكل خير وصلاح وسعادة وتعايش سلمي وضمان لكل الحقوق في الدنيا ولكونه أقصر طريق يصل به الانسان الى النجاة في الآخرة .

وعندما تتابع الموارد القرآنية تجد ان الله تعالى ليهدي المؤمنين دون غيرهم من الناس الى الصراط المستقيم بعدة آيات مباركات[٥] ، اما الذين لا يؤمنون فهم عنه

---

١) ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ النساء / ١٦٩ .
٢) ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ البقرة / ٢١٥ .
٣) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ النساء / ١٦٨، وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾ طه / ٧٧ .
٤) النحل / ١٥ .
٥) ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ البقرة / ٢١٣ ، وقوله تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ

مائلون ومنحرفون لقوله تعالى ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴾[1] ونكب بمعنى مال وعدل[2] ، وان هذه الهداية[3] تكون بمشيئته تعالى[4] وإذنه ﷻ[5] فمن يجعله الله تعالى على صراط مستقيم ومن يشأ يضلله[6] ، والرسل والانبياء الذين يبعثهم الله ﷻ وأنزل معهم الكتب السماوية وأيدهم بالوحي لها دور في الهداية الى الصراط المستقيم[7] من خلال اتباعهم وعبادة الله ﷻ لان دعوة الرسل عليهم السلام بما جاء من الله تعالى وهو الحق هي دعوة الى

إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ النساء / ١٧٥، وقوله تعالى ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ الحج / ٥٤ ، وقوله تعالى ﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ الفتح / ٢٠ .

١) المؤمنون / ٧٤ .

٢) معجم مقاييس اللغة : ٥/ ٤٧٤ ، وكتاب العين : ٢٦٢/٤ ، ولسان العرب :٢٦٧/٢ ، ومختار الصحاح :٢٨٢ .

٣) الهداية تعني الارشاد والدلالة والتبيين راجع معجم مقاييس اللغة :٤٢/٦ ، ولسان العرب : ٢٠/ ٢٢٨ ، ومختار الصحاح : ٢٨٨ .

٤) ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ البقرة / ١٤٢ ، وقوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ يونس / ٢٥ ، وقوله تعالى ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ النور / ٤٦ .

٥) ﴿ الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ إبراهيم / ١ .

٦) ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ الأنعام / ٣٩ .

٧) ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ مريم / ٤٣ ، وقوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ الشورى / ٥٢ .

الصراط المستقيم[1] وهي لا تخرج عن كونها بمشيئته تعالى ، اذن هذه الهداية التي تكون باذنه ومشيئته منوطة بالإيمان ، ومن هنا يأتي الجواب على اشكال قد يقع في ذهن من أشكل وهو اذا كانت الهداية الى الصراط المستقيم باذن الله ومشيئته فما هو دور الانسان فيها ولماذا يحاسب ان لم يكن الله تعالى قد هداه ولم تكن للإنسان فيها مشيئة ؟ الجواب هو بالإيمان والتقوى والدعاء والاستعداد النفسي والعقلي للطاعة والتنفيذ واتباع التعليمات ونكران النفس الانانية وعدم حب الانا وحب الخير والابتعاد عن الشيطان والاعتصام بالله والتوكل عليه يكون بها الانسان أرضاً خصبة لقبول الهداية وحلول المشيئة الإلهية ، وبذلك يكون الأمر قد رجع إلى الانسان في قبول الهداية وحلول المشيئة .

٢. ما هو الصرط المستقيم :

الان وبعد ان عرفنا معنى الصرط المستقيم نريد ان نعرف ما هو المراد من الصراط المستقيم في الكتاب العزيز وبالرجوع الى النصوص القرآنية نجد انه مفهوم عام يشمل إتباع كافة التعاليم التي جاء بها الرسل والانبياء من خلال الكتب السماوية ومما أوحاه الله تعالى وهذه التعاليم لها مصاديق تشمل كافة مفردات الحياة الدنيوية سواء السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية ، فالسياسية مثلاً من خلال التعامل الصادق المبني على الاحترام وعدم التجاوز على حقوق الاخرين والحكم بما يرضي الله ﷻ[2] والاقتصادية مثلا من خلال التعامل المالي الامين بين الدول بعضها مع بعض وبين الافراد بعضهم مع بعض بما لا يؤدي الى ضياع الحقوق ، والاجتماعية من خلال تعامل الافراد مع بعضهم إبتداءً من

١) ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ المؤمنون / ٧٣ .

٢) ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ ص / ٢٢ .

مستوى الاسرة صعودا الى مستوى الدول بعضها مع البعض[1] ، وأما الدينية فهي ما يتعلق بالتوحيد وعبادة الله الواحد الأحد[2] ، وان كان الله تعالى يهدي المؤمنين فالعمل وفقها يشمل الانسان منذ بداية إيمانه وتقواه واسلامه وليس مختصا بمرحلة معينة فكل هذه الدرجات تحتاج الى طلب الهداية من الله تعالى الى الصراط المستقيم فالمسلم وان سلم وانقاد وعبد الله فما زال يحتاج الى الهداية ليرتقي في درجات الكمال ليصل الى ما يتمناه مع الذين انعم الله عليهم[3] لأن الشيطان لعنه الله قد توعد بإضلال الانسان وحرفه عن الصراط[4] ومن هنا يبقى الانسان محتاجا الى الهداية فندب الى ذلك في قوله تعالى ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ

---

١) ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ البقرة / ٢١٣ ، وقوله تعالى ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعام ، وقوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ المؤمنون / ٧٣ .

٢) ﴿ إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ آل عمران / ٥١ ، وقوله تعالى ﴿ { مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ مريم .

٣) ﴿ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ النساء .

٤) ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الأعراف / ١٦ ، وقوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ الزخرف .

الْمُسْتَقِيمَ ﴾[1] ، واذا ما رجعنا الى قول الشيطان عليه لعائن الله الذي نقله الينا القرآن الكريم نجد بانه اعتراف ضمني من قبله لعنه الله بأن تعاليم الله تعالى الحقة وأوامره ونواهيه وما حرم وتوحيده وعبادته هي الصراط المستقيم لذلك فان الذين هداهم الله تعالى الى الصراط المستقيم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[2] ولم يكن للشيطان سلطان ليضلهم﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) ﴾[3] وهذا هو السبب الذي من أجله جاءت ضرورة طلب الهداية المستمر من المؤمنين الى الصراط المستقيم ومن هنا يكون الصراط المستقيم هو الضامن لصلاح الناس وان تعم الخيرات والعدالة والانسانية ومنع الخلافات والاختلاف والصرعات والنزعات ويأتي على رأس كل ذلك العبادة الحقة لله تعالى التي جاءت منها أغلب الصراعات والنزاعات لإختلاف الناس كونهم لم يتبعوا البينات التي جاءتهم من الله تعالى فانحرفوا عن الصراط المستقيم وهذا ما يمر به المجتمع الانساني من حروب ودمار عمَّ كافة أرجاء المعمورة فلا تكاد تخلو بقعة من حرب أو قتل أو دمار أو انتهاك لحقوق الانسانية والمجتمع ولو اتبعوا ما جاءت به الرسل والانبياء من تعاليم وهدوا الى الصراط المستقيم لعم الخير كل من عليها ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[4] ، وعندئذ يتبين ان الصراط المستقيم هو من يوصل الى أعلى درجات الكمال سواء على مستوى الانسان او المجتمع في

١) الفاتحة / ٦ .
٢) النساء / ٦٩.
٣) الحجر .
٤) الأعراف / ٩٦ .

أقصر مسافة ، وعليه فالصراط المستقيم هو دستور للحياة المنعمة مرتبط بالحياة الدنيا إرتباطا مباشراً لأن العمل منوط بالحياة الدنيا ولا عمل في الحياة الآخرة التي هي دار ثواب وعقاب وحياة بلا عمل ، وحصاده نتاج إتباع الصراط المستقيم في الحياة الدنيا من خلال الازدهار الذي يعم ، أما ثوابه وعقابه من خلال الاتباع أو الانحراف فيكون ﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[١] ولعل هذا ما دلت عليه الروايات ان صحت[٢] فانما تمثله بهذه الصورة من حيث ان

---

١) الأنعام .

٢) « أخبرنا الحسين بن عبد الله بن يزيد القطان بالرقة ومحمد بن الحسن بن قتيبة بعسقلان وجماعة قالوا حدثنا إبراهيم بن هشام الغساني قال حدثنا أبي عن عروة بن رويم اللخمي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ من كان وصلة لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في مبلغ بر أو تيسير عسر أجازه الله على الصراط يوم القيامة عند دحض الأقدام . » صحيح ابن حبان الحديث ٥٣١ : ١٤٢، و« حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبرهما : أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال (هل تمارون في القمر ليلة بدر ليس دونه حجاب) . قالوا لا يا رسول الله قال (فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب) . قالوا لا قال (فإنكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبع فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان) . قالوا نعم قال (فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار فكل ابن أدم تأكله النار إلا أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد » صحيح البخاري الحديث رقم ٨٠٦ : ١٦٥، و« محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن

الأعمال تتمثل يوم الحساب فالخير والحق يُسهلان الحساب ويجعل الطريق يسيراً وواسعاً للثواب ، والانحراف يجعل الحساب عسيراً وطويلاً فكل انحراف حصل يزيد من درجات الوقوع بالحميم ، وهذا ما دلت عليه الروايات الواردة منها ، عن المفضل بن عمر ، قال : سألت أبي عبد الله عليه السلام عن الصراط فقال : (هو الطريق الى معرفته عز وجل وهما صراطان : صراط في الدنيا وصراط في الآخرة ، فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة ، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه ، مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة ، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم)[1] ، والاقتداء بهدى الإمام تتمثل بما أوردناه من أمور موصلة الى الكمال الانساني ثم تمثل هذا الكمال بصراط الذي هو الجسر على جهنم .

(ان القرآن جاء ليرسم هذا الطريق ، فهو المنهج الشامل الذي يحدد العلاقات العامة في هذا الكون ، ويمثل الانسان المحور الرئيسي فيه ، ويتعرض لكل مناحي حياة الانسان ويتناول تفاصيلها ، كما انه يحدد المواقف تجاه كل القضايا ، ولا يختص بجماعة من الناس دون أخرى ، بل يتكفل مسيرة الإنسانية ، حاضرها ومستقبلها ، ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[2] ، ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ

إسماعيل بن بزيع عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال أبو ذر رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول، حافتا الصراط يوم القيامة الرحم والامانة ، فإذا مر الوصول للرحم، المؤدي للأمانة نفذ إلى الجنة وإذا مر الخائن للأمانة ، القطوع للرحم لم ينفعه معهما عمل وتكفأ به الصراط في النار . » أصول الكافي : ٧٢١/٤ .

١) البرهان في تفسير القرآن : ١١٨/١ .

٢) الاسراء/٩ .

﴿ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إلا خَسَارًا ﴾[1] ... وهذا المنهج الصحيح هو الذي عبر عنه القرآن الكريم في مواضع عديدة بالصراط المستقيم ، والذي يمثل الطريق الى الكمال الإنساني ، وتمام النعمة للبشرية ، ومنتهى طموحاتها وآمالها)[2] .

٣. الأدلة على تعريف الصراط المستقيم :

من المؤيدات على ما ذهبنا اليه من تعريف الصراط المستقيم وما هو المراد منه إضافة الى ما سقناه نرجع الى الكتاب العزيز نجد عدة موارد تدل على ذلك منها :

أ. ان الاعمال التي يُتّبع فيها التعاليم الالهية هي من الهداية الى الصراط المستقيم ، فأمر تعالى أتباع الرسالة المحمدية الخالدة بتغيير القبلة فالذين أطاعوا فقد اتبعوا الصراط المستقيم ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[3] .

ب. الاعتصام بالله هي الهداية الى الصراط المستقيم لقوله تعالى ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[4] ، وجذر المفردة (عصم)[5] يدلُّ على إمساكٍ ومنْع وملازمة . فمثلا نقول إعتصم المتظاهرون في ساحة كذا أي اتخذوها مانعاً وتمسكوا بها ولازموها للمطالبة أو للتظاهر ، أو تقول إعتصم الجيش في القلعة أي اتخذوها موضعا أو حصناً فمسكوها لتكون مانعا لهم من

---

١) الاسراء/٨٢ .
٢) الاسراء/٨٢ .
٣) علوم القرآن : ٥٤ .
٤) آل عمران / ١٠١ .
٥) معجم مقاييس اللغة :٣٣١/٤ ، ومختار الصحاح : ١٨٣ , ولسان العرب :٢٩٧/١٥ .

الهجوم للدفاع عن انفسهم ، واتخاذ الله تعالى مانعاً وملازمته والتمسك به من الخوف يكون من الهداية الى الصراط المستقيم ، فالذين أمنوا بالله تعالى وإعتصموا به من بعد ان جاءهم البرهان من ربهم وانزل اليهم النور المبين ليستدلوا به يهديهم الله تعالى الى الصراط المستقيم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾[1] .

ت. العمل بالمواعظ التي أرادها الله تكون سبباً للهداية الى الصراط المستقيم كما في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾[2] .

ث. النور والكتاب المبين الذي جاء من الله تعالى لهداية من اتبع رضوانه وليخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه يهدي الى الصراط المستقيم كما في قوله تعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[3] . فكل ما جاء به الكتاب العزيز ليخرج الناس من الظلمات الى النور بإذنه تعالى فهو إخراج لهم الى صراط العزيز الحميد﴿ الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

---

١) النساء .

٢) النساء .

٣) المائدة .

﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[1] . وهو الصراط المستقيم لأن الله تعالى حق ويحب الحق ومن يتبعه فصراطه حق ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[2] .

ج. الايمان بالآيات التي جاءت بها الرسل ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (١٣٢) وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٣٣) وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى (١٣٤) قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى (١٣٥) ﴾[3] ، والسوي يدلُّ على استقامةٍ واعتدالٍ بين شيئين[4] ومن المعلوم ان الرسل عليهم السلام وأتباعهم على الصراط السوي وهو صراط الله تعالى أي على الصراط المستقيم .

ح. قلنا ان الهداية الى الصراط المستقيم تكون للمؤمنين وان الصراط يكون من خلال إتباع ما أنزل الله تعالى من آيات بينات﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[5] ، فالذي أُنزل من الرب يهدي الى صراط العزيز الحميد ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[6] وعليه فتكون الرسالة المحمدية على الصراط المستقيم لكونها خاتمة الرسالات وصاحبة خاتم

---

١) إبراهيم / ١ .
٢) هود / ٥٦ .
٣) طه .
٤) معجم مقاييس اللغة : ١١٢/٣.
٥) النور / ٤٦ .
٦) سبأ / ٦ .

الكتب السماوية المنزلة﴿ يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[١].

خ. القرآن الكريم بين مصاديقاً من الناس ممن هداهم الى الصراط المستقيم كما في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ﴾[٢].

د. هناك آيات مباركة صرحت وبصورة واضحة على ان هذا هو الصراط المستقيم منها :

١) تقوى الله وإطاعة الرسل وعبادة الله تعالى هي الصراط المستقيم ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾[٣].

٢) انشراح الصدر الى الاسلام الذي هو التسليم والانقياد لله تعالى هو الصراط المستقيم ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[٤].

---

١) يس .
٢) الأنعام .
٣) آل عمران .
٤) الأنعام .

والآية في مقام توضيح ان ما جاء من الله تعالى هو الخير والصلاح والصراط المستقيم فان آمنوا فان الله يشرح صدورهم للإسلام .

٣) إجتناب المحرمات هو الصراط المستقيم والتي بدورها تؤدي الى التقوى ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[١] ، وهذه الآيات توصي بإجتناب المحرمات التي هي من التقوى وبما إنها من تعاليم الله تعالى فتكون من الصراط المستقيم ، إذن فالصراط المستقيم يكون من خلال الدين القيم الحنيف ملة إبراهيم عليه السلام ويتحقق بالإسلام بالمعنى الذي بيناه فيما سبق ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[٢] ، ومن كان حنيفاً قانتاً لله ولم يكن من المشركين شاكراً لنعمة الله تعالى مثل إبراهيم هو من هداه الى الصراط المستقيم ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾[٣] .

---

١) الأنعام .

٢) الأنعام .

٣) النحل .

٤) عبادة الله تعالى هو الصراط المستقيم ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾[١].

٥) الاسلام هو الصراط المستقيم لأنه إتباع لتعاليم الكتاب العزيز وما أوحي الى الرسول ﷺ فالتمسك بها هو الصراط المستقيم ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[٢].

٦) إتباع الرسل هو الصراط المستقيم ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾[٣].

ولقائل ان يقول كيف نتعامل مع الروايات التي بينت ما هو الصراط المستقيم من سبيل قول أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عندما سئل عن الصراط حيث قال : (هو الطريق الى معرفته عز وجل وهما صراطان : صراط في الدنيا وصراط في الآخرة ، فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة ، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه ، مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة ، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم)[٤] ، وفي رواية أخرى عنه عليه السلام انه قال : (الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام)[٥] ، وفي رواية ثالثة عن زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام انه قال : (نحن أبواب الله ، ونحن الصراط المستقيم)[٦] . ونقول في المرتبة الأولى ان هذه الروايات لا تعارض فيها وموافقة بل مؤيدة بعضها لبعض ، في المرتبة الثانية ان هذه الروايات ماهي الا

---

١) يس .
٢) الزخرف / ٤٣ .
٣) الزخرف / ٦١ .
٤) البرهان في تفسير القرآن : ١١٨/١ .
٥) المصدر نفسه : ١١٨/١ ، وجامع الأخبار والآثار عن النبي والأئمة الأطهار عليهم السلام في تفسير القرآن ، محمد باقر الموحد الأبطحي : ١٦
٦) البرهان في تفسير القرآن : ١١٩/١ .

مصاديق الصراط المستقيم ففي قول الإمام (عليه السلام) فهو الإمام المفترض الطاعة ، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه ، فالاقتداء بهدى الامام هو من يوصل الى الكمال في الإنسانية على مستوى الفرد والمجتمع لأن الامام يهدي الى طريق الله (عز وجل) وهو الصراط المستقيم وكذا في قوله هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فهو مصداق لأن معرفته والاقتداء بهداه هو الصراط المستقيم الموصل الى ما يرضي الخالق ويرقى بالإنسانية ، إذن هذه الروايات هي مصداق للمفهوم العام من الصراط المستقيم تؤيد ما ذهبنا اليه .

٤. الذين أنعم الله عليهم :

لقد وردت مفردة (أنعم) بصيغة الفعل في سبعة عشر مورداً في آيات الكتاب العزيز منها خمس موارد بصيغة (أَنْعَمْتَ) بالفتح ، و ثلاث موارد بصيغة (أَنْعَمْتُ) ، وعشرة موارد بصيغة (أنعم) ، وهناك صيغ أخرى لكن الذي يهمنا هو الفعل من هذه المفردة دون التصريفات الأخرى ، وعند تتبع هذه الموارد في الكتاب العزيز نجد عدة ملاحظات أهمها :

أ- ان صاحب النعمة والذي ينعم على جميع الموجودات أولاً وأخيراً هو خالقها وربها الله (سبحانه وتعالى) وان لا ملجأ لها الا له بدليل قوله تعالى في جملة من آيات الكتاب العزيز منها :

١) ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾[١] .

٢) ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[٢] .

---

١) النحل / ٥٣ .

٢) المائدة / ٢٣ .

٣) ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[١].

ب- ان من أنعم الله عليهم يمكن ان ينعموا على غيرهم ولكن مآل هذه النعمة الى الله كما أنعم رسول الله ﷺ على زيد بالإسلام ورباه وزوجه بدليل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾[٢].

ت- ان هذه النعم التي أنعمها الله تعالى تستلزم الشكر كما فعل أنبياء الله عليهم السلام بدليل قوله تعالى :

١) ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾[٣].

٢) ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾[٤].

ث- ان نعمت الله تبارك وتعالى تحتاج الى تذكرها لتكون حافزاً الى شكره تعالى وتوحيده وعبادته وعدم الإشراك به كما في قوله تعالى مذكراً بني إسرائيل بذلك :

١) ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾[٥].

---

١) الزخرف / ٥٩ .
٢) الأحزاب / ٣٧ .
٣) النمل / ١٩ .
٤) الأحقاف / ١٥ .
٥) البقرة / ٤٠ .

٢) ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[1].

٣) ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[2].

ج- ان نعمة الله تعالى تحتاج الى الدعاء والذكر المستديم المتواصل وان لا يكون دعاؤه عندما يمسه الشر ويعرض عن الله تعالى اذا أصابته النعمة وان لا ييأس من رحمة الله تعالى كما في قوله تعالى :

١) ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴾[3].

٢) ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾[4].

بعد هذه المقدمة البسيطة نريد ان نتعرف على الذين أنعم الله عليهم والذي نعت الصراط المستقيم بأنه صراطهم ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾[5].

ان القرآن الكريم بيّن لنا في آيات مباركات وبأسماء صريحة وواضحة صنف من الذين أنعم الله تعالى عليهم من النبيين مثل نبي الله إبراهيم عليه السلام واسحق ويعقوب عليه السلام[6] وموسى عليه السلام[1] وهارون عليه السلام[2] وإسماعيل عليه السلام[3] وإدريس عليه السلام[4]

---

١) البقرة / ٤٧ .

٢) البقرة / ١٢٢ .

٣) الاسراء / ٨٣ .

٤) فصلت / ٥١ .

٥) الفاتحة / ٧ .

٦) ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ مريم / ٤٩ .

حيث قال تعالى عنهم ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾(٥) ، وهناك من غير الأنبياء ممن ذكره تعالى من الذين أنعم عليهم مثل زيد بن حارثة ﷺ في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا ﴾(٦) ، ورجلان من قوم نبي الله موسى عليه السلام اللذان نصحا قومهما بدخول الباب عندما أمرهم نبيهم بدخول الأرض المقدسة فأبوا وقالوا ان فيها قوماً جبارين في قوله تعالى ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(٧) ، وما بينته هذه الآيات المباركة كان أمثلة أو هو خاص من عام فالعام هو ما ورد في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾(٨) وكون من يطع الله والرسول مع الذين آمنوا لا يعني انه منهم فكون الشخص مع مجموعة ما ليس بالضرورة كونه منهم لكن يناله من الثواب والعطاء ما ينالهم فمثلا قولك أَكْرِم زيداً والعلماء لا يفهم منه ان زيد

---

١) ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ مريم / ٥١ .
٢) ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ مريم / ٥٣ .
٣) ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ مريم / ٥٤ .
٤) ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ مريم / ٥٦ .
٥) مريم / ٥٨ .
٦) الأحزاب / ٣٧ .
٧) المائدة / ٢٣ .
٨) النساء / ٦٩ .

عالماً ، إذن منها يتبين ان الذين أنعم الله عليهم هم النبيين والصدقين والشهداء والصالحين وهذا هو ما يطلبه المؤمن من الهداية الى ان يسلك طريقهم وينال درجاتهم ورفعتهم لذلك قال تعالى﴿ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾[1] .

٥. المغضوب عليهم :

بين القرآن الكريم المغضوب عليهم في عدة موارد ووصفهم وبين حالهم وهم :

أ. اليهود الذين كفروا بآيات الله تعالى وقتلوا النبيين بغير الحق وعصوا وكانوا يعتدون[2] .

ب. اليهود الذين كفروا بما أنزل الله تعالى[3] .

ت. اليهود بعبادتهم العجل[4] .

ث. الطغيان في ما رزق الله تعالى وان كان الكلام فيها مُوَجَّه الى اليهود الا إنه عام يشمل غيرهم من حيث ان القرآن عام وشامل لكل الأزمان والاحوال[1] .

---

١) النساء / ٦٩ .

٢) ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ البقرة / ٦١ ، وقوله تعالى ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ البقرة / ١١٢ .

٣) ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ البقرة / ٩٠.

٤) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ الأعراف / ١٥٢.

ج. من يقتل مؤمناً متعمداً[٢] .

ح. الذين رفضوا عبادة الله تعالى وحده وترك ما كان يعبد أباءهم[٣] .

خ. الفرار من الكفار يوم الزحف[٤] .

د. الذي يشرح بالكفر صدراً ويدعو الى الكفر بالله تعالى لإستحبابه الحياة الدنيا[٥] .

ذ. الذين يحاجون في دين الله من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه ليردوهم الى الضلالة والكفر[٦] .

ر. المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات الظانون بالله ظن السوء[٧] .

فهذه هي أصناف المغضوب عليهم التي ذكرها القرآن الكريم والتي يتجنب المؤمن الوقوع فيها وكلها مصاديق لمفهوم عام هو المغضوب عليهم .

---

١) ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾ طه / ٨١.

٢) ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ النساء / ٩٣.

٣) ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ الأعراف .

٤) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ الأنفال .

٥) ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ النحل / ١٠٦.

٦) ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ الشورى / ١٦.

٧) ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ الفتح / ٦.

٦. الضالين :

جاءت هذه المفردة من ضَلَّ والتي هي بمعنى ضياع الشيء وذهابه في غير حقه[١] وهذا أيضاً ما دلت عليه الموارد القرآنية كما في قوله تعالى﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾[٢] حيث ان الله تعالى أرشدنا إذ هدانا وكان الناس قبل ذلك ضائعين وقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾[٣] والتي تحكي لنا قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام أي ان لم يرشدني ربي سأصبح من الضائعين وهناك موارد أخرى تدل على نفس المعنى[٤].

لقد بين تعالى في كتابه العزيز من هم الضالون ومنهم :

أ. الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً[٥].

ب. الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله عز وجل[٦].

ت. الذين يعبدون من دون الله ما لا يملك ضراً ولا نفعاً[١].

---

١) معجم مقاييس اللغة : ٣/٤٦١ ، وكتاب العين :٣/٢٣ ، ومختار الصحاح :١٦٠ .

٢) البقرة / ١٩٨ .

٣) الأنعام / ٧٧ .

٤) ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ الشعراء / ٢٠ ، وقوله تعالى ﴿ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ الشعراء / ٨٦ ، وقوله تعالى﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴾ الصافات / ٦٩ .

٥) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ آل عمران / ٩٠.

٦) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ النساء / ١٦٧.

ث. الذين يقتلون أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله[٢].

ج. الذين لم يطيعوا الرسول ﷺ وأطاعوا ساداتهم وكبرائهم خلاف إطاعة الرسول ﷺ [٣].

ح. القانطون من رحمة الله ﷻ[٤].

خ. الذين يكذبون بآيات الله ﷻ[٥].

د. عدم الحكم بين الناس بالحق واتباع الهوى[٦].

ذ. الذين وصفهم الله ﷻ في سورة الواقعة بأنهم أصحاب الشمال[٧] وأنهم كانوا قبل الموت والحساب مترفين[٨] ، وكانوا يصرون على الذنوب العظيمة والمعصية[٩] ، وينكرون البعث بعد الموت[١] فنعتهم ﷻ بـ(الضالون المكذبون)[٢].

---

١) ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ المائدة .

٢) ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ الأنعام / ١٤٠ .

٣) ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ ﴾ الأحزاب .

٤) ﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ الحجر / ٥٦.

٥) ﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ المؤمنون .

٦) ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ ص / ٢٦.

٧) ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ الواقعة / ٤١.

٨) ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ الواقعة / ٤٥.

٩) ﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ ﴾ الواقعة / ٤٦.

وهؤلاء هم مصاديق المفهوم العام للضالين في الموارد القرآنية الصريحة ولعل للسنة المباركة تفصيل وأصناف أخرى من المصاديق ليس المقام مقام البحث فيها .

٧.أراء بعض المفسرين :

نقف هنا على آراء بعض المفسرين لمعرفة ما ذهبوا اليه في تفسير الصراط المستقيم :

أ. ينقل عن زيد بن علي عليه السلام (ت١٢٢هـ) انه قال في تفسير الصراط المستقيم (« الصراط » الطريق و« المستقيم » الواضح البين)[٣] .

ب. العياشي (ت٣٢٠هـ) (صراط الأنبياء وهم الذين أنعم الله عليهم)[٤] .

ت. ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ) (قوله : ﴿ الصراط المستقيم ﴾ [٣٢] حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثني يحيى بن اليمان ، عن حمزة الزيات ، عن سعد الطائي ، عن ابن أخي الحرث الأعور ، عن الحارث قال : دخلت على علي بن أبي طالب فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : الصراط المستقيم كتاب الله . الوجه الثاني : [٣٣] حدثنا أبي ، ثنا أبو صالح كاتب الليث ، حدثني معاوية بن صالح ان عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثه عن أبيه ، عن نواس بن سمعان الأنصاري ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : ضرب الله مثلا صراطاً مستقيما ، والصراط الاسلام . والوجه الثالث : [٣٤] حدثنا سعدان بن نصر البغدادي ، ثنا أبو النضر هاشم بن القاسم ، أنبأ حمزة ابن المغيرة ، عم عاصم الأحول ، عن أبي العالية ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال : هو النبي

---

١) ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ الواقعة / ٤٧.
٢) ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴾ الواقعة / ٥١.
٣) تفسير غريب القرآن ، المنسوب الى الشهيد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام : ١٢٠ .
٤) تفسير العياشي : ٣٦/١ .

ﷺ وصاحباه من بعده . قال عاصم : فذكرنا ذلك للحسن فقال : صدق أبو العالية ونصح . والوجه الرابع : [٣٥] ثنا يحي بن عبدك ، ثنا خالد بن عبد الرحمن المخزومي ثنا عمر بن ذرعن مجاهد في قوله ﴿ الصراط المستقيم ﴾ قال : الحق . [٣٦] حدثنا علي بن الحسين ، ثنا محمد بن العلاء أبو كريب ، ثنا عثمان بن سعيد الزيات ، ثنا بشر بن عمارة ثنا أبو روق عن الضحاك ، عن ابن عباس ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ يقول : ألهمنا دينك الحق ، وهو لا إله إلا الله وحده لا شريك له .)[١] .

ث. السمرقندي (« الصراط المستقيم » وهو الإسلام فإن قيل : أليس هو الطريق المستقيم؟ وهو الإسلام فما معنى السؤال؟ قيل له : الصراط المستقيم ، هو الذي ينتهي بصاحبه إلى المقصود . فإنما يسأل العبد ربه أن يرشده إلى الثبات على الطريق الذي ينتهي به إلى المقصود ، ويعصمه من السبل المتفرقة .)[٢] .

ج. الطوسي (أصل الاستقامة التقويم والاستواء في جهة الانتصار وهو ضد الاعوجاج فمنه القيام والتقويم والتقوم ومنه المقاومة لانه بمنزلة المماثلة بما هو كالاستواء وتقاوموا في الامر إذا تماثلوا والاستقامة المرور في جهة واحدة وقيل في معنى قوله : « الصراط المستقيم » وجوه : أحدها - إنه كتاب الله وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وعن علي عليه السلام وابن مسعود والثاني - انه الإسلام حكي ذلك عن جابر وابن عباس والثالث - انه دين الله عز وجل الذي لا يقبل من العباد غيره والرابع - انه النبي صلى الله عليه وآله والائمة (ع) القائمون مقامه صلوات الله عليهم وهو المروي في أخبارنا . التفسير: والاولى حمل الآية على عمومها لانا إذا حملناها على العموم دخل جميع ذلك فيه فالتخصيص لا معنى له.)[٣] .

---

١) تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين ،ابن أبي حاتم : ٣٠/١ .
٢) تفسير السمرقندي : ٨٢/١ .
٣) التبيان في تفسير :٤٢/١ .

ح. البغوي (والصراط المستقيم قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهما: هو الإسلام وهو قول مقاتل. وقال ابن مسعود رضي الله عنه : هو القرآن وروي عن علي رضي الله عنه مرفوعا "الصراط المستقيم كتاب الله" وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه : طريق الجنة . وقال سهل بن عبد الله: طريق السنة والجماعة. وقال بكر بن عبد الله المزني : طريق رسول الله ﷺ . [وقال أبو العالية والحسن: رسول الله وآله وصاحباه] وأصله في اللغة الطريق الواضح.)[1] .

خ. الزمخشري («السراط» : الجادّة ، من سرط الشيء إذا ابتلعه ، لأنه يسترط السابلة إذا سلكوه ، كما سمي : لقماً ، لأنه يلتقمهم . والصراط من قلب السين صاداً لأجل الطاء ، كقوله : «مصيطر» ، في «مسيطر» ، وقد تشم الصاد صوت الزاي ، وقرئ بهنّ جميعاً ، وفصاحهنّ إخلاص الصاد ، وهي لغة قريش وهي الثابتة في الإمام ، ويجمع سرطاً ، نحو كتاب وكتب ، ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل ، والمراد طريق الحق وهو ملة الإسلام .)[2] .

د. ابن عطية (واختلف المفسرون في المعنى الذي استعير له « الصراط » في هذا الموضع وما المراد به . فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « الصراط المستقيم » هنا القرآن وقال جابر : « هو الإسلام » يعني الحنيفية . وقال : سعته ما بين السماء والأرض . وقال محمد بن الحنفية : « هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره » وقال أبو العالية : « هو رسول الله ﷺ وصاحباه أبو بكر وعمر » . وذكر ذلك للحسن بن أبي الحسن ، فقال : صدق أبو العالية ونصح .) [3] .

ذ. الطبرسي (و قيل في معنى « الصراط المستقيم » وجوه . (أحدها) أنه كتاب الله و هو المروي عن النبي ﷺ و عن علي عليه السلام وابن مسعود (و ثانيها) أنه الإسلام و هو

---

١) تفسير البغوي : ٥٤/١ .

٢) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ٢٩.

٣) تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٤٥ .

المروي عن جابر و ابن عباس (و ثالثها) أنه دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره عن محمد بن الحنفية (والرابع) أنه النبي ﷺ و الأئمة القائمون مقامه و هو المروي في أخبارنا و الأولى حمل الآية على العموم حتى يدخل جميع ذلك فيه لأن الصراط المستقيم هو الدين الذي أمر الله به من التوحيد والعدل وولاية من أوجب الله طاعته .) [1] .

ر. ابن كثير (ثم اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط ، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد، وهو المتابعة لله وللرسول ؛ فروي أنه كتاب الله، قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثني يحيى بن يمان، عن حمزة الزيات ، عن سعد ، وهو أبو المختار الطائي، عن ابن أخي الحارث الأعور، عن الحارث الأعور، عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الصراط المستقيم كتاب الله » . وكذلك رواه ابن جرير، من حديث حمزة بن حبيب الزيات، وقد [تقدم في فضائل القرآن فيما] رواه أحمد والترمذي من رواية الحارث الأعور، عن علي مرفوعا: « وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم » .) [2] .

ز. السيوطي (ت٩١١هـ) (وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿ اهدنا الصراط المستقيم } يقول ألهمنا دينك الحق . وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله { اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال ألهمنا الطريق الهادي ، وهو دين الله الذي لا عوج له . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس قال « الصراط » الطريق . وأخرج وكيع وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والمحاملي في أماليه من نسخة المصنف والحاكم وصححه عن جابر بن عبد الله في قوله﴿اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال : هو الإسلام ، وهو أوسع مما بين السماء والأرض . وأخرج ابن جريج عن ابن

---

١) مجمع البيان في تفسير القرآن : ٣٤/١ .

٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٧٢ .

عباس قال « الصراط المستقيم » الإِسلام . وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود وناس من الصحابة « الصراط المستقيم » الإِسلام . وأخرج أحمد والترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الإِيمان عن النّواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ قال « ضرب الله صراطاً مستقيماً ، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : يا أيها الناس ادخلوا الصرط جميعاً ولا تتفرقوا . وداع يدعو من فوق : الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال : ويحك . لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه . فالصراط الإِسلام ، والسوران حدود الله ، والأبواب المفتحة محارم الله ، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله ، والداعي من فوق واعظ الله تعالى في قلب كل مسلم » . وأخرج وكيع وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو بكر بن الأنباري في كتاب المصاحف والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإِيمان عن عبد الله بن مسعود في قوله ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال : هو كتاب الله . وأخرج ابن الأنباري عن ابن مسعود قال : إن هذا الصراط محتضر تحضره الشياطين . يا عباد الله هذا الصراط فاتبعوه ، « والصراط المستقيم » كتاب الله فتمسكوا به . وأخرج ابن أبي شيبة والدرامي والترمذي وضعفه وابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن علي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ستكون فتن قلت : وما المخرج منها؟ قال : كتاب الله . فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل وليس بالهزل ، وهو حبل الله المتين ، وهو ذكره الحكيم ، وهو الصراط المستقيم » .)[1] .

س. الماوردي (وأما الصراط ففيه تأويلان : أحدهما : أنه السبيل المستقيم ، ومنه قول جرير : أَميرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِراطٍ ... إذَا اعْوَجَّ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيم والثاني : أنه

---

١) الدر المنثور : ٧٥/١.

الطريق الواضح ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُون ﴾ [الأعراف : ٨٦]
وقال الشاعر : . . . . فَصَدَّ عَنْ نَهْجِ الصِّرَاطِ الْقَاصِدِ وهو مشتق من مُسْتَرَطِ الطعام ، وهو ممره في الحلق .) [(١)] .

ش. الفيض الكاشاني (وعنه (عليه السلام) الصراط المستقيم في الدنيا ما قصر عن الغلو وارتفع عن التفصير واستقام وفي الآخرة طريق المؤمنين إلى الجنة. وفي المعاني عن الصادق (عليه السلام) : وهي الطريق إلى معرفة الله وهما صراطان صراط في الدنيا وصراط في الآخرة فأما الصراط في الدنيا فهو الامام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم. وعنه (عليه السلام): إن الصراط: أمير المؤمنين (عليه السلام) . وفي رواية اخرى: ومعرفته. وفي اخرى: أنه معرفة الامام ، وفي اخرى : نحن الصراط المستقيم . والقمي عنه (عليه السلام) : الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف فمنهم من يمر عليه مثل البرق ومنهم من يمر عليه مثل عدو الفرس ومنهم من يمر عليه ماشيا ومنهم من يمر عليه حبوا ومنهم من يمر عليه متعلقا فتأخذ النار منه شيئا وتترك منه شيئا . وفي رواية اخرى : أنه مظلم يسعى الناس عليه على قدر أنوارهم . أقول : ومآل الكل واحد عند العارفين بأسرارهم . وبيانه على قدر فهمك أن لكل انسان من ابتداء حدوثه إلى منتهى عمره انتقالات جبلية باطنية في الكمال وحركات طبيعية ونفسانية تنشأ من تكرر الأعمال وتنشأ منها المقامات والأحوال فلا يزال ينتقل من صورة الى صورة ومن خلق إلى خلق ومن عقيدة إلى عقيدة ومن حال إلى حال ومن مقام إلى مقام ومن كمال إلى كمال حتى يتصل بالعالم العقلي والمقربين ويلحق بالملأ الأعلى والسابقين إن ساعده التوفيق وكان من الكاملين أو بأصحاب اليمين إن كان من المتوسطين أو يحشر مع الشياطين وأصحاب الشمال إن ولاه الشيطان وقارنه الخذلان في المآل

١) النكت والعيون تفسير الماوردي :٥٨/١ .

وهذا معنى الصراط المستقيم ، ومنه ما إذا سلكه أوصله إلى الجنة وهو ما يشتمل عليه الشرع كما قال الله عز وجل : ﴿ وإنك لتهدى إلى صرط مستقيم﴾ صراط الله وهو صراط التوحيد والمعرفة والتوسط بين الأضداد في الأخلاق والتزام صوالح الأعمال .)[1] .

ص. محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٠٦هـ) (والصراط الطريق الواضح والمستقيم الذي لا عوج فيه ، والمراد بذلك الدين الذي أنزله الله على رسوله ﷺ وهو « صراط الذين أنعمت عليهم » وهم رسول الله ﷺ وأصحابه ، وأنت دائماً في كل ركعة تسأل الله ان يهديك طريقهم ؛ وعليك من الفرائض ان تصدق الله أنه هو المستقيم ، وكلما خالفه من طريق أوعلم أوعبادة ، فليس بمستقيم)[2] .

ض. ابن عجيبة (والصراط لغة : الطريق ، مشتق من سَرَط الطعامَ إذا ابتعله ، فكأنها تبتلع السابلةَ؛ أي المارَّة به ، وَقُلِبَتْ السين صاداً لتطابق الطاء في الإطباق ، وقد تُشَمُّ زاياً لقرب المَخرج ، و « المستقيم » : الذي لا عوج فيه ، والمراد به طريق الحق المُوصَّلة إلى الله .)[3] .

ط.الآلوسي (وعندي بعد الاطلاع على ما للعلماء وكل حزب بما لديهم فرحون أن الصراط المستقيم بتنوع إلى عام للناس وخاص بخواصهم والكل منهما صراط المنعم عليهم على اختلاف درجاتهم فالأول جسر بين العبد وبين الله سبحانه ممدود على متن جهنم الكفر والفسق والجهل والبدع والأهواء وهو الاستقامة على ما ورد به الشرع الشريف القوم علماً وعملاً وخلقاً وحالاً وهو الذي يظهر في الآخرة على متن جهنم الجزاء ممثلاً مصوراً بالتمثيل الرباني والتصوير الإلهي على حسب ما عليه العبد اليوم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد دون ذلك فلا يلومن إلا

١) تفسير الصافي : ٣٥/١ .
٢) تفسير آيات من القرآن الكريم ، الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب : ١٧/١ .
٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد : ٦١/١ .

نفسه وللتذكير بذلك الصراط لم يقل السبيل ولا الطريق وإن كان الكل واحداً ، الثاني طريق الوصول إلى الله تعالى ومن شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم لا حياة لهم فقد جاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل وتم سفره إلى الله تعالى ثم يتجدد له السفر فيه سبحانه وهو غير متناه لأن نعوت جماله وجلاله غير متناهية ولا يزال العبد يرقى من بعضها إلى بعض كما يشير إليه قوله ﷺ : « إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة » وهناك يكون عز شأنه يده وسمعه وبصره فبه يبطش وبه يسمع وبه يبصر ووراء ذلك ما يحرم كشفه فمتى قال العامي اهدنا الصراط المستقيم أراد أرشدنا إلى الاستقامة على امتثال أوامرك واجتناب نواهيك ومتى قال ذلك أحد الخواص أراد ثبتنا على ما منحتنا به وهو المروي عن يعسوب المؤمنين كرم الله تعالى وجهه وأبيّ رضي الله تعالى عنه وذلك لأن طالب هداية الطريق المستقيم ليسلكه له في سلوكه مقامات وأحوال ولكل منها بداية ونهاية ولا يصل إلى النهاية ما لم يصحح البداية ولا ينتقل إلى مقام أو حال إلا بعد الرسوخ فيما تحته والثبات عليه فما دام هو في أثناء المقام أو الحال ولم يصل إلى نهاية يطلب الثبات على ما منح به ليرسخ له ذلك المقام ويصير ملكه فيرقى منه إلى ما فوقه وذلك هو الفضل الكبير والفوز العظيم ، وللمحققين في معنى اهدنا وجوه دفعوا بها ما يوشك أن يسأل عنه من أن المؤمن مهتد فالدعاء طلب لتحصيل الحاصل .)[1] .

ظ.محمد عبده (ت١٣٢٣هـ) (أي انه قد وضع لنا صراطا سيبينه ويحدده وتكون السعادة في الاستقامة عليه ، والشقاوة في الانحراف عنه ، وهذه الاستقامة عليه هي روح العبادة ويشبه هذا قوله تعالى ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا

---

١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ٩٢/١.

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ فالتواصي بالحق والصبر هو كمال العبادة بعد التوحيد .)[1] .

ع. ابن عاشور (والأظهر عندي أن المراد بالصراط المستقيم المعارف الصالحات كلها من اعتقاد وعمل بأن يوفقهم إلى الحق والتمييز بينه وبين الضلال على مقادير استعداد النفوس وسعة مجال العقول النيرة والأفعال الصالحة بحيث لا يعتريهم زيغ وشبهات في دينهم وهذا أولى ليكون الدعاء طلب تحصيل ما ليس بحاصل وقت الطلب وإنَّ المرء بحاجة إلى هذه الهداية في جميع شؤونه كلها حتى في الدوام على ما هو متلبس به من الخير للوقاية من التقصير فيه أو الزيغ عنه . والهداية إلى الإسلام لا تُقْصَر على ابتداء اتباعه وتقلده بل هي مستمرة باستمرار تشريعاته وأحكامه بالنص أو الاستنباط . وبه يظهر موقع قوله : « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » مصادفاً المحز .)[2] .

غ. الطباطبائي (وأما الصراط فهو والطريق والسبيل قريب المعنى ، وقد وصف تعالى الصراط بالاستقامة ثم بين أنه الصراط الذي يسلكه الذين أنعم الله تعالى عليهم، فالصراط الذي من شأنه ذلك هو الذي سئل الهداية إليه وهو بمعنى الغاية للعبادة أي : إن العبد يسأل ربه أن تقع عبادته الخالصة في هذا الصراط .)[3] .

ف. السيد عبد الأعلى السبزواري (ت١٤١٤هـ) (وأما الصراط : فهو الطريق المؤدي الى المطلوب . والاستقامة هي الاستواء في مقابل الانحراف والاعوجاج . وانها تعم الجميع من الاعتقادات والملكات ، بل والخواطر النفسانية ، وأعمال الجوارح من العبادات والمعاملات والمجاملات ، فانها ان تطابقت مع رضاء الله تبارك وتعالى كانت مستقيمة ، والا فهي منحرفة .)[4] .

---

١) تفسير القرآن الحكيم ، المشتهر باسم تفسير المنار ، الشيخ محمد عبده : ٣٧/١ .
٢) تفسير التحرير والتنوير : ١٩١/١.
٣) الميزان في تفسير القرآن : ٣٠/١ .
٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري : ٥٢/١ .

ق. ابن عثيمين (ت١٤٢١هـ) (والمراد بـ﴿ الصراط ﴾ الطريق)[1] .

ك.وينقل الفلسفي الشيرازي في الحديث رقم (١٠) عن محمد بن مسلم عن أبا عبد الله عليه السلام ان رسول الله ﷺ قال : (.... ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾صراط الأنبياء ، وهم الذين أنعم الله عليهم ﴿ غيرالمغضوب عليهم﴾ اليهود ﴿ الضالين ﴾ النصارى)[2] .

ل. لجنة من علماء الأزهر(أما الصراط : فهو الطريق الذي يسلكه السائر الى المقصود ، وهو نوعان : حسي ومعنوي ؛ فالطريق الى بيتك حسي ، والطريق الى الله معنوي ، وهو الطاعة . ووصف الطريق بالمستقيم ، للاحترازعن الطريق المنحرفة المعوجة ، وهي طريق أهل الضلال والفساد .)[3].

---

١) تفسير القرآن الكريم ، ابن عثيمين : ١٦/١ .

٢) قدوة التفاسير في المأثور عن خاتم الأنبياء والمرسلين ، تصنيف الشيخ يحيى الفلسفي الشيرازي : ١١٠/١ .

٣) تفسير الوسيط للقرآن الكريم ، لجنة من العلماء ، بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: ٢١/١ .

المبحث السابع- بعث وأرسل :

ان ألفاظ القرآن الكريم ومفرداته منتقاة بعناية إلهية فهي كلام الرب ﷻ ليست ككلام المخلوق الذي يحتاج الى تنميق وبحث عن مفردات وعبارات للتعبير عن حالة معينة أو معنى معين ، فمن مميزات مفردات القرآن هي دقة الإختيار للمعنى المراد ، ومنها هاتان المفردتان التين نجدهما في آيات مباركة مثل قوله تعالى ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[1] وموضع الشاهد هنا ﴿ بعث فيهم رسولا ﴾ وفي قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[2] وموضع الشاهد فيها ﴿ أرسل رسوله ﴾ والسؤال هنا لماذا مرة استعمل (بعث) وأخرى قال (أرسل) وكلاهما مع الرسول ؟ من الوهلة الاولى قد يتبادر الى الذهن في ان المراد من قوله تعالى ﴿ بعث فيهم رسولا ﴾ أي أرسل لهم رسولاً كما هو الحال في قوله تعالى﴿ أرسل رسوله ﴾ فمعنى (بعث وأرسل) واحد وهذا الكلام يتنافى مع القرآن الكريم لأنه كلام الغني ، فلا يحتاج الى تغيير المفردات في التعابير الا المحتاج كالأديب أو الشاعر لمتطلبات البلاغة في لغة العرب وللضرورة الشعرية وكلام البشر للبشر والله تعالى إله يخاطب بشراً ، فما يحتاجونه بينهم هو غني عنه ونفى عن كونه كلام شاعر ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴾[3] إذن لابد من إختلاف المراد بين المفردتين .

---

١) آل عمران / ١٦٤ .
٢) التوبة / ٣٣ .
٣) الحاقة / ٤١ .

(أرسل أو رسول أو رسالة) جاءت من الجذر اللغوي « رسل » وقال علماء اللغة في معنى هذا الجذر (أرسل – بعثه لأمر يريده)[١] وهنا كما ملاحظ جعل (أرسل وبعث) واحدة مرادفة للأخرى ، وقال ابن منظور (الرسول معناه في اللغة – الذي يتابع أخبار الذي يبعثه ... وسمي الرسول رسولاً لانه ذو رَسول أي ذو رسالة والرسول اسم من أرسلت وكذلك الرسالة ويقال جاءت الابل أرسالاً إذا جاء منها رَسَلٌ بعد رَسَل)[٢] وقال الرازي (وأرسله في رسالة فهو مرسل ورَسول)[٣] وكذا الفراهيدي[٤] ، وقال ابن فارس (رسل يدل على الانبعاث والامتداد) [٥] . وكما تلاحظ ان محور الموضوع هو الرسالة سواء كانت سماوية أو رسالة دولية أو شخصية . أما بَعَثَ ففي معجم ألفاظ القرآن إختارعدة معانٍ بناءً على إستعمالها في الآيات المباركة منها : بعث- أرسل[٦] ، ونبعث – نرسل[٧] ، ويَبْعَث – يحيي[٨] ، ويُبْعث – يقام حيا[٩] ، ويَبْعَثَكَ – يُحْيِيكَ[١٠] ، ويَبْعَثُكم – يوقظكم[١١] ، وإنْبَعَثَ – هبَّ وإندفع[١٢] ، والبَعْثُ – النشر والاحياء بعد الموت[١٣] وغيرها ، وقال الفراهيدي

---

١) معجم ألفاظ القرآن : ٤٩٤/١ .
٢) لسان العرب : ٣٠٢/١٣ .
٣) مختار الصحاح : ١٠٢ .
٤) كتاب العين : ١١٧/٢ .
٥) معجم مقاييس اللغة : ٣٩٢/٢ .
٦) معجم ألفاظ القرآن : ١/ ١٤٢ .
٧) المصدر نفسه : ١٤٣/١ .
٨) المصدر نفسه : ١٤٣/١ .
٩) المصدر نفسه : ١٤٣/١ .
١٠) المصدر نفسه : ١٤٣/١ .
١١) المصدر نفسه : ١٤٣/١ .
١٢) المصدر نفسه : ١/ ١٤٤ .
١٣) المصدر نفسه : ١/ ١٤٤ .

(الارسال كبعث الله من في القبور)[1] ، وقال ابن فارس (وهو الاثارة)[2]   وفي الحقيقة فان الموضوع اصبح أكثر تعقيداً لتعدد المعان ولكن نجد ان جملة منها أيضاً وضعتها كمفردة مرادفة لمفردة أرسل ، وعدم الاستقرار على معنى معين يوهم المتلقي ويضله وحاشا كتاب الله تعالى عن ذلك فهو كتاب هداية وبيان﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾[3] ، ومن خلال تتبعنا لموارد هاتين المفردتين في الكتاب العزيز نجد ان البعث غير الارسال كما في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[4] فقد قال تعالى ﴿ بعث ﴾ ولم يقل أرسل وحسب التعريفات التي سقناها للغويين بما انه رسول يكون قد أرسل مما يدل على ان(بعث) غير (أرسل) فأراد بها شيئاً وأرسل يريد بها شيئاً آخر ومن هذه الآيات المباركة التي تطرقت لهاتين المفردتين يمكن تعريف الرسول : هو الذي يذهب أو يجيء برسالة ، وأُرسل أي أُذهب برسالة ، والرسالة هي المهمة التي أُذهب بها أو جاء بها الرسول ، وان هذه الرسالة ذو إمتداد وإستمرار مالم تأتِ رسالة أخرى تنسخها كلها أو بعضها أو تؤكدها . أما البَعْثُ فهو التحول أو الخروج من حالة الى حالة أخرى باندفاع وظهور وإنتشار باذن الله تعالى على حين غرة وان كان هناك وعد أو علم مجمل بها إلا ان موعدها غير محدد أو معلوم سواء للمبعوث أو المبعوث فيهم لهدف ما بدلالة ان بعث الرسل لهدف تبليغ الرسالات وبعث الأموات لهدف الحساب وبعث ملك بهدف القتال معه والبعث يكون لشيء من أو في أشياء لهدف ما ، لذلك تجد الموارد القرآنية التي جاءت بها

---

١) كتاب العين :١/١٤٧ .

٢) معجم مقاييس اللغة : ١/٢٦٦ .

٣) البقرة / من الآية ١٨٥ .

٤) آل عمران / ١٦٤ .

هذه المفردة غالباً ما تكون فيها (من أو في) لأن المنبعث منهم وفيهم . ونستدل بآيات القرآن الكريم على ما ذهبنا اليه مثل :

١. قوله تعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾[١] أي أَظْهِروا أو أَخْرِجوا حكماً فالذي يظهر أو يخرج من أهله أو من أهلها تحول من حالة كونه شخصاً عادياً الى حالة كونه حكماً وسوف يظهر وينتشر خبره ليعرفه الجميع بأنه حكم وترك التوفيق بينهما لله لحالة الاصلاح فالحكم منهم وفيهم ، ولا معنى لتكون أرسلا حكماً فإلى اين يرسل وماهي رسالته ؟ .

٢. قوله تعالى﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[٢] أي أظهرنا أو أخرجنا منهم وهو خروجهم من كونهم من بني إسرائيل الى كونهم من نقباء بني إسرائيل فهو تعالى لم يرسل ولم يحيي أثني عشر نقيباً بل أخرجهم من بينهم (بني إسرائيل) لمواصفات هو تعالى يراها ولهدف وغاية .

٣. قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾[٣] فالموتى يظهرهم ويخرجهم الله من قبورهم ومن حالة كونهم أموات الى حالة الاحياء من جديد ثم اليه يرجعون ليحاسبهم على أعمالهم وليس يرسلهم فإلى أين يرسلهم وماهي الرسالة التي يرسل بها الموتى ولا إحياء بدون خروج من القبر .

---

١) النساء / ٣٥ .

٢) المائدة / ١٢ .

٣) الأنعام / ٣٦ .

٤. قوله تعالى ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾[١] والمراد يخرج من القبر والتحول من حالة الموت الى الحياة ، حيث لا ينسجم قوله تعالى بمعنى يُرسَل حيا والى من يُرسل بعد الموت وبأي رسالة . أو ان تكون بمعنى يحيى حيا فيكون كلاماً ليس ذا معنى وتكرار لا طائل منه بعيد عن منطق الكتاب العزيز.

٥. قوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[٢] أي ان يوم القيامة تتحولون من حالة الموت الى حالة الحياة والخروج للحساب فعبر عنه في مواضع أخرى يوم الخروج بقوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾[٣] وكذلك يوم يبعثون ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[٤] وقوله تعالى ﴿ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[٥].

٦. قوله تعالى ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾[٦] وهي واضحة بان الله يبعث من في القبور وإحياءهم بعد موتهم أي تحويلهم من حالة الى أخرى وبإذنه تعالى .

٧. قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾[٧] وهي من أوضح الآيات في إثبات ما قلناه بصدد تعريف مفردة « البعث » حيث جمعت المفردتان « الخروج » و « انبعاث » فعندما كان الموضوع مفوضاً اليهم وترك الخيار لهم في بداية الآية عبر عنه «

---

١) مريم / ١٥ .
٢) المؤمنون .
٣) ق / ٤٢.
٤) المؤمنون / ١٠٠.
٥) الصافات / ١٤٤.
٦) الحج / ٧.
٧) التوبة / ٤٦.

الخروج » كفعل الخروج وهو الحركة من والى ، بينما في ذيل الآية المباركة كان متعلقاً بإرادة الله تعالى عبر عنه « انبعاث » أي تحول وخروج معنوي من حالة عدم إرادتهم للخروج للجهاد الى إرادتهم له وهي ما كرهه الله تعالى فثبطهم عن الجهاد في سبيله تعالى .

هذه بعض الأدلة عن المراد من مفردة « بعث » ، أما مفردة أرسل ورسول ورسالة في القرآن الكريم فغالباً ما يكون معها مفردة (الى أو مع أو على) ، ويمكن الاستدلال على معناها الذي ذهبنا اليه أيضاً من الآيات المباركة التي تناولت هذه المفردات مثل :

١. قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[1] فكان إرسالهم بمهمة الحفظ وهي الرسالة التي من أجلها جاءوا .

٢. قوله تعالى ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[2] وكما هو واضح ان مراد أخوة يوسف هو ذهابه معهم .

٣. قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[3] وهنا أيضاً مرادهم ان يدعه يذهب معهم لغرض الكيل .

٤. قوله تعالى ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾[4] أي دع بني إسرائيل يذهبون معنا .

---

١) الأنعام / ٦١.

٢) يوسف / ١٢.

٣) يوسف / ٦٣.

٤) طه / ٤٧.

٥. قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[١] وتجد في هذه الآية المباركة توضيح تام للتعريف الذي أردناه فالرسل يذهبهم الله بالرسالات الى هذه الأمم والأمم من جانبها جاءتهم الرسل بالرسالات .

٦. قوله تعالى ﴿ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾[٢] والآية المباركة واضحة حيث ان الرسل كما عبر عنها تعالى ﴿ جاءتهم ﴾ بالرسالة السماوية .

هناك سؤال لربما يطرأ في هذا الموضوع وهو إذا كان المراد من مفردة « بَعَثَ » هو « أَخْرَجَ » والمفردة الأخيرة مستعملة في القرآن الكريم فلماذا لم تأتِ بدل المفردة الأولى ؟ والجواب قد بيناه من خلال تعريف مفردة (البعث) وقلنا هو التحول أو الخروج من حالة الى حالة أخرى باندفاع وظهور وانتشار بإرادة الله تعالى على حين غرة وان كان هناك علم بها إلا ان موعدها غير محدد وغير معروف والخروج الذي نعنيه هنا الخروج المعنوي لا كفعل وحركة من مكان أو موضع الى آخر ، فمثلا تقول خرج زيد من المدينة الى القرية فهذا خروج يصحبه حركة ، أما قولك خرج زيد من حزنه فهو خروج معنوي من حالة الحزن الى الراحة ، وطبعا كل بارادة الله تعالى . والخروج مفردة عامة أستعملت في القرآن الكريم مع الانسان[٣] والشيطان[٤] والنبات[٥] والاشياء الأخرى مثل الماء[١] والعسل[٢] واللؤلؤ والمرجان[٣] ،

---

١) المؤمنون / ٤٤.

٢) فصلت / ١٤.

٣) ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ غافر / ٦٧ .

٤) ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ الحجر / ٣٤ .

٥) ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا

أما البعث فهي مفردة خاصة استعملت في القرآن الكريم مع الانسان(٤) والحيوان(٥) فقط . ومنه يتبين انه تعالى إستعمل مفردة بَعَثَ لانه خروج من حالة الى حالة وبإرادة الله وليس للمبعوث والمبعوث فيهم إختيار فيه بعكس الخروج الحركي الذي ربما يكون للخارج فيه إختيار أو ناتج عرضي لفعل يسبقه أو قد يكون الخروج من مكان الى آخر عكس الإنبعاث الذي يكون تحولاً وظهوراً من الأشياء وفيها .

سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ البقرة / ٦١.

١) ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ البقرة / ٧٤ .

٢) ﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل / ٦٩ .

٣) ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ الرحمن / ٢٢.

٤) ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة / ٢٤٧.

٥) ﴿ فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ المائدة / ٣١.

المبحث الثامن - النبي والرسول:

ان الشرائع الدينية التي أنزلها الله ﷻ خمسة على يد نبي الله نوح ﵇ ونبي الله إبراهيم ﵇ ونبي الله موسى ﵇ ونبي الله عيسى ﵇ والخاتم ﷺ على الترتيب ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾(1) وكانت كل شريعة تكمل ما قبلها وتضيف أحكاماً وتعليمات وتنسخ بعض الأحكام الى ان جاءت الشريعة الخاتمة فختمت الشرائع وأكتمل الدين ﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(2) وتوالت بين أصحاب الشرائع الدينية الرسل والانبياء وكانت تعمل حسب هذه الشرائع في زمنها فمن جاء بعد نبي الله نوح ﵇ يعمل بشريعة نوح الى ان جاءت شريعة إبراهيم ﵇ فمن جاء من الانبياء والرسل عليهم السلام بعده كان يعمل بشريعة إبراهيم الخليل ﵇ الى ان جاءت شريعة موسى ﵇ وهكذا ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (163) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (164) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (165) ﴾(3) ، إذن فهناك أنبياء ورسل قد بعثهم الله ﷻ حيث وردت هاتان المفردتان في كتاب الله كثيراً ولكل منهما معطيات ودلالات مختلفة وأخرى متشابهة ، ولكل منها مقامه وتكليفه وواجباته وصفاته وعادة ما يخلط

---

١) الشورى / ١٣ .

٢) المائدة /من الآية ٣ .

٣) النساء .

التعبير فيهما فمتى يكون رسولا ومتى يكون نبياً وما هو النبي وما هو الرسول وفق التعبير القرآني ؟

١. النبي:

مفردة قرآنية إختلف اللغويون في جذرها اللغوي على قولين الأول انها جاءت من الجذر اللغوي « نبا » والذي منه النبوة وهي الارتفاع وكأن النبي مفضل على سائر الناس برفع منزلته أي شُرِّف على سائر الخلق[١] . والثاني جاء من الجذر اللغوي « نبأ » وهو الخبر لأنه يأتي من مكان الى مكان ، والمنبئ – المخبر . والنبيُّ لأنه أنبأ عن الله تعالى[٢] . والموارد القرآنية تؤيد كلا الرأيين ، فمن مؤيدات الرأي الأول إصطفاء الأنبياء وإختيارهم دون غيرهم مما يعني تفضيلهم على بقية الناس[٣] ، وما يؤيد الرأي الثاني من الآيات المباركة[٤] التي تدل على ان الله تعالى ينبئ عن الأخبار

١) مختار الصحاح : ٢٦٩ ، ومعجم مقاييس اللغة : ٣٨٥/٥.
٢) مختار الصحاح : ٢٦٨ ، ومعجم مقاييس اللغة :٣٨٥/٥ .
٣) ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ البقرة / ١٣٠، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران / ٣٣، وقوله تعالى﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ الأعراف / ١٤٤، وقوله تعالى﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ النمل / ٥٩، وقوله تعالى﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ فاطر / ٣٢.
٤) ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ البقرة / ٢١٣، وقوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ المائدة / ٤٤، وقوله تعالى﴿

عن طريق من يوحى إليهم وهم الأنبياء كما سيأتي خلال البحث وانهم يحكمون بما أنزل الله وأنهم مبشرون ومنذرون وكله اخبار للناس . والحق انه لا تعارض بين الرأيين بل الأرجح ان كلاهما مطابق لما أريد به من معنى مفردة نبي فان أخذ من جانب التنصيب الإلهي فقد شرف الأنبياء على سائر الناس وان أخذ من جانب التكليف الإلهي فهو إخبار عن الله تعالى وبه يجتمع كلا المطلوبين . واذا رجعنا الى النص القرآني لمعرفة تكليف الأنبياء عليهم السلام لابد من الوقوف على عدة جوانب وخصائص لهذا المنصب الالهي وهي :

أ. ان النبوة جعل إلهي يمن بها الله على من يصطفيه من عباده لقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾[1] فاستوجب الايمان بالأنبياء[2] الذي هو من البر الذي أمر به الله تعالى.

ب. ان الله تعالى قد آتاهم الكتاب والحكمة ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾[3] وبما انه من

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ التوبة / ٩٤.

١) المائدة / ٢٠ .

٢) ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ البقرة / ١٧٧، وقوله تعالى ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ المائدة / ٨١.

٣) آل عمران / ٨١ .

الله تعالى استوجب الايمان بما أوتي النبيون[1] والتسليم والانقياد له ، وأتاهم الله أي أعطاهم وعلمهم من علمه اللدني وقد دل القرآن على هذا حيث قال تعالى ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾[2] ومنها يتبين انه تعالى آتى عيسى عليه السلام الكتاب ثم في آيات مباركة أخرى يبين انه علمه الكتاب والحكمة بقوله تعالى ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾[3] وقوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾[4] ومنه يظهر انه تعالى أعطاه الكتاب من خلال تعليمه الكتاب والحكمة وفي هذا دليل على ان النبوة تجعل في النبي منذ ولادته فالله يختاره ويصطفيه قبل ان يكون جنينا كما هو الحال في نبي الله يحيى عليه السلام ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[5] وما مر من قوله تعالى عن نبي الله عيسى عليه السلام عندما كان في المهد صبيا ، وان قلت ان هارون لم يكن صبياً لأنه صار نبياً بناءً على دعوة وطلب من أخيه موسى عليه السلام لقوله تعالى ﴿ وَاجْعَلْ لِي

١) ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ البقرة / ١٣٦، وقوله تعالى ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران / ٨٤.

٢) مريم / ٣٠ .

٣) آل عمران / ٤٨ .

٤) المائدة / ١١٠ .

٥) آل عمران / ٣٩ .

﴿ وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ﴾[1] ، والجواب هذا لا ينافي كونه منذ ان خلقه الله تعالى قد آتاه الكتاب والحكمة وجعله نبياً ولم يكن تعالى قد أطلع موسى عليه السلام لأنه من علم الله تعالى الذي لا يطلع عليه الا من إرتضى وفي وقته الذي يشاء هو هذا أولا ، وهذا القول أيضاً تؤيده الآية القرآنية القائلة بإصطفاء الأنبياء ، لأن هارون ما دام قد أختير من الله تعالى ليكون نبياً فهو مصطفى لجعله نبياً ولم تكن دعوة موسى عليه السلام إلا علة لبعثه بهذه النبوة هذا ثانياً ، والا فهو ينافي علم الله عز وجل المسبق لأنه لو قيل ان هارون عليه السلام أصبح نبياً بعد طلب من أخيه موسى عليه السلام فهو إذن لم يصطف مسبقاً وهذا ثالثاً ، ومنه يتبين ان النبيين يؤتون الكتاب والحكمة في وقت مبكر وفيه دلالة على ان الكتاب غير كتاب الرسالة لأسباب منها ان عيسى أوتي الكتاب كما في الآية المارة الذكر (مريم / ٣٠) وكذلك أوتي الانجيل﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2] ، ثم انه تعالى بين ان الكتاب غير الانجيل في قوله تعالى من سورة المائدة الآية ١١٠ المذكورة حيث قال ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ ، وسبب آخر ان جميع الانبياء قد أوتوا الكتاب ولم يكن أكثرهم رسل ، والحال نفسه في بشارة نبي الله إبراهيم عليه السلام بإسحاق ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[3] .

ت. جميع الانبياء يوحى إليهم مع إختلاف طريقة الوحي كما ذكرت في الكتاب العزيز ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا

---

١) طه .
٢) المائدة / ٤٦ .
٣) الصافات / ١١٢ .

﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾[1].

ث. ولما توجب الايمان بالأنبياء أمر الله تعالى المؤمنين بالقتال مع الأنبياء وطاعتهم[2] وقد حكى لنا القرآن قصة ومحاورة بني إسرائيل ونبي لهم بعد موسى عليه السلام ليبعث الله تعالى لهم ملكاً ليقاتلوا في سبيل الله فلما بعث الله لهم طالوت ملكاً أنكروه ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾[3].

ج. ولما كان الأنبياء عملهم شأنه الخير والصلاح والدعوة الى الحق وظهور المعاجز على أيدهم فقد ينتاب بعض الناس غلو فيهم وإتخاذهم أرباباً من دون الله تعالى لذلك جاء النهي عن ذلك كونهم عبيد لله فضلهم وإصطفاهم على العالمين ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[4].

---

١) النساء .

٢) ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ آل عمران / ١٤٦، وقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ الأحزاب / ١٣.

٣) البقرة .

٤) آل عمران / ٨٠ .

ح. عند تتبع الموارد القرآنية تجد ان هناك خطاب قرآني خاص بالنبي ﷺ وبتأمل الآيات المباركة لهكذا خطاب تبين انه يكون موجها للنبي ﷺ في الامور التي تخص حياته الشخصية كتعامله مع أهل بيته ونسائه[1] وأخرى للتعامل مع المجتمع ، المؤمنين منهم او غيرهم[2] ولم تكن هذه الخطابات تخص أمور تبليغية في الرسالة التي بعثه بها الله تعالى وستجد العكس عند الأمور التي تخص الرسالة يكون الخطاب موجها للرسول ﷺ كما سيأتي عند

---

١) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ الأحزاب / ٢٨، وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ الأحزاب / ٥٠، ، وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ الأحزاب / ٥٩، وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ التحريم / ١ .

٢) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأنفال / ٦٤، وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ الأنفال / ٦٥ ، وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ التوبة / ٧٣ ، وقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ التوبة / ١١٣، وقوله تعالى ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ التوبة / ١١٧، وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ الحجرات / ٢، وقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ الأنفال / ٦٧، وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ الأنفال / ٧٠.

بحث الرسول ، ومن هنا كانت ولاية النبي ﷺ على المؤمنين التي جعلها الله تعالى له في الأمور التي تتعلق بعلاقته بهم والتي تخص حياتهم معه ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾[1] ودليله الآيات التي سبقتها ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥) ﴾[2] ، ومن هنا كانت الدعوة في عدم طاعة الكافرين والمنافقين واتباع الوحي وايضا كان في موضوع التعامل ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[3] ، وسبب نزول الآية يوضح ذلك وهو (رُوي أن أبا سُفيان بن حرب ، وعكرمة بن أبي جهل ، وأبا الأعور السُّلمي ، نزلوا المدينة على ابن أُبيّ سرح ، رأس المنافقين ، بعد أُحد ، وقد أعطاهم النبيُّ ﷺ الأمان على أن يكلموه ، فقام معهم عبد الله بن أبي سَرْح ، وطُعْمَة بن أُبيْرق ، فقالوا للنبي ﷺ، وعنده عمر بن الخطاب : ارفض ذكر آلهتنا؛ اللات ، والعزى ، ومناة ، وقل : إن لها شفاعة ومنفعة لِمن عَبَدَها ، وندعك وَرَبَّك . فشقّ على النبي ﷺ قولهم ، فقال عمر : ائذن لنا ، يا رسول الله ، في قتلهم ، فقال ﷺ : « إني قد أعطيتهم الأمان » فقال عمر : اخرُجوا في لعنة الله وغضبه ، فخرجوا من المدينة ، فنزلت)[4] ، ولو ان قسماً منهم قد ضعفه[5].

---

١) الأحزاب / ٦ .
٢) الأحزاب .
٣) الأحزاب / ١ .
٤) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تفسير ابن عجيبة : ٤٠٣/٤ .
٥) تفسير التحرير والتنوير :٢١/ ٥٠١ .

ولربما أشكل أحد ما في شبهة وهي في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾[1] ، قال يبلغون رسالات الله وفي الآية التي سبقتها كان الحديث عن النبي ولم يكن عن الرسول ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾[2] وهذا ينافي ما قلته من ان خطاب النبي كان في الأمور المتعلقة بحياة النبي ومعاملاته ! نقول عند مراجعة الآيات المباركة التي سبقت هاتين الآيتين ينجلي الإشتباه الذي وقع فيه والتي جاءت للقضاء على الحرج من زواج زوجة الأدعياء (أبناء التبني) وهو أمر حياتي يتعلق بحال النبي ﷺ مع من تبناه وهو زيد بن حارثة من ناحية وحكم عام لجميع المؤمنين يتعلق بحياتهم فالنبي ﷺ نبي في حياته وهو رسول في تبليغ أمر الله بالقضاء على الحرج الذي ذكرناه فالحال جمع بين المقامين فقال النبي لتعلقه بمعاملات الرسول مع الآخرين وقال يبلغون رسالات ربهم لأنه أصبح تشريعا إلهيا من الرسالة إستوجب تبليغه .

خ. ولما كان الانبياء مبعوثين من الله تعالى لخير البشرية ولينالوا حياة دنيوية وآخروية سعيدة فمن الطبيعي ان يكون أعداؤهم شياطين الانس والجن والتي غايتهم إضلال الناس ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[3] ، وكذلك المجرمين الذين يحبون الفساد في الأرض ولا يرغبون بالصلاح ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾[4] .

---

١) الأحزاب / ٣٩ .
٢) الأحزاب / ٣٨ .
٣) الأنعام / ١١٢ .
٤) الفرقان / ٣١ .

وبعد معرفة هذه البيانات حول خواص الانبياء عليهم السلام فان تكليفهم الذي أمرهم به تعالى ينصب في عدة جوانب تختلف من نبي الى آخر وقد يشترك بها عدة أنبياء بناءً على ظروف الزمن التي بعث فيه النبي ومتطلبات المرحلة فكان هناك تفضيل لبعض الانبياء على بعض لربما على أساس الهمة والتكليف الذي كلف به ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾[1] ، ومن تكاليف الأنبياء :

أ. بُعِث الأنبياء مبشرين ومنذرين فانزل معهم الكتاب ليحكم بالحق فيما اختلف به الناس في أحكام الشرائع التي جاءتهم وبيّنها لهم فيما سبق أصحاب هذه الشرائع الدينية كما مر في بداية البحث وكان سبب هذا الاختلاف هو البغي فيما بينهم وتبقى الهداية لله تعالى يهدي الذين آمنوا الى صراط مستقيم[2] .

ب. هناك من الأنبياء من يرسل من قبل الله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[3] ولكنه ليس برسول بل يظل في مقام النبوة لأن إرساله كان بنفس أحكام ورسالة الرسول الذي سبقه أو عاصره أي ان الإثنين جاءا بنفس الرسالة ولم يقل رسولا لأنهما لم يأتيا برسالتين تكمل إحداهما الأخرى أو تنسخ بعض أحكام الرسالة الأولى أو تضيف أحكام وتعليمات لها وهذا يتضح في

---

١) الإسراء / ٥٥ .

٢) ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ البقرة / ٢١٣، وقوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ المائدة / ٤٤ .

٣) الحج / ٥٢ .

رسالة موسى عليه السلام حيث بُعِثَ معه أخاه هارون عليه السلام فهارون نبي﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾[1] ففي هذه الآية المباركة لم يعتبره رسولاً رغم انه في قوله تعالى﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾[2] قال أرسلنا موسى وأخاه هارون والسبب يعود الى ما بيناه أما عن موسى عليه السلام فقد إعتبره نبياً ورسولاً ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾[3] ولنفس السبب وعليه تتبين الحكمة من قوله تعالى ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[4] حيث قال ﴿ فَأْتِيَا ﴾ ، ﴿ فَقُولَا ﴾ ، ﴿ إِنَّا ﴾ تعود على موسى وهارون عليهم السلام فعبر عنه بالمثنى بينما قال﴿ رَسُولُ ﴾ فعبر عنه بالمفرد لأن الرسالة أصلا تعود لرسول واحد هو موسى عليه السلام ولكن بعث بها مع موسى عليه السلام أخيه هارون عليه السلام فكان الاثنان معاً في نفس الرسالة .

ت. عند تتبع الموارد القرآنية لم نعثر على نص مباشر يصرح بأن الانبياء يشهدون على أفعال الأمم أو القرى التي بعثوا إليها وقد يشتبه البعض في موردين من الكتاب على إنهما يدلان بصورة مباشرة على ذلك وهما :

١) قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾[5] وقد اختلفت آراء العلماء في هذه الآية المباركة حول المراد من قوله تعالى (فاشهدوا) على عدة آراء ، الأول : في ان الانبياء عليهم السلام يشهدون على أنفسهم بأن يؤمنوا بالرسول الذي يبعث مصدقاً لما معهم . الثاني يشهد بعضهم على بعض أي الانبياء . الثالث يشهد الملائكة

---

١) مريم / ٥٣ .
٢) المؤمنون / ٤٥ .
٣) مريم / ٥١ .
٤) الشعراء / ١٦ .
٥) آل عمران / ٨١ .

على الانبياء . الرابع يشهد الانبياء على أممهم ، ولكل من رجح رأياً كانت له حجته ودليله حول ما ذهب اليه[١] .

ومن خلال أقوال العلماء جزاهم الله كل الخير فقد إجتهدوا في بيان المراد لكن علوم القرآن واسعة لا يمكن الاحاطة بها ولا يمكن القول ان ما توصل اليه الباحث الفلاني هو آخر المطاف فكم ترك الاولون للآخرين ، لذلك نقول ان التمعن في الآيات التي سبقت وتلت آية البحث نجد ان الخطاب مع الذين آمنوا من أتباع الرسالة المحمدية ﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[٢] والكلام في سياق الآيات حول أهل الكتاب ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٣] ثم من بعده حول الأنبياء الذين سبقوا الرسالة المحمدية ويستمر الكلام مع الذين آمنوا وبنفس السياق الى ان قال لهم تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾[٤] فالآية المباركة تنقل حواراً بين الباري ﷻ وبين أنبيائه ولا ذكر الى أممهم أو الملائكة في هذه المحاورة فبعد ان أخذ الميثاق من النبيين لما آتاهم الكتاب والحكمة وسبق وان بينا ان الأنبياء يأتيهم الله الكتاب

---

١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد : ٣٧٥/٣ ، وتفسير التحرير والتنوير :٣/ ٢٩٨ ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور : ٣/ ٦٤٩ ، وتفسير الكشاف للزمخشري : ١٨٠، وتفسير ابن عطية : ٣٢٤ ، والتبيان في تفسير القرآن للطوسي :٢/ ٥١٦، ومجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي : ٢/ ٢٧٠ .

٢) آل عمران / ٦٩ .

٣) آل عمران / ٧٥ .

٤) آل عمران / ٨١ .

والحكمة عن طريق التعليم اللدني ، فلما اعطاهم الكتاب والحكمة ثم يأتيكم رسول مصدق لما معكم فعليكم الايمان به ونصرته فأقروا واعطوا الميثاق فأشهدهم على اممهم بذلك وشهد الله عليهم في نفس الموقف ، والله أعلم وهو ما نلاحظه أقرب لموضوع الآية ويؤيده ما جاء في الآية التي تليها بقوله تعالى ﴿ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1] فلا يعقل تولي الانبياء ويكونون من الفاسقين وهو تعالى من نفى عنهم في الآية سبقت آية البحث ان يقولون للناس كونوا عباداً لي ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٨٠) ﴾[2].

٢)قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[3] وهذه الآية أيضا لم تشر بصورة مباشرة وواضحة الى ان النبيين هم الشهداء فيها وكان للعلماء في قوله تعالى ﴿ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ أقوال : الأول . أي : رقباء ، فلا يتركون من يُغيرها أو يحرفها . الثاني : كان المذكورون شهداء على كتاب الله ، أي شهداء على حفظه من التّبديل . الثالث : كانوا شهداء على الكتاب أنه من عند الله وحده لا شريك له ، الرابع شهداء على عدم تبديل الحكم الذي أنزل فيها .

---

١) آل عمران / ٨٢ .

٢) آل عمران .

٣) المائدة / ٤٤ .

وكما هو واضح من الآية المباركة ونصها ان الانبياء والاحبار والربانيون يشهدون على ما استحفظوا من كتاب الله تعالى من التحريف أو التبديل للأحكام التي يحتويها بعكس من حرفوا كتبهم وهذا ما ذهب اليه جل علماء التفسير[١] ، إذن هي لا تدل على كون الانبياء شهداء على أممهم .

وبعد هذا التفصيل نقول ان الانبياء شهداء على أممهم وأقوامهم بدليل الآية الاولى التي بحثناها وبدليل إن الانبياء من الذين آمنوا بالله ورسله فهم شهداء كما في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[٢] .

٢. الرسول :

هو الذاهب أو الآتي برسالة سماوية الى الناس ، وهو منصب جعله الله تعالى لمن يصطفيه من عباده ولعله من أشرف المناصب ولكي نفهم التكليف الذي كلف الله ﷻ به الرسل لابد من الوقوف على بعض الخصائص التي ذكرها الكتاب الحكيم للرسل والرسالات ومنها :

أ. الرسالة مجعولة من الله تعالى وكذلك الرسل الذين يبعثون بها[٣] .

---

١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد : ٢/ ٤٣ ، وتفسير ابن عاشور :٢٠٩/٦ ، وتفسير الكشاف للزمخشري : ٢٩٢، وتفسير ابن عطية :٥٤٦ ، ومجمع البيان في تفسير القرآن :٣/ ٢٨١، وتفسير الصافي :٢/ ١٦ ، والميزان في تفسير القرآن : ٥/ ٣٥٠.

٢) الحديد / ١٩ .

٣) ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ الأنعام / ١٢٤، وقوله تعالى ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشعراء / ٢١،

ب. الله ﷻ يصطفي الرسل سواء كانوا من الملائكة أم من الناس[1] .

ت. إرسال الرسل يكون من الأنبياء فالرسول يكون نبياً قبل الرسالة وفي مرحلة ما من عمره الشريف يرسله الله تعالى برسالة أي ان الرسل المصطفين من الناس هم من الأنبياء[2] فيقع عليهم إصطفائين الأول من الناس ليكونوا أنبياء والثاني من الأنبياء ليكونوا رسلاً.

ث. ان الله ﷻ فضل بعض الرسل على بعض[3] كما فضل بعض النبيين على بعض.

ج. ان الرسول هو مرتبة إلهية أرقى وأسمى من النبي بدليل ان الله تعالى أخذ ميثاق النبيين للإيمان بالرسل[1] .

وقوله تعالى﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص / ٧ .

١) ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ الحج / ٧٥، وقوله تعالى ﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ الأعراف / ١٤٤.

٢) ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الأعراف / ١٥٧، وقوله تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ الأعراف / ١٥٨، وقوله تعالى﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ مريم / ٥١.

٣) ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ البقرة / ٢٥٣ .

ح. ان الله ﷻ يوحي الى الرسل[2] .

خ. ان الله ﷻ قرن الايمان بالرسل بالإيمان به[3] .

د. ان الله ﷻ فرض على الناس إطاعة الرسل وهو من أذن بهذه الطاعة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾[4] ، وفي الآية المباركة إشارة الى ضرورة التوسل الى الرسول ﷺ ليستغفر للذين ظلموا أنفسهم وان الصد عن ذلك من علامات النفاق والاستكبار﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾[5] . وقد يقول قائل ان الذهاب

---

١) ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ آل عمران / ٨١ .

٢) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ يوسف / ١٠٩، وقوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ الرعد / ٣٠، وقوله تعالى﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الأنبياء / ٧ ، وقوله تعالى﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء / ٢٥، وقوله تعالى﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ الأحقاف / ٩ .

٣) ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ البقرة / ٢٨٥، وقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ آل عمران / ١٧٩.

٤) النساء / ٦٤ .

٥) المنافقون / ٥ .

الى الرسول ﷺ للإستغفار عندما كان عليه الصلاة والسلام موجوداً بين ظهرانيهم فما حال من ظلم نفسه بعد حياة الرسول ؟ نقول : ان آيات القرآن الكريم لكل زمان وأوان ولا تنحصر بمكان وزمان وقوم دون آخرين فهذه الآية من أكبر الأدلة على وجوب الذهاب الى قبر الرسول ﷺ والتوسل به ليغفر الله تعالى الذنوب عمن أذنب إذن بإمكان من ظلم نفسه الذهاب الى قبر الرسول ليستغفر له ، وفيها أيضاً دليل على ان الرسول ﷺ يسمع ويرى ويستغفر للذين يزورون قبره الشريف .

ذ. ان الله تعالى جعل نفسه عدواً لكل من يعادي الرسل[1] ومعادات الرسل كفر يضل صاحبه ضلالاً بعيدا[2] .

ر. هناك رسل من الجن ورسل من الانس مرسلين من الله تعالى الى اممهم[3] ، وقد يكونون من الشياطين ولكن طبيعة رسالتهم مختلفة فرسل الشياطين يكونون للكافرين[4] تحثهم وتغريهم وتغرر بهم .

ز. هناك الكثير من مصاديق رسل الله تعالى كالملائكة[5] ، ومنها إرسال السماء بالأمطار الغزيرة[6] ، وإرسال الرياح[1] ، وقد يرسل الله تعالى الطوفان والجراد

---

١) ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ البقرة / ٩٨.

٢) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ النساء / ١٣٦.

٣) ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ الأنعام / ١٣٠.

٤) ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ مريم / ٨٣.

٥) ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ الأعراف / ٣٧.

٦) ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ الأنعام / ٦.

والقمل والضفادع والدم[٢] ، وقد يرسل الله تعالى الصواعق فيصب بها من يشاء[٣] ، ويرسل السيل[٤] ، ويرسل حجارة من طين[٥] ، وأرسل الناقة فتنة[٦] ، وأرسل طيراً أبابيل[٧] ، ومنه يتبين ان الله تعالى قادر على إرسال ما يشاء الى من يشاء .

س. الرسل تأتي بالحق من ربها[٨] .

ش. ان الله تعالى جعل لكل أمة رسول منهم[٩] وكل رسول يكون بلسان قومه[١٠] .

ص. ان الله ﷻ لا يقضي بين الناس الا من بعد ان يرسل عليهم رسولاً لكي لا تكون للناس حجة بعد الرسل[١] ولا يأتي بالعذاب الا بعد ان يرسل الرسل مبشرين ومنذرين[٢] .

---

١) ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ الأعراف / ٥٧.

٢) ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ الأعراف / ١٣٣.

٣) ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ الرعد / ١٣.

٤) ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ سبأ / ١٦.

٥) ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴾ الذاريات / ٣٣.

٦) ﴿ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴾ القمر / ٢٧.

٧) ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ الفيل / ٣.

٨) ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ الأعراف / ٤٣.

٩) ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ يونس/ ٤٧.

١٠) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ إبراهيم / ٤.

ض. الرسل تأتي من الله تعالى بالبينات والزبر وبالكتاب المنير[٣] وأنزل معهم الله تعالى الكتاب والميزان[٤] .

ط. ان موسى عليه السلام قد أرسل بآيات الله تعالى وسلطان مبين[٥] وأرسل الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله بكل ما أرسل به الرسل الذين سبقوه فأجملها تعالى بالهدى ودين الحق[٦] .

ظ. ان ارسال الآيات (المعجزات) مثل ناقة نبي الله صالح عليه السلام لغرض التخويف[٧] فان الاتيان بمثل هذه الآيات يكون بإذن الله تعالى[٨] .

ع. ان العلة الرئيسية لما جاء به الرسل هي الدعوة لعبادة الله الواحد الأحد[٩] .

---

١) ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ النساء / ١٦٥.

٢) ﴿ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ الإسراء / ١٥.

٣) ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ آل عمران/ ١٨٤.

٤) ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ الحديد/ ٢٥.

٥) ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ غافر/ ٢٣.

٦) ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ التوبة/ ٣٣.

٧) ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ الإسراء / ٥٩.

٨) ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران/ ٤٩.

٩) ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ النحل / ٣٦.

غ. ان نصر الله يأتي رسله إذا يئسوا من أقوامهم وظنوا أنهم قد كذبوا[1] وانه تعالى كتب الغلبة له ولرسله[2] .

ف. ان الله تعالى قد أطلع رسله على الغيب الذي يعلمه هو وحده فكان هذا الإطلاع على الغيب بأذنه وبأمره تعالى[3] .

ق. ان الله تعالى في خطابه فيما يخص التبليغ والرسالة يكون بصيغة الرسول[4] .

وهناك الكثير من المميزات التي جاءت بها الآيات المباركة لرسول الله ﷺ ولربما ان بعضها قد يشمل بقية الرسل ولكن الخطاب فيها كان له ﷺ أو لأمته ونشير الى بعض الأمثلة منها :

أ. إثبات الرسالة المحمدية جاء بكتاب الله تعالى وقد شهد القرآن الكريم له ﷺ بأنه من المرسلين في العديد من الآيات[5].

---

١) ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ يوسف/ ١١٠.

٢) ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ المجادلة / ٢١.

٣) ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الجن .

٤) ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ المائدة / ٤١، وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ المائدة / ٦٧، وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ المؤمنون / ٥١ .

٥) ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ البقرة / ٢٥٢، وقوله تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى

ب. ان من تكاليف رسول الله ﷺ ان يتلو كتاب الله تعالى ويزكي المؤمنين ويعلمهم الكتاب والحكمة ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون[١] .

ت. فرض إطاعة الرسول ﷺ وهي إطاعة لله تعالى[٢] .

ث. ان الله تعالى أرسله رحمة للعالمين[٣] .

ج. ان رسول الله ﷺ جاء على فترة من الرسل[٤] أي بعد مرور فترة طويلة على إرسال الرسل منذ رسالة عيسى عليه السلام .

ح. ان الله تعالى أمر الذين آمنوا من أمة المصطفى ﷺ وقد مرَّ علينا خلال البحث المراد من الذين آمنوا[٥] بأن يستجيبوا لله وللرسول ﷺ إذا دعاهم لما فيه حياتهم الآخروية السعيدة[٦] ووعد الذين استجابوا منهم أجر عظيم ولكنه مرهون بالإحسان والتقوى وليس مجرد الاستجابة وحدها[٧] .

عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ آل عمران / ١٤٤، وقوله تعالى﴿ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ يس / ٣ .

١) ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة / ١٥١ .

٢) ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ النساء / ٨٠ .

٣) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء / ١٠٧ .

٤) ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ المائدة / ١٩ .

٥) راجع مبحث المؤمنون والمسلمون : ١٤١ .

٦) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ الأنفال / ٢٤ .

٧) ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ آل عمران / ١٧٢ .

خ. ان الذي يعصي الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا[1] وقد توعد الله تعالى الذين يعصونه ورسوله ان لهم نارجهنم خالدين فيها[2] .

د. أمر الله تعالى بإطاعة الله ورسوله وأولي الأمر ، ورد الأمر المتنازع فيه الى الله تعالى والى الرسول ﷺ [3] .

ذ. ان الله تعالى أمر المؤمنين بتولي الرسول ﷺ[4] .

ر. ان رسول الله ﷺ جاء برسالة عالمية لجميع الناس بكافة أشكالهم وألوانهم ولغاتهم وأطيافهم[5] .

ز. ان الله تعالى جعل الأنفال لله وللرسول ﷺ ولم يجعل لأحد غيره نصيباً فيها[6]

.

س. ان الله تعالى جعل للرسول ﷺ نصيباً في خمس الغنائم [1] .

---

١) ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ الأحزاب / ٣٦ .

٢) ﴿ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ الجن / ٢٣ .

٣) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ النساء / ٥٩ .

٤) ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ المائدة / ٥٥ .

٥) ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ الأعراف / ١٥٨ .

٦) ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ الأنفال / ١ .

ش. ان الله تعالى جعل للرسول ﷺ نصيباً في الفيء[٢] .

ص. ان الله تعالى أعطى حق التحريم والتحليل[٣] والأمر والنهي في الأعمال لرسوله ﷺ[٤] .

ض. ان أعمال الناس تعرض على الله تعالى ورسوله ﷺ فان الله ورسوله يرون أعمال الناس التي يعملونها مباشرة ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٥] وكما هو واضح من الآية المباركة حيث عطف رسوله على لفظ الجلالة في رؤية الأعمال وكذلك عطف لفظة (المؤمنون) وهذه الرؤيا تدل على الرؤيا الحينية لأنه تعالى قد بين بقوله ﴿ وستردون ﴾ بعد ان ترى الأعمال وحين تردون ينبئكم بأعمالكم أي حين الرد يكون هناك إنباء بالأعمال أما قبل الرد فان الاعمال سوف ترى من قبل الذين ذكرتهم الآية المباركة ، ودلالة أخرى في الآية المباركة ألا وهي ان

---

١) ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الأنفال / ٤١ .

٢) ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ الحشر / ٧ .

٣) ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ التوبة / ٢٩ .

٤) ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ الحشر / ٧ .

٥) التوبة / ١٠٥ .

الرسول ﷺ والذين آمنوا المراد بهم في هذه الآية المباركة وان كنا نظنهم ماتوا إلا إنهم أحياء عند ربهم يرزقون ويرون ويسمعون .

ط.ان الله تعالى جعل رسوله ﷺ أسوة حسنة يقتدى بها[١].

ظ.ان رسول الله ﷺ خاتم الرسل رغم انه لا توجد آية صريحة تشير الى ذلك لكن يمكن الاستدلال على ذلك بكون الرسل من الانبياء كما أشار الى ذلك الكتاب العزيز وبيناه في ما مر وان النبي ﷺ خاتم النبين كما في قوله تعالى﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[٢] إذن فهو ﷺ خاتم الرسل ورسالته خاتمة الرسالات وبها إكتملت الشرايع السماوية ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[٣].

ع. ان الله ﷻ جعل للذين أمنوا بالله ورسوله علامة لتميزهم في زمن الرسالة عن غيرهم من المنافقين وهذه العلامة أو الصفة هي انهم اذا كانوا مع رسول الله

---

١) ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا ﴾ الأحزاب / ٢١ .

٢) الأحزاب / ٤٠ .

٣) المائدة / ٣ .

ﷺ لأمر جامع يهم المسلمين لم يذهبوا الى شؤونهم حتى يستأذنوا الرسول ﷺ[1] .

غ. ان الله توعد الذين يؤذون رسول الله ﷺ بعذاب أليم[2] .

٣. أسماء بعض الأنبياء والرسل ممن ذكرهم القرآن الكريم :

ذكر القرآن الكريم بعض أسماء الأنبياء والرسل وفرق في تسميتهم كرسل أو مرسلين فضلاً عن كونهم أنبياء وبين من سماهم أنبياء ومنهم الحبيب المصطفى ﷺ رسولاً نبياً[3] ، نوح عليه السلام من المرسلين[4] ، إبراهيم عليه السلام من المرسلين[5] ، إسماعيل عليه السلام من المرسلين[6] ، هود عليه السلام من المرسلين[7] ، صالح عليه السلام من المرسلين[8] ، لوط عليه السلام من المرسلين[9] ، شعيب عليه السلام من المرسلين[1] ، موسى عليه السلام

---

١) ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ النور / ٦٢ .

٢) ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ التوبة / ٦١ .

٣) ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الأعراف / ١٥٧ .

٤) ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الأعراف / ٦١ .

٥) ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ التوبة / ٧٠ .

٦) ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ مريم / ٥٤ .

٧) ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ ﴾ الشعراء .

٨) ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ الشعراء .

٩) ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ ﴾ الشعراء .

من المرسلين[2] ، إلياس عليه السلام من المرسلين[3] ، عيسى عليه السلام من المرسلين[4] ، يونس عليه السلام من المرسلين[5] ، يوسف عليه السلام من المرسلين[6] ، إسحاق عليه السلام ويعقوب عليه السلام من الأنبياء[7] ، هارون عليه السلام من الأنبياء[8] ، إدريس عليه السلام من الأنبياء[9] ، داود عليه السلام وسليمان عليه السلام وأيوب عليه السلام وزكريا عليه السلام واليسع عليه السلام من الأنبياء[10]، ويحيى عليه السلام من الأنبياء[11] ، وجاء ذكر ذي الكفل عليه السلام مع أنبياء الله لكن دون إشارة واضحة ومباشرة الى انه نبي أو رسول بل عبر عنه القرآن الكريم انه من الأخيار[12]، وكذلك

---

١) ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ الشعراء .

٢) ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ مريم / ٥١ .

٣) ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ الصافات / ١٢٣ .

٤) ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ المائدة / ٧٥ .

٥) ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ الصافات / ١٣٩ .

٦) ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴾ غافر / ٣٤ .

٧) ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ مريم / ٤٩

٨) ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ مريم / ٥٣ .

٩) ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ مريم / ٥٦ .

١٠) ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ الأنعام .

١١) ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ آل عمران / ٣٩ .

١٢) ﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴾ ص / ٤٨ .

فيما يخص آدم عليه السلام فقد ذكر مع أسماء أنبياء الله وقيل عنهم من المصطفين[1] ولم يكن هناك تعبير مباشر انه نبي أو رسول ، أما ذو القرنين فقد ذكره القرآن الكريم بان مكن له الله في الأرض وآتاه من كل شيء سببا[2] ولم يذكر انه نبي أو رسول ، كذلك ورد ذكر لقمان بان آتاه الله تعالى الحكمة ولم يكن هناك اشارة في القرآن على كونه رسول أو نبي[3] .

٤. تكاليف الرسل:

مثلما كانت هناك تكاليف من الله تعالى للأنبياء فان الرسل وبما ان لهم مقاماً ربانياً أعلى وأسمى من الأنبياء فلابد ان لهم تكاليف أسمى ، ومن تكاليف الرسل :

أ. ان الرسل مبشرون ومنذرون كما في قوله تعالى ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[4] مبشرون بالثواب الجزيل ومنذرون من العقاب الوبيل .

ب. الرسل شهود على أعمال أممهم كما في قوله تعالى﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾[5] . أما رسول الله فهو شاهد على جميع الأمم وجميع الناس من خلال عالمية رسالته المباركة ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ

---

١) ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران / ٣٣ .

٢) ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ ﴾ الكهف .

٣) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ لقمان / ١٢ .

٤) النساء / ١٦٥ .

٥) المزمل / ١٥ .

﴿وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[1] .

ت. من ضمن تكاليف الرسل انهم يقصون آيات الله تعالى على بني آدم كما في قوله تعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2] .

ث. ان الرسل مكلفون بتبليغ رسالات رب العالمين كما في قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[3] .

ج. من تكاليف الرسل فض النزاعات التي تحصل نتيجة الاختلاف الحاصل في أممهم أو الأمم الأخرى كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[4] .

ح. الدعوة الى عبادة الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[5] .

خ. القتال في سبيل الله تعالى وتحريض المؤمنين على القتال في سبيله كما في قوله تعالى ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾[6] .

---

١) الحج / ٧٨ .
٢) الأعراف / ٣٥ .
٣) النحل / ٣٥ .
٤) النساء / ٨٣ .
٥) الأنبياء / ٢٥ .
٦) النساء / ٨٤ .

وبما ان الرسل أنبياء قبل ان يكونوا رسل رب العالمين فان تكاليفهم تكون نفس تكاليف الانبياء إضافة الى تكاليف الرسل وما ذكرناه في المقامين لا يمثل جميع التكاليف بل هذه أظهرها وهناك تكاليف أخرى يمكن إستنباطها من خلال آيات الكتاب العزيز.

٥. آراء بعض العلماء في الفرق بين الرسول والنبي:

هناك عديد من الآراء للعلماء في الفرق بين الرسول والنبي ولهم جل الاحترام والتقدير فيما بذلوه من جهد وبحث وعلم وما توصلوا إليه هو إستنباطهم وما رأوه في الموضوع فلكل رأيه الذي يحتج به وما طرحناه مستنبط من كتاب الله تعالى وهو أعلم بالصواب ومن هؤلاء العلماء:

أ. أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) (الفرق بين النبي والرسول: أن النبي لا يكون إلا صاحب معجزة وقد يكون الرسول رسولا لغير الله تعالى فلا يكون صاحب معجزة. والانباء عن الشيء قد يكون من غير تحميل النبأ، والارسال لا يكون بتحميل، والنبوة يغلب عليها الاضافة إلى النبي فيقال نبوة النبي لانه يستحق منها الصفة التي هي على طريقة الفاعل، والرسالة تضاف إلى الله لانه المرسل بها ولهذا قال برسالتي ولم يقل بنبوتي والرسالة جملة من البيان يحملها القائم بها ليؤديها إلى غيره، والنبوة تكليف القيام بالرسالة فيجوز إبلاغ الرسالات ولا يجوز إبلاغ النبوات. الفرق بين النبي والرسول: قيل: لا فرق بينهما، وقيل: الرسول أخص من النبي لان كل رسول نبي من غير عكس. وقيل: الرسول الذي معه كتاب الانبياء، والنبي الذي ينبئ عن الله وإن لم يكن معه كتاب.)[1].

ب. الطوسي (الفرق بين الرسول والنبي أن النبي لا يكون الا صاحب المعجز الذي ينبئ عن الله أي يخبر، والرسول اذا كان رسول الله فهو بهذه الصفة، وقد يكون الرسول

---

١) الفروق اللغوية: ٢٦٨.

رسولا لغير الله ، فلا يكون بهذه الصفة . والانباء عن الشيء قد يكون من غير تحميل النبأ . والارسال لا يكون الا بتحميل الرسالة . والبلاغ وصول المعنى إلى غيره ، وهو هاهنا وصول الانذار إلى نفوس المكلفين . وأصل البلاغ البلوغ تقول : بلغ يبلغ بلوغا وأبلغه ابلاغا وتبلغ تبلغا وبالغ مبالغة وبلغه تبليغا ، ومنه البلاغة لانها إيصال المعنى إلى النفس في حسن صورة من اللفظ . وتبالغ الرجل اذا تعاطى البلاغة وليس ببليغ ، وفي هذا بلاغ أي كفاية لانه يبلغ مقدار الحاجة .) [(١)] .

ت. الرازي (ذكروا في الفرق بين الرسول والنبي أموراً : أحدها : أن الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه ، والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب ، وإنما أمر أن يدعو إلى كتاب من قبله والثاني : أن من كان صاحب المعجزة وصاحب الكتاب ونسخ شرع من قبله فهو الرسول ، ومن لم يكن مستجمعاً لهذه الخصال فهو النبي غير الرسول ، وهؤلاء يلزمهم أن لا يجعلوا إسحق ويعقوب وأيوب ويونس وهرون وداود وسليمان رسلاً لأنهم ما جاءوا بكتاب ناسخ والثالث : أن من جاءه الملك ظاهراً وأمره بدعوة الخلق فهو الرسول ، ومن لم يكن كذلك بل رأى في النوم كونه رسولاً ، أو أخبره أحد من الرسال بأنه رسول الله ، فهو النبي الذي لا يكون رسولاً وهذا هو الأولى .) [(٢)] .

ث. القرطبي (ت٦٧١هـ) (فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا لأن الرسول والنبي قد اشتركا في أمر عام وهو النبأ وافترقا في أمر خاص وهي الرسالة فإذا قلت : محمد رسول من عند الله تضمن ذلك أنه نبي ورسول الله وكذلك غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم)[(٣)] .

---

١) التبيان في تفسير القرآن :٤/ ٣٤ .

٢) تفسير الفخر الرازي : ٥٠/٢٣ .

٣) الجامع لأحكام القرآن : ٣٥٣/٩ .

ج. النسفي (الفرق بينهما أن الرسول من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه ، والنبي من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله . وقيل : الرسول واضع شرع والنبي حافظ شرع غيره) [١] .

ح. الماوردي (فيه قولان : أحدهما : أن الرسول والنبي واحد ، ولا فرق بين الرسول والنبي ، وإنما جمع بينهما لأن الأنبياء تخص البشر ، والرسل تعم الملائكة والبشر . والقول الثاني : أنهما مختلفان ، وأن الرسول أعلى منزلة من النبي . واختلف قائل هذا في الفرق بين الرسول والنبي على ثلاثة أقاويل : أحدها : أن الرسول هو الذي تتنزل عليه الملائكة بالوحي ، والنبي يوحى إليه في نومه . والثاني : أن الرسول هو المبعوث إلى أُمَّةٍ ، والنبي هو المحدث الذي لا يبعث إلى أمة ، قاله قطرب . والثالث : أن الرسول هو المبتدئ بوضع الشرائع والأحكام ، والنبي هو الذي يحفظ شريعة الله ، قاله الجاحظ .) [٢] .

خ. السيد نعمة الله الجزائري (ت١١١٢هـ) (اختلف علماء الإسلام في الفرق بين النبي والرسول فقيل بالترادف و قيل بالفرق بأن الرسول من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وإنما يدعو إلى كتاب من قبله . ومنهم من قال إن من كان صاحب المعجزة وصاحب الكتاب ونسخ شرع من قبله فهو الرسول ومن لم يكن مستجمعا لهذه الخلة فهو النبي غير الرسول . ومنهم من قال من جاءه الملك ظاهرا وأمره بدعوة الخلق فهو الرسول ومن لم يكن كذلك بل يرى في النوم فهو النبي ذكر هذه الوجوه الفخر الرازي وغيره والظاهر من حديثنا صحة القول الأخير لما مر من عدد المرسلين وكون من نسخ شرعة ليس إلا خمسة) [٣] .

---

١) تفسير النسفي : ٤٤٧/٢ .
٢) النكت والعيون تفسير الماوردي : ٣٤/٤ .
٣) النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين ، نعمة الله الجزائري : ٩ .

د. حقي (والفرق بين الرسول والنبي ان الرسول من بعث لتبليغ الاحكام ملكا كان او انسانا بخلاف النبي فانه مختص بالإنسان .) [1] .

ذ. ابن عاشور (وإنَّما اختلفت عباراتهم في معنى الرسول والنبي . ففي كلام جماعة من علمائنا لا نجد تفرقة ، وأنّ كلّ نبيء فهو رسول لأنَّه يوحى إليه بما لا يخلو من تبليغه ولو إلى أهل بيته . وقد يكون حال الرسول مبتدأ بنبؤة ثمّ يعقبها إرساله ، فتلك النبوة تمهيد الرسالة كما كان أمر مبدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ فإنَّه أخبر خديجة ، ونزل عليه : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ [الشعراء : ٢١٤] . والقول الصحيح أنّ الرسول أخصّ ، وهو من أوحي إليه مع الأمر بالتبليغ ، والنبي لا يؤمر بالتبليغ وإن كان قد يبلّغ على وجه الأمر بالمعروف والدعاء للخير ، يعني بدون إنذار وتبشير .) [2] .

ر. الطباطبائي حيث يقول (قيل إن الفرق بين النبي والرسول بالعموم والخصوص المطلق فالرسول هو الذي يبعث فيؤمر بالتبليغ ويحمل الرسالة ، والنبي هو الذي يبعث سواء أمر بالتبليغ أم لم يؤمر. لكن هذا الفرق لا يؤيده كلامه تعالى كقوله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا ﴾ مريم – ٥١ ، والآية في مقام المدح والتعظيم ولا يناسب هذا المقام التدرج من الخاص إلى العام كما لا يخفى . وكذا قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ الحج – ٥١ ، حيث جمع في الكلام بين الرسول والنبي ثم جعل كلا منهما مرسلا لكن قوله تعالى ﴿ ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء ﴾ الزمر - ٦٩، وكذا قوله تعالى: ﴿ ولكن رسول الله و خاتم النبيين﴾ الأحزاب – ٤٠ ، وكذا ما في الآية المبحوث عنها من قوله تعالى : ﴿ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين﴾ إلى غير ذلك من الآيات يعطي ظاهرها أن كل مبعوث من الله بالإرسال إلى الناس نبي ولا ينافي ذلك ما مر من قوله تعالى : ﴿ وكان

---

١) تفسير روح البيان : ٣٣٦/٥ .

٢) تفسير التحرير والتنوير : ٦/ ٣٢ .

رسولا نبيا ﴾ الآية ، فإن اللفظين قصد بهما معناهما من غير أن يصيرا اسمين مهجوري المعنى فالمعنى وكان رسولا خبيرا بآيات الله ومعارفه ، وكذا قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ الآية لإمكان أن يقال : إن النبي والرسول كليهما مرسلان إلى الناس ، غير أن النبي بعث لينبئ الناس بما عنده من نبأ الغيب لكونه خبيرا بما عند الله ، والرسول هو المرسل برسالة خاصة زائدة على أصل نبأ النبوة كما يشعر به أمثال قوله تعالى : ﴿ ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالحق ﴾ يونس - ٤٧، وقوله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ الإسراء - ١٥، وعلى هذا فالنبي هو الذي يبين للناس صلاح معاشهم ومعادهم من أصول الدين وفروعه على ما اقتضته عناية الله من هداية الناس إلى سعادتهم ، والرسول هو الحامل لرسالة خاصة مشتملة على إتمام حجة يستتبع مخالفته هلاكه أو عذابا أو نحو ذلك قال تعالى : ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ النساء - ١٦٥، ولا يظهر من كلامه تعالى في الفرق بينهما أزيد مما يفيده لفظاهما بحسب المفهوم ، ولازمه هو الذي أشرنا إليه من أن للرسول شرف الوساطة بين الله تعالى وبين عباده وللنبي شرف العلم بالله وبما عنده) [1] .

ز. محمد بن صالح العثيمين (الفرق بين النبي والرسول : هو ما ذهب إليه الجمهور من أن النبي من أوحي إليه بشرعٍ ولم يؤمر بتبليغه ولهذا يُسمى نبياً ولا يسمى رسولاً لأنه لم يؤمر ولكن لم يُنه عن إبلاغه وبينهما فرق ، أن نقول : لم يؤمر بتبليغه وبين أن نقول : نهي عن تبليغه .) [2] .

س. مكارم الشيرازي (هناك أقوال كثيرة في الفرق بين «الرسول» و «النبي»، وأكثرها قبولا أنّ كلمة الرّسول تطلق على أنبياء لهم رسالات من الله أمروا بنشرها بين الناس ، وألاّ يألوا أي جهد في هذا الطريق ، وأن يتحمّلوا الصعاب ولا يبالوا

---

١) الميزان في تفسير القرآن :١٤٢/٢ .

٢) شرح العقيدة السفارينية :٥٢٧ .

بالتضحية بأرواحهم من أجل رسالتهم . أمّا كلمة «النبي» فقد اشتّقت من «نبّأ» وهو الذي ينبأ بالوحي الإلهي رغم أنّه لم يُكلّف بإبلاغه بشكل واسع. فهو كالطبيب يراجعه المرضى للعلاج وطلب الدواء، ولكلّ نبي مهمّة تختلف عن مهمة الآخر، وذلك بمقتضى الأحوال والبيئة التي يعيشها كلّ واحد منهم .) [1] .

ش. العلامة جعفر سبحاني (أمّا فيما إذا وقعا وصفين لشخص واحد مثل قوله سبحانه : ﴿وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾ مريم: ٥٤ وقوله سبحانه : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ الاَعراف: ١٥٧ فالمراد الدلالة على أنّه واجد لكلا المنصبين ، ومتصف بكلتا الحيثيتين إذ للفرد الموحى إليه ، المبعوث من الله سبحانه لاِبلاغ أحكامه، شؤون ومناصب أو صفات وحالات ، فبما انّه يوحى إليه وله اتصال بالمبدأ الاَعلى ومطلع على الغيب أو منبىَ عنه فهو نبي ، وبما أنّه يتحمل رسالة من الله تعالى ويتم حجته على العباد ، ويجب عليه إرشاد الناس وإنذارهم ، فهو رسول ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ . النساء: ١٦٥ وأمّا إذا استعملا على وجه يشيران إلى طائفة مثل قوله سبحانه: ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاّ إِذا تَمَنّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ الحج : ٥٢ فإنّ الظاهر انّ كل واحد من اللفظين يشير إلى طائفة وجماعة واحدة ولا يدل على تعدد الطائفتين مصداقاً ، وانّ الموصوف بالنبوة غير الموصوف بالرسالة حسب الوجود ، بل يمكن أن يكون اللفظان بما لهما من المعنى حاكيين عن جماعة واحدة لهم شأن النبوة والرسالة ، فيصير هدف الآية : انّا ما أرسلنا أحداً من هذه العصابة إلاّ إذا تمنّى ألقى الشيطان في أُمنيته، غير انّه طلباً لجلية الحال وتوخياً في استيعاب كل واحد منهم بلا استثناء ، وانّ الحكم يعم رسولهم ونبيّهم عطف أحدهما على الآخر، طلباً لشمول الحكم لهم جميعاً ، وانّ بلوغهم مرتبة النبوة والرسالة ، ما منعهم عن هذه الهواجس . وان أبيت إلاّ عن ظهور الآية في تعدّد الطائفتين وجوداً ومصداقاً وانّ هنا مجموعتين : أنبياء ورسلاً ويفترق بعضها عن

---

١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :٤٣٣/٨ .

بعضها فعندئذ نقول : قصارى ما يمكن أن يقال انّ كل واحد من اللفظين إذا انفرد بالذكر، لا يدل إلاّ على المعنى الذي أشرنا إليه، من دون دلالة على أحد من هذه الفروق ، ومن دون أن نلتزم بالتفرقة بينهما بواحد من هذه الفروق ، مثلاً إذا قال سبحانه : ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ الاَحزاب : ٤٥ فلا يقصد من لفظ النبي ، إلاّ كونه المطّلع على الغيب والمنبىَ عنه من دون أن يشير إلى واحد من هذه الفروق . وإذا قال سبحانه: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ لا يقصد منه إلاّ صاحب الرسالة والمبعوث إلى الناس لإبلاغ كلام ، أو تنفيذ عمل من دون أن يدل على كونه ذا كتاب ، أو شريعة جديدة ، أو معايناً للملك ، وآخذاً منه الوحي ، فإنّ واحداً من هذه المعاني لا يخطر ببال أي عربي عند سماع هذين اللفظين . نعم إذا اجتمعا في الذكر، وأشارا إلى طائفتين مثل قوله سبحانه : (وما أرسلنا من رسول ولا نبي) ، فالاعتراف بظهور الآية فيما ادّعاه القائل من دلالة اللفظين على أنّ هنا طائفتين ، مختلفتين ، لكل منهما صفة وخاصية ، يدفعنا إلى إبداء الفرق بينهما بأحد من الوجوه المذكورة في كلمات القوم مضافاً إلى ما يفيده لفظهما فيكون وزان النبي والرسول وزان الظرف والجار والمجرور والفقير والمسكين ، «إذا افترقا اجتمعا، وإذا اجتمعا افترقا» وقد عرفت حال الوجوه السالفة ، وأقربها إلى الاعتبار هو الوجه الرابع المؤيد ببعض الروايات .) [١] أما الوجه الرابع الذي أشار اليه فهو (الاَقرب انّه لا فرق بينهما من حيث إنّ كلاً منهما ينبئه الله بما يريد ، فإذا أنبأه وأمره بالتبليغ أُطلقت عليه كلمة النبي ، لاَنّ الله تعالى أنبأه ، وكلمة الرسول لاَنّه تعالى أمره بالتبليغ .) [٢] .

ص. السيد علي الحسيني الصدر (إنّ الفرق بين النبي والرسول ، هو أنّ النبي يرى في منامه ويسمع صوت الملك لكن لا يعاينه ولا يراه ، بينما الرسول يسمع

---

١) مفاهيم القرآن : ٣٨١/٤ .

٢) المصدر نفسه : ٣٧٨/٤ .

الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك ، كما يستفاد من حديث زرارة في أُصول الكافي والبحار .) [1] .

٦. مناقشة الآراء :

عند مناقشة آراء العلماء فانما نعرض للرأي الذي هم عليه ولا علاقة لنا بشخص العالم نفسه فله كل الاحترام والتقدير ، ومكانته لا يمكن إنكارها أو التطاول عليها أما الرأي فهو قابل للخطأ والصواب وبالتالي المناقشة العلمية مع بيان مكامن الضعف أو القوة فيه ما دام الاتفاق حاصلاً بعدم عصمتهم من الخطأ . وبالعودة الى ما قاله العلماء المذكورون فيما مر والتي تكاد تكون أقوالهم قد أجملت جميع الآراء حتى لغير المذكورين في البحث وحسب المنهج الذي سرنا عليه لابد من مناقشتها وفق المعطيات القرآنية ولا علاقة للرأي فيما نقول ، في البداية هناك ملاحظتان مهمتان لابد من التنويه عنهما ، الأولى الفرق بين النبي والرسول فان المراد بالرسول هنا هو الرسول البشر الذي بعثه الله تعالى برسالة بشيراً ونذيراً وليس الرسول بالمعنى العام الذي بيناه خلال البحث الذي قد يشمل غير البشر مثل إرسال الملائكة ، وارسال الرياح ، وارسال السماء مدرارا ، وإرسال الشياطين الى الكافرين ، فمضامين هذه الرسالات مختلفة إضافة الى إختلاف رسلها لكن عند البحث في الفرق بين شيئين لابد ان يكونا من صنف واحد والبحث في الفرق بين النبي والرسول باعتبارهما من البشر هو مدار القصد ، إذن بحثنا يتركز حول الرسل أمثال نوح(عليه السلام) وإبراهيم (عليه السلام) وموسى (عليه السلام) وعيسى (عليه السلام) والمصطفى (صلى الله عليه وآله) والأنبياء أمثال أيوب وزكريا ويحيى عليهم السلام حيث فرق القرآن الكريم في التعبير عنهم فقال عن الصنف الأول (رسولاً نبيا) أو (من المرسلين) وقال عن الصنف الآخر (نبيا) فقط وسبق وان بينا ذلك خلال البحث . أما الملاحظة الثانية : ان الله

---

١) العقائد الحقة : ٢٢٧ .

تعالى اصطفى الأنبياء على جميع العالمين كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[1] ثم انه تعالى قال ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾[2] فهو أيضاً إصطفاء للرسل وبما ان الرسل أنبياء كما أثبتناه سابقا فالإصطفاء الأخير للرسل لابد وان يكون من الانبياء أي انه إصطفاء بعد إصطفاء فالنبي مصطفى من بين الناس والرسول مصطفى من بين الأنبياء وأولو العزم من الرسل الذين أرسلوا بشرائع دينية مصطفين من بين الرسل وإلا لماذا كان إبراهيم عليه السلام مثلاً من الرسل أولي العزم ولم يكن ابنه إسماعيل عليه السلام كذلك وهو أيضاً رسول ولماذا لم يكن إسحاق عليه السلام رسولاً وكان نبياً وهو ابن ابراهيم عليه السلام وأخو إسماعيل عليه السلام ، إذن فهو إصطفاء وجعل من الله تعالى وهو أعلم حيث يجعل رسالته ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾[3] .

الآن السؤال الذي نريد له جواباً هو لماذا أطلق التعبير القرآني على بشر رسول وعلى بشر آخر نبي وكلاهما نبي ؟ ومن خلال هذا السؤال نرى ونناقش آراء العلماء التي أوردناها :

أ. الرأي الذي يقول « ان الفرق بين النبي والرسول بالعموم والخصوص ، أو الذي يقول أنهما اشتركا في أمر عام وهو النبأ وإفترقا في أمر خاص وهي الرسالة أو ان الرسول خاص والنبي عام ، باعتبار ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسول » فهذا القول صحيح من جانب وليس على الصواب من جانب آخر فالجانب الصحيح فيه ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسول وهو ما أثبته القرآن الكريم

---

١) آل عمران / ٣٣ .
٢) الحج / ٧٥ .
٣) الأنعام / ١٢٤ .

بالمفهوم الذي بيناه لمفهوم ارسال الرسل وإلا فان الانبياء قد أرسلوا أيضا لقوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1] فجمع بين الرسول والنبي وجعل كلاً منهما مرسلاً ، ولكن إرسال الانبياء مختلف عن إرسال الرسل فسبق وان بينا لما كان هذا الجمع في هذه الآية المباركة وقلنا نعم ان النبي يرسل ولكن بنفس أحكام ورسالة الرسول الذي سبقه أو عاصره ولم يعبر عن الثاني رسول لأنه لم يأتِ برسالة تكمل ما سبقتها أو تنسخ بعض الأحكام أو تضيف أحكاماً جديدةً وتعليمات أخرى أما المشكل الذي في هذا الرأي فهو أخذ الظاهر منه وجعل النبوة عامة والرسالة خاصة وإعتبار ذلك هو الفرق بينهما . وفي الحقيقة القرآنية ان النبوة إصطفاء من بين الناس كما قلنا والرسالة إصطفاء من بين الأنبياء وبالتالي فان كون النبوة عامة تشمل الانبياء والرسل ، والرسل خاصة بأصحاب الرسالات لا يشكل فرقا يجيب على ما طرحنا في السؤال موضوع البحث ، واما من أشكل على أصحاب هذا الرأي مستدلا بقوله تعالى﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾[2] وان الآية في مقام المدح والتعظيم ولا يناسب هذا المقام التدرج من الخاص الى العام ، فنقول نعم ان هذه الآية ومثلها قوله تعالى ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾[3] لا تؤيد التدرج من الخاص الى العام لأن أصل الموضوع منتف فلا خاص ولا عام بين الرسالة والنبوة ، ولكل منهما موضوعه لكن الآيات المباركة المذكورة تتحدث عن مقامين ومنصبين إلاهيين مختلفين تماماً وبما انها كذلك فمن الطبيعي ان تبدأ بالمنصب أو المقام الأعلى رتبة ثم الى الأدنى منه ولا علاقة لها بالخصوص والعموم ولتسهيل فهم الموضوع

---

١) الحج / ٥٢ .
٢) مريم / ٥١ .
٣) مريم / ٥٤ .

نأخذ مثلاً عند محاولة عرض السيرة الذاتية لشخص ما من باب المدح والتعظيم فان القول يكون بأنه مثلاً شغل منصب وزير كذا ووكيل وزارة كذا .. من باب الترغيب وحسب التدرج الوظيفي من الأعلى الى الأدنى ، ومنه يتبين ان رد القول بالعموم والخصوص بهذه الآية المباركة غير موفق .

ب. الرأي القائل ان النبي هو الذي يبين للناس صلاح معاشهم ومعادهم من أصول الدين وفروعه على ما إقتضته عناية الله من هداية الناس الى سعادتهم ، والرسول هو الحامل لرسالة خاصة مشتملة على إتمام حجة يستتبع مخالفته هلاكا أو عذاباً أو نحو ذلك . وهذا القول لا إشكال ولا شبهة عليه ولكن الرسول نبي في أصله أي انه رسول ونبي فما يكلف به النبي هو أصلا مكلف به فهو أيضا يبين للناس صلاح معاشهم ومعادهم من أصول الدين وفروعه على ما إقتضته عناية الله من هداية الناس الى سعادتهم لأن القرآن الكريم وصف الأنبياء بأنهم مبشرين ومنذرين بقوله تعالى ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[١] وكذلك وصف الرسل بأنهم مبشرين ومنذرين بقوله تعالى ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا ﴾[٢] ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان الأنبياء أيضاً يحملون رسالة الرسل الذين سبقوهم أو عاصروهم ومخالفتهم يستتبعها هلاك أو عذاب ، إذن لم ينم هذا الرأي عن جواب ما سألناه .

ت. الرأي القائل انه لا فرق بينهما أو ان المفردتين فيهما ترادف بالمعنى ، فانه كلام فيه اشكال يرد عليه القرآن الكريم نفسه من خلال العديد من الآيات منها ﴿

---

١) البقرة / ٢١٣ .

٢) الكهف / ٥٦ .

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾[1] فاذا لم يوجد فرق بينهما أو وجود ترادف فلماذا قال (رسولا نبيا) فيصبح على قولهم هذا تكرار لا طائل منه كأنك تقول رسولا رسولا أو نبيا نبيا وهذا غير صحيح بل العكس ان مثل هذه الآيات تؤيد وجود فرق بين المقامين .

ث. الرأي القائل بأن الرسول من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وإنما يدعو الى كتاب من قبله . نقول ان هذا الرأي لا يطابق ما ورد في القرآن الكريم من ناحيتين الأولى : سبق وان بينا خلال البحث ان القرآن الكريم وفي آيات مباركة قد اثبتت ان كل الأنبياء قد أنزل الله معهم الكتاب ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[2] ، وثانياً : من قال ان الأنبياء لم ترافقهم معجزات وكفا بك ان تراجع ما حكاه القرآن الكريم عن نبي الله أيوب عليه السلام ولم يكن رسولا ، أو قصة زكريا عليه السلام وكان نبيا ولم يكن رسولا ، أما ما ورد في ذيل الرأي موضوع البحث من ان النبي يدعو الى كتاب من قبله ففيه وجهة نظر وقبول ان كان المقصود به كتاب الرسالة التي أرسل بها الرسول الذي قبله لأن النبي يعمل برسالة الرسول الذي قبله أو عاصره والذي نقصده بكتاب الرسالة مثل التوراة والانجيل والقرآن وكتب الرسالة غير الكتب التي آتاها الله تعالى للأنبياء وبما فيهم الرسل بإعتبارهم أنبياء أصلاً لأنها تعليم لدني من الله عز وجل . وعليه فان هذا الرأي لم يعطنا جواباً لما طرحناه من سؤال .

---

١) مريم / ٥١ .

٢) البقرة / ٢١٣ .

ج. الرأي القائل (النبي لا يؤمر بالتبليغ وان كان يبلغ على وجه الأمر بالمعروف والدعاء الى للخير ، يعني بدون إنذار وتبشير) وهذا الرأي مقدمته لا إشكال ولا شبهة عليها ولكن بقية الكلام لا يؤيده القرآن الكريم حيث لم يجعل الله من تكاليف الأنبياء التبليغ برسالة خاصة بالنبي نفسه وإلا كان رسولاً بل ان من صلب تكليفه الإنذار والتبشر لقوله تعالى ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[١] فكيف لصاحب هذا الرأي ان يجيز لهم التبليغ الذي لم يؤيده القرآن الكريم وجعله بدون إنذار وتبشير وهو ما جعله القرآن تكليفهم . إذن هذا الرأي لم يقع على الغاية الصحيحة .

ح. الرأي القائل (إنما جمع بينهما لأن الأنبياء تخص البشر والرسل تعم الملائكة والبشر ، أو الفرق ان الرسول من بعث لتبليغ الأحكام ملكاً كان او انساناً بخلاف النبي فانه مختص بالإنسان) فهذا الكلام مقبول من ناحية ان الأنبياء تخص البشر أي هم من البشر ومن ناحية أخرى فهو مقبول من كون الرسل تعم البشر وغيرهم كما بينا ، على الرغم من انه لا يوجد دليل قرآني ينفي أو يثبت وجود أنبياء من غير البشر ، ولكن المقام هو الفرق بين الرسل والأنبياء من البشر ولماذا فرق القرآن الكريم في التعبير عنهما وفي معرض الآيات فانها تتكلم عن بشر شخص نفسه ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾[٢] وهنا رجعنا الى السؤال الذي طرحناه في بداية بحثنا هذا .

---

١) البقرة / ٢١٣ .

٢) مريم / ٥٤ .

خ. الرأي القائل (ان الرسول هو الذي تتنزل عليه الملائكة بالوحي والنبي يوحى اليه في نومه أو بمعنى آخر إنّ الفرق بين النبي والرسول ، هو أنّ النبي يرى في منامه ويسمع صوت الملك لكن لا يعاينه ولا يراه ، بينما الرسول يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك) نقول ان الآيات المباركة قد بينت ان الرسل والأنبياء يوحى اليهم وان هناك طرقاً بينّها الكتاب العزيز لتلقي البشر كلام الله تعالى﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[1] وهناك آيات قد بينت ان رسول من البشر أرسله الله تعالى قد رأى وكلم رُسل ربه من الملائكة كما هو الحال مع إبراهيم(عليه السلام) ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾[2] ومع لوط(عليه السلام) ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾[3] وكل هذا لا يوجد في القرآن ما ينفي أو يؤيد مشاهدة الأنبياء للرسل من الملائكة الذين يبعثهم الله تعالى بالوحي فلم يبقَ الا السنة الشريفة الصحيحة القطعية فان وجد ما يؤيد هذا الرأي فكان بها وكان هذا الرأي أحد الفروق التي نبحث عنها في جواب السؤال الذي طرح في بداية البحث .

٧. الفرق بين النبي والرسول:

بعد ان ناقشنا الآراء التي طرحت في هذا الموضوع وبيَّنا قبلها بعض ما أورده الكتاب العزيز في آياته المباركة من خصائص ومميزات للنبي والرسول يمكن من خلالها إستنتاج الفرق بين المقامين الشريفين ، وكما مر ان كلا المقامين يوحى اليه بمختلف طرق الوحي التي يوحي بها تعالى الى أنبيائه ورسله﴿

١) الشورى / ٥١ .
٢) هود / ٦٩ .
٣) هود / ٧٧ .

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[1] فاذا إعتبرنا ان أحد الفروق بينهما في طريقة الوحي وان الرسول يرى الوحي بينما النبي لا يراه ، على الرغم من عدم وجود سند قرآني لهذا القول معتمدين على ما صح وقطع به من السنة الشريفة إلا ان طرق الوحي إختلفت بين الرسل أنفسهم فموسى عليه السلام كان رسولاً ، وكَلَمَهُ الله تعالى﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾[2] بينما لم يكلم الله تعالى عيسى عليه السلام مثلا ولم يذكر انه كلم غيره هذا ثانياً ، وقد مرَّ خلال البحث ان الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين وشهداء على أممهم ، وان جميع الأنبياء قد أوتوا الكتاب والحكمة وبما ان الرسل من الانبياء فهم كذلك ، وهناك فرقان إضافيان مهمان بين النبوة والرسالة فان النبوة تكون ملازمة لمن إصطفاه الله عز وجل من عباده منذ ولادته أما الرسالة فان الرسول يرسل بعد أن يأخذ من العمر سنين كما هو الحال في الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فقد أرسل عندما كان عمره الشريف أربعين عاماً وقبل ان يرسل فهو نبي أصطفيَّ كنبي وأُصطفيَّ كرسول هذا الفرق الثاني ، والفرق الأساسي الثالث بين النبي والرسول هو ان الرسول مكلف بمهمة تبليغ رسالة أرسل بها من الله تعالى وقد يكون صاحب شريعة دينية سماوية فيكون من الرسل أولي العزم كما أطلق عليهم ذلك القرآن الكريم وسبق وان بيناه ، بينما النبي يعمل وفق رسالة الرسول الذي يعاصره أو سبقه وغير مكلف بتبليغ رسالة سماوية خاصة به بل يقتصر على التبشير والانذار والحكم بالحق بما أنزل الله وهو أيضا من تكليف الرسل بما انهم أنبياء ، مع الأخذ بنظر الاعتبار ان لكل رسول من أولي العزم ان يحكم بما أنزل الله تعالى وفق الشريعة والمنهاج الالهي الذي يؤمن به المتحاكمون لأن الشريعة والمنهاج اللاحق مهيمن ومصدق للسابق

---

١) الشورى / ٥١ .

٢) النساء / ١٦٤ .

لقوله تعالى﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[١]، ومصداقه ما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (لو كسرت لي الوسادة ثم جلست عليها، لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم ، وبين أهل الانجيل بانجيلهم ، وبين أهل الزبور بزبورهم ، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، والله ما من آية نزلت في بحر ولا بر ولا سهل ولا جبل ولا سماء ولا أرض ، ولا ليل ولا نهار، الا وأنا أعلم في من نزلت وفي أي شيء نزلت .)[٢].

---

١) المائدة / ٤٨ .

٢) كتاب الأربعين ، محمد طاهر القمي الشيرازي : ٤٢٧ ، مستدرك سفينة البحار ، الشيخ علي النمازي الشاهرودي :١٠/ ٢٩٦ .

المبحث التاسع - نزل وأنزل وآتى وأعطى:

ان القرآن الكريم بحر محيط كل من حاول الولوج والغوص فيه يجد النفائس والجواهر وكلما كثر إبحاره وغوصه وجد الأنفس والأثمن ولربما وجد من الجديد ما لم يجده غيره مع كون ما وجد مسبقا قد بقيَّ محافظاً على قيمته ورونقه وكأن درره تتناغم مع كل أوان وزمان وعليها التسابق في كل مكان ولعل هذا من ضمن إعجاز القرآن الكريم ، وكمثل على ذلك تجد في آيات مباركة مثل قوله تعالى ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾[1] قد إستعمل مفردة ﴿ نَزَّلَ ﴾ مرة وأخرى إستعمل مفردة ﴿ أَنْزَلَ﴾ مع ان الكتاب الذي أنزل على صدر الحبيب المصطفى ﷺ والتوراة والإنجيل كلها كتب سماوية أنزلت من الله ﷻ ، ومثال آخر أكثر وضوحاً في قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴾[2] وقوله تعالى﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾[3] مع ان الذي أنزله الله تعالى هو القرآن الكريم إلا ان التعبير القرآني قد اختلف ففي الآية الأولى قال تعالى ﴿ نَزَّلْنَا ﴾ وفي الثانية قال ﴿ أَنْزَلْنَا﴾ فلو كان المراد والمقصود نفسه في المفردتين فلماذا لم يستعمل مفردة واحدة منهما ؟ أو لماذا لم يبدل مفردة مكان الأخرى ؟ ونحن منذ بداية البحث سرنا على ان المنهج القرآني في إستعماله للمفردات يكون مقصوداً ولغاية إيضاحية شاملة للمعنى التام لإستعمال المفردة في موضعها من الجملة ، إذن لابد من وجود فرق بين المفردتين وهذا الفرق تنبه له جمع من اللغويين والمفسرين والباحثين ، (فهو قول الواحدي ، والزمخشري ، والراغب الأصفهاني ،

---

١) الإنسان / ٢٣ .
٢) آل عمران / ٣ .
٣) طه / ٢ .

والسمين الحلبي ، وابن الزبير الغرناطي ، وغيرهم . وذلك استدلالًا بالآيات التي فرقت بين اللفظتين) [١] وكان هذا التفريق على آراء منها :

أ- أن التعبير القرآني لِما نزل دفعة واحدة يأتي بلفظ «أنزل»، وما نزل مفرقًا منجمًا يأتي بلفظ «نزّل» . يقول الزمخشري (فإن قلت : لم قيل ﴿ نَزَّلَ الكتاب ﴾ ﴿ وَأَنزَلَ التوراة والإنجيل ﴾ ؟ قلت : لأن القرآن نزل منجماً ، ونزل الكتابان جملة .)[٢] ، ويقول الطباطبائي (أن التنزيل يدل على التدريج كما أن الإنزال يدل على الدفعة.)[٣] ، وقال الراغب الأصبهاني (والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقًا ومرة بعد أخرى والإنزال عام) [٤] ، وقد رد هذا الرأي من قبل عدد من العلماء الذاهبين الى عدم وجود فرق بين المفردتين أو الذين لهم رأي آخر في الفرق بينهما بقوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾[٥] فقالوا اذا كانت مفردة «نزّل» تفيد التفريق والتنجيم فهذا مناف لعبارة «جملة واحدة» والآية جمعت بينهما (وقد رد أبو حيان القول بالتفريق بين نزّل وأنزل المبني على أن التضعيف في نزّل دليل على التكثير والتنجيم؛ من وجوه :

١ - أن التضعيف في نَزّل مفيد لنقل الفعل من اللازم إلى المتعدي وليس للتكثير.

٢- أنه لو كان التضعيف في «نزّل» لإفادة التكثير والتنجيم لما جاء قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ [الفرقان : ٣٢] جامعًا بين التضعيف وقوله ﴿ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ وهما متنافيان في الدلالة .

---

١) نزول القرآن الكريم والعناية به في عهد الرسول ﷺ : ١٠٩ .
٢) تفسير الكشاف للزمخشري : ١٦٠.
٣) الميزان في تفسير القرآن : ٣/ ٧ .
٤) المفردات في غريب القرآن :٢/ ٦٣١.
٥) الفرقان / ٣٢ .

٣ - إن من أدلة عدم الفرق بين اللفظتين وأنهما بمعنى واحد؛ القراءة بالوجهين في كثير مما جاء كذلك. يقول أبو حيان : «ويدل على أنهما بمعنى واحد قراءة من قرأ ما كان من «ينزِّل» مشددًا؛ بالتخفيف - إلا ما استثني - فلو كان أحدهما يدل على التنجيم والآخر على النزول دفعة واحدة لتناقض الإخبار وهو محال» . ويؤيد هذا قراءة قوله تعالى: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ ﴾ بالتشديد فرَّقناه والتخفيف ﴿ فَرَقْنَاهُ ﴾ كما أنه قد جاء مع القرآن أنزل، قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ [النحل: ٤٤] يقول سيبويه : «فعّل وأفعل يتعاقبان» . - مجيء «نزّل» المضعف في آيات كثيرة بحيث لا يراد منها إفادة التكثير والتنجيم إلا على تأويل متكلف وبعيد جدًّا كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ (الأنعام : ٣٧) وقوله : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ٩٥] فالمراد هنا مطلق الإنزال لا تكثير المنزل .) [١] ، وبناءً على ما أُستدل به من آيات مباركة لرد هذا الرأي دفع العلامة الطباطبائي هذا الإشكال بقوله (وربما ينقض ذلك بقول : ﴿ لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ : الفرقان – ٣٢ ، وبقوله تعالى : ﴿أن ينزل علينا مائدة ﴾ : المائدة - ١١٢، وقوله تعالى : ﴿لولا نزل عليه آية ﴾ : الأنعام - ٣٧، وقوله تعالى : ﴿قل إن الله قادر على أن ينزل آية ﴾ : الأنعام - ٣٧، ولذلك ذكر بعض المفسرين : أن الأولى أن يقال : إن معنى نزل عليك الكتاب : أنزله إنزالا بعد إنزال دفعا للنقض . والجواب : أن المراد بالتدريج في النزول ليس هو تخلل زمان معتد به بين نزول كل جزء من أجزاء الشيء وبين جزئه الآخر بل الأشياء المركبة التي توجد بوجود أجزائها لوجودها نسبة إلى مجموع الأجزاء وبذلك يصير الشيء أمرا واحدا غير منقسم ، والتعبير عنه من هذه الجهة بالنزول كقوله تعالى : ﴿أنزل من السماء ماء﴾ : الرعد - ١٧ وهو الغيث . ونسبته من حيث وجوده بوجود أجزائه واحدا بعد واحد سواء

---

١) نزول القرآن الكريم والعناية به في عهد الرسول ﷺ : ١١١ .

تخلل بينهما زمان معتد به أو لم يتخلل وهو التدريج ، والتعبير عنه بالتنزيل كقوله تعالى : ﴿وهو الذي ينزل الغيث ﴾ : الشورى - ٢٨. ومن هنا يظهر : أن الآيات المذكورة للنقض غير ناقضة - فإن المراد بقوله لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة الآية : أن ينزل عليه القرآن آية بعد آية في زمان متصل واحد من غير تخلل زمان معتد به كما كان عليه الأمر في نزول القرآن في الشؤون والحوادث والأوقات المختلفة ، وبذلك يظهر الجواب عن بقية الآيات المذكورة .) [١] .

ب- والتعبير بأنزل للإشارة إلى أنه لم يكن إلا نزول واحد أما اذا كان أكثر من واحد فيعبر عنه بنَّزل ، وهو قول الآلوسي في تفسيره لقوله تعالى ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾[٢] حيث يقول (والتعبير بأنزل فيهما للإشارة إلى أنه لم يكن لهما إلا نزول واحد وهذا بخلاف القرآن فإن له نزولين ، نزول من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من سماء الدنيا جملة واحدة ، ونزول من ذلك إليه ﷺ منجماً في ثلاث وعشرين سنة على المشهور ، ولهذا يقال فيه : نزل وأنزل وهذا أولى مما قيل : إن نزل يقتضي التدريج وأنزل يقتضي الإنزال الدفعي إذ يشكل عليه ﴿ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ القرءان جُمْلَةً واحدة ﴾ [الفرقان : ٣٢] حيث قرن نزل بكونه جملة ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ في الكتاب ﴾ [النساء : ١٤٠] وذكر بعض المحققين لهذا المقام أن التدريج ليس هو التكثير بل الفعل شيئاً فشيئاً كما في تسلسل ، والألفاظ لا بد فيها من ذلك فصيغة نزل تدل عليه ، والإنزال مطلق لكنه إذا قامت القرينة يراد بالتدريج التنجيم ، وبالإنزال الذي قد قوبل به خلافه ، أو المطلق بحسب ما يقتضيه المقام .) [٣] .

---

١) الميزان في تفسير القرآن : ٧/٣ .

٢) الإنسان / ٢٣ .

٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ٧٦/٣ .

ت- والرأي الثالث هو للدكتور محمد شحرور[1] حيث يقول (فالتنزيل هو : عملية نقل موضوعي خارج الوعي الإنساني . والإنزال : هو عملية نقل المادة المنقولة خارج الوعي الإنساني ، من غير المدرك الى المدرك ، أي دخل مجال المعرفة الإنسانية)[2] ، ثم في موضع آخر بين تفصيل هذا التعريف للمفردتين فقال : (حتى يكون هناك حالة إنزال منفصلة عن التنزيل في القرآن ، يجب ان يكون للقرآن وجود قبل الإنزال والتنزيل ، ومن هذا يفهم بأن أسباب النزول ليس لها أي معنى في القرآن، لأن تنزيل القرآن على النبي ﷺ هو حتمي، سئل عنه أو لم يسأل ، لذا قال عن الأشياء التي تخص مواضيع القرآن مثل الغيبيات ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم

---

١) ولد محمد شحرور بن ديب في دمشق عام ١٩٣٨ ، أتم تعليمه الثانوي في دمشق وحاز على الثانوية العامة ١٩٥٨ حصل على الدكتوراه عام ١٩٧٢ في الهندسة المدنية – اختصاص ميكانيك تربة وأساسات . قدم وشارك في استشارات فنية لكثير من المنشآت الهامة في سوريا. له عدة كتب في مجال اختصاصه تؤخذ كمراجع هامة لميكانيك التربة والأساسات . بدأ في دراسة التنزيل الحكيم وهو في أيرلندا بعد حرب ١٩٦٧، وذلك في عام ١٩٧٠، وقد ساعده المنطق الرياضي على هذه الدراسة ، واستمر بالدراسة حتى عام ١٩٩٠، حيث أصدر الكتب التالية ضمن سلسلة (دراسات إسلامية معاصرة) الصادرة عن دار الأهالي للطباعة والنشر في دمشق : (الكتاب والقرآن – قراءة معاصرة) عام ١٩٩٠. (الدولة والمجتمع) عام ١٩٩٤. (الإسلام والايمان – منظومة القيم) عام ١٩٩٦. (نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي – فقه المرأة " الوصية – الإرث – القوامة – التعددية – اللباس") عام ٢٠٠٠. (تجفيف منابع الإرهاب) عام ٢٠٠٨. وصدر له عن دار الساقي، بيروت – لبنان ، الكتب التالية :(القصص القرآني – المجلد الأول : مدخل إلى القصص وقصة آدم) عام ٢٠١٠. (الكتاب والقرآن – رؤية جديدة) عام ٢٠١١. (القصص القرآني – المجلد الثاني : من نوح إلى يوسف) عام ٢٠١٢. (السنة الرسولية والسنة النبوية – رؤية جديدة) عام ٢٠١٢. (الدين والسلطة – قراءة معاصرة للحاكمية) عام ٢٠١٤. (الإسلام والايمان – منظومة القيم) عام ٢٠١٤ (فقه المرأة – نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي) عام ٢٠١٥ . (أمُّ الكتاب وتفصيلها : قراءة معاصرة في الحاكمية الإنسانية – تهافت الفقهاء والمعصومين) عام ٢٠١٥. وصدر عن دار بريل في هولندا ، كتاب : The Qur'an, Morality and Critical Reason – The Essential Muhammad Shahrur[٣].

٢) الكتاب والقرآن ، الدكتور محمد شحرور : ١٤٩.

تسوءكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم﴾ (المائدة/ ١٠١) ولم يقل أبداً عن الأشياء التي تخص الأحكام أو تفصيل الكتاب لا تسألوا عنها : هنا يطرح السؤال الثاني نفسه بالضرورة :

إذا كان القرآن موجوداً فعلاً قبل الإنزال والتنزيل، فما هو هذا الوجود وبأي صورة كان موجوداً ؟ فإذا كان القرآن موجوداً بالصيغة اللسانية العربية التي نراه عليها الآن والتي نستوعبه من خلالها وهو كلام الله وآيات الله والقصص لكان الاستنتاج المباشر لذلك بأن الله عربي . وبما أن كلام الله هو عين الموجودات ونواميسها العامة التي تحكم الوجود خزنت بشكل ما في لوح محفوظ وفي كتاب مكنون . ففي كتاب مكنون يوجد البرنامج العام للكون ، وفي لوح محفوظ يوجد هذا البرنامج وهو يعمل . وفي إمام مبين توجد قوانين الطبيعة الجزئية التي يتم التصريف من خلالها وأحداث التاريخ بعد وقوعها . فالقرآن في لوح محفوظ وفي إمام مبين هو من علم الله ، وعلم الله هو أعلى أنواع علوم التجريد ، وأعلى أنواع علوم التجريد هو الرياضيات لذا قال : ﴿ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ (الجن/ ٢٨) أي أن علم الله بالموجودات هو علم كمي بحت . فالإحصاء هو التعقل، والعدد هو حال الإحصاء . هذا القرآن موجود في لوح محفوظ وإمام مبين بصيغة غير قابلة للإدراك الإنساني وغير قابلة للتأويل ، وبصيغة مطلقة . فعندما أراد الله أن يعطي القرآن للناس فالمرحلة الأولى كانت تحويله إلى صيغة قابلة للإدراك الإنساني النسبي، أي جرت عملية تغيير في الصيرورة . وهذا التغيير في الصيرورة عبر عنه في اللسان العربي في فعل « جعل» . إذ قال : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الزخرف /٣) أي كان له وجود مسبق قبل أن يكون عربياً فجعله عربياً « أي في صيرورته » وهذا معنى الجعل . ولكنه أيضاً قال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف/ ٢) والإنزال هو نقل غير المدرك إلى المدرك . أي كان القرآن غير مدرك « غير مشهر » فأصبح مدركاً ، وهذا ما جاء في الإنزال . أي أن : الجعل: هو التغيير في الصيرورة .

الإنزال: هو النقل من صيغة غير مدركة إلى صيغة مدركة « الإشهار» . والآن لماذا وضع الجعل والإنزال على أنه عربي؟ أقول إن الجعل هو تغيير في الصيرورة فيمكن أن تغير صيرورة القرآن من شكل غير قابل للإدراك إلى شكل آخر غير قابل للإدراك ، لذا قال : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ والإنزال هو نقل من غير المدرك إلى المدرك لذا قال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ . ففي القرآن تلازم الجعل والإنزال أي جعل وأنزل عربياً . أي أن القرآن الموجود بين أيدينا ليس عين القرآن الموجود في لوح محفوظ وإمام مبين ، وليست صيغته نفس الصيغة الموجودة فيهما . وإنما هو صورة قابلة للإدراك الإنساني « الإنزال » تم التغيير في صيرورتها «الجعل» حتى أصبحت مدركة ، ثم وصلت إلى النبي ﷺ ، مادياً عن طريق الوحي «التنزيل» والنبي ﷺ نقلها آلياً إلى الناس . وقد تم جعل القرآن وإنزاله عربياً على دفعة واحدة . وهذا ما حصل في ليلة القدر حين قال تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (القدر/ ١) وهكذا نفهم حديث النبي ﷺ أنه في ليلة القدر نزل القرآن إلى السماء الدنيا . أي أصبح قابلاً لأن يدرك من قبل الناس التي تعيش الحياة الدنيا وأشهر . وبما أنه في ليلة القدر تم إشهار القرآن، فقد قال : ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ (القدر/٣) . لك أن تذهب بكلمة شهر إلى أنها من الشهرة والإشهار القانوني الملزم للبيع والشراء . ولا يلزمك أن تفهم «الألف» على أنها عدد ، بل جاءت من فعل « ألف» وهو ضم الأشياء بعضها إلى بعض بشكل منسجم، ومنه جاءت الألفة والتأليف . أي أن إشهار القرآن خير من كل الإشهارات الأخرى مؤلفة كلها بعضها مع بعض . وقال أيضاً : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴾ (الدخان/ ٣) وقال: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ.. الآية﴾ (البقرة ١٨٥) . لاحظ في الآيات الثلاث أن فيها فعل أنزل ، والإنزال تم دفعة واحدة وكان عربياً ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف ٢) . – التنزيل : هو نقلة مادية حصلت خارج الوعي

الإنساني كالنقل بالأمواج ، ولكن حصلت عن طريق جبريل إلى النبيﷺ . وهو الذي تم على مدى ثلاثة وعشرين عاماً. ففي القرآن تلازم الجعل والإنزال وحصلا دفعة واحدة ، وافترق التنزيل حيث جاء في ثلاثة وعشرين عاماً . لذا بعد الجعل والإنزال قال : ﴿ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ (عبس ١٣-١٦) . وبما أن القرآن له وجود مسبق وجاهز قبل التنزيل وحصول التنزيل منجماً يبرز السؤال التالي : لماذا لم يتم التنزيل « النقلة الموضوعية بعد الجعل والإنزال» دفعة واحدة؟ وكان الجواب على هذا : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ (الفرقان ٣٢) ...)[1] . وبالطبع ان ما طرحه الدكتور محمد شحرور هو نظرية جديدة تفسر الكثير من الملابسات التي قد يشتبه فيها ولكنها تبقى مجرد نظرية تضاف الى ما طرحه من سبقه من آراء وما قد يطرح في المستقبل لأن علوم القرآن لا تقف بحد معين وتستمر باستمرار تقدم المعارف الإنسانية وتوسعها وتتطور بتطور الإدراك ووسائل المعرفة .

ث- ان « نزّل » تفيد الاهتمام نظير وصى وأوصى وكرّم وأكرم ففي المواطن التي فيها توكيد واهتمام بالسياق يأتي بـ (نزّل) والتي دونها يأتي بـ (أنزل) وبين أصحاب هذا الرأي إستدلالهم (ومن الأمثلة : قال تعالى في الأعراف ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ وقال في يوسف ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ وقال في النجم ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴿٢٣﴾ ﴾ . ننظر السياق في الأعراف فيها محاورة شديدة حيث قال

١) الكتاب والقرآن : ١٥١.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ فيها تهديد، كلام شديد من أولئك كيف تتركنا نترك آلهتنا ونعبد الله فقال ﴿نزّل﴾. في سورة يوسف قال تعالى ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ لم يردّ عليه السجينان وليس فيها تهديد إذن الموقف يختلف عن آية سورة الأعراف فقال أنزل. في النجم ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴿٢٣﴾﴾ لم يردّوا عليه ولم يكن هنالك محاورة ولا تهديد. إذن الأشد «نزّل»، هذا أمر. إذن نزّل آكد وأقوى في موطن الاهتمام أشد من أنزل.)[1].

فهذه أربعة آراء في الفرق بين مفردة « نزل » و« أنزل » إضافة الى الرأي القائل بان المعنى للفردتين واحد يضاف لها الرأي الذي قاله العلامة الطباطبائي بإعتبار ان نظريته في التجزئة مختلفة عن ما أراده غيره فتكون ستة آراء، وكلها آراء محترمة لها استدلالاتها وتخريجاتها وقد اجتهد الباحثون في الوصول اليها وليس من العدل تضييع هذه الجهود التي بذلت وكما قلنا فان علوم القرآن لا تقف عند نظرية أو رأي بل في كل زمان وكل حين يظهر منها ما يفيد الفهم القرآني، وذكر السيوطي في الإتقان أقوال عديدة في الإنزال (قال الأصفهاني في أوائل تفسيره: اتفق أهل السنة والجماعة على أن كلام الله منزل واختلفوا في معنى الإنزال. فمنهم من قال: إظهار القراءة. ومنهم من قال: إن الله تعالى ألهم كلامه جبريل وهو في

---

١) http://albayanalqurany.com/clause/

السماء وهو عال من المكان وعلمه قراءته، ثم جبريل أداه في الأرض وهو يهبط في المكان . وفي التنزيل طريقان . أحدهما: أن النبي ﷺانخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكية وأخذه من جبريل . والثاني : أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه ، والأول اصعب الحالين انتهى . وقال الطيبي: لعل نزول القرآن على النبي ﷺ أن يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفاً روحانياً ، أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به إلى الرسول فيلقيه عليه . وقال القطب الرازي في حواشي الكشاف : والإنزال لغة بمعنى الإيواء ، وبمعنى تحريك الشيء من العلو إلى أسفل، وكلاهما يتحققان في الكلام فهو مستعمل فيه في معنى مجازي ، فمن قال : القرآن معنى قائم بذات الله تعالى ، فإنزاله أن يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى ويثبتها في اللوح المحفوظ . ومن قال : القرآن هو الألفاظ ، فإنزاله مجرد إثباته في اللوح المحفوظ ، وهذا المعنى مناسب لكونه منقولاً عن المعنيين اللغويين . ويمكن أن يكون المراد بإنزاله إثباته في السماء الدنيا بعد الإثبات في اللوح المحفوظ ، وهذا مناسب للمعنى الثاني . والمراد بإنزال الكتب على الرسل أن يتلقفها الملك من الله تلقفاً روحانياً ، أو يحفظها من اللوح المحفوظ وينزل بها فيلقيها عليهم . وقال غيره : في المنزل على النبي ﷺثلاثة أقوال . أحدها: أنه اللفظ والمعنى ، وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به . وذكر بعضهم أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ كل حرف منها بقدر جبل قاف، وأن تحت كل حرف منها معاني لا يحيط بها إلا الله. والثاني : أن جبريل إنما نزل بالمعاني خاصة ، وأنه ﷺ علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب ، وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك ﴾والثالث : أن جبريل ألقى عليه المعنى ، وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب وأن أهل السماء يقرؤونه بالعربية ، ثم إنه نزل به كذلك بعد ذلك . وقال البيهقي في معنى في قوله تعالى ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ يريد والله أعلم : إنا أسمعنا الملك وأفهمناه إياه وأنزلناه بما سمع ، فيكون الملك منتقلاً من علو إلى

أسفل . قال أبو شامة : هذا المعنى مطرد في جميع ألفاظ الإنزال المضافة إلى القرآن، أو إلى شيء منه يحتاج إليه أهل أسنة المعتقدون قدم القرآن، وأنه صفة قائمة بذات الله تعالى.)[1] . ولكي نقف على ما توصلنا اليه لابد لنا ان نفهم المعنى اللغوي قبل الولوج في الموضوع ونناقش الآراء التي طرحت نقاشاً مستنداً الى دليل ومنهج علمي ، فمن ناحية المعنى اللغوي يقول الرازي (نَزَل ينزِل نُزُولاً ومَنْزَلاً. وأَنْزَلَه غَيْرُه واسْتَنْزَله بمعنًى ونَزَّله تنزيلاً. والتَّنْزيل أيضاً التَّرْتيب. والتَّنَزُّلُ النُّزُول في مُهْلة.)[2] وقال الفراهيدي (ونزل فلان عن الدابة، أو من علو إلى سفل) [3] وقال ابن فارس («نزل» النون والزاء واللام كلمةٌ صحيحة تدلُّ على هُبوط شيء ووقُوعه. ونَزَل عن دابَّتِه نُزُولاً. ونَزَلَ المطرُ من السَّماءِ نزولاً... والتنْزيل : ترتيب الشَّيء ووضعُه منْزِلَه.) [4] إذن المعنى اللغوي يفيد الهبوط من الأعلى الى الأسفل والتنزيل يفيد الترتيب ، وباستقراء الآراء التي ذكرت نجد :

الرأي الأول : الذي يقول ان (أنزل تعني نزل دفعة واحدة ، و (نزل) ما نزل مفرقاً وهذا الرأي لا ينطبق على العديد من الآيات المباركة مثل قوله﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[5] وقوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[6] وقوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

١) الاتقان في علوم القرآن : ١٥٦/١ .
٢) مختار الصحاح : ٢٧٣.
٣) كتاب العين : ٢١٣/٤.
٤) معجم مقاييس اللغة : ٤١٧/٥ .
٥) البقرة / ٢٢ .
٦) الأنعام / ٩٩ .

مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾[1] ، فكما ملاحظ في هذه الآيات المباركة لو ان المراد من قوله تعالى ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ كما ذهبوا الى ان الانزال دفعة واحدة لما نزل الماء من السماء بعدها لأنه نزل دفعة واحدة في حين ان السماء ما تزال تجود علينا بالماء ، في حين ان في قوله تعالى ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ وهي تفيد النزول دفعة واحدة لكونه مخصوصاً بالمؤمنين الذين كانوا في معركة بدركمصداق ، ولم يكن نزوله مفرقاً . أما قوله تعالى﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾[3] فهو من أوضح الأدلة على عدم تطابق هذا الرأي مع المراد من المفردتين موضوع البحث لأنه تعالى جاء بمفردة ﴿ نُزِّلَ﴾ والتي هي حسب هذا الرأي تفيد ما نزل مفرقاً ولكنه أردفها تعالى بعبارة ﴿ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ فهذه العبارة تنفي النزول المتفرق ، وحسب هذا الرأي فان أول الآية يناقض ذيلها وهذا محال في حق القرآن الكريم ، منه يتبين ان هذا الرأي لا يفيد المعنى المراد من المفردتين .

الرأي الثاني : الذي يقول (أنزل) للإشارة الى انه لم يكن إلا نزولاً واحداً ، و(نزل) إذا كان أكثر من نزول . وهو في مضمونه لا يختلف كثيراً عما سبقه إلا إذا أريد بالشيء المنزل نفسه ينزل مرات عديدة ، وهذا الرأي في كلا الحالين لا يطابق الكثير من الموارد القرآنية الناظرة الى الموضوع مثل قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[4] وقوله تعالى ﴿ هُوَ

---

١) النحل / ٦٥ .
٢) الأنفال / ١١ .
٣) الفرقان / ٣٢ .
٤) الحج / ٦٣ .

﴿الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾[1] وقوله تعالى ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ﴾[2] ففي هذه الآيات جاءت مفردة ﴿أَنْزَلَ﴾ ولو كانت تفيد نزولاً واحداً لكان معناها إنقطاع نزول الماء من السماء وهذا الرأي مخالف لواقع الحال .

الرأي الثالث : الذي يقول ان في المواطن التي فيها توكيد وإهتمام بالسياق يأتي بـ (نزّل) والتي دونها يأتي بـ (أنزل) ، وهذا الرأي ضعيف جداً لأسباب منها ان كل المواطن في الآيات لها نفس الإهتمام فلا يمكن القول انه تعالى إهتم بموطن في آية معينة دون غيرها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ان هناك نفس المواطن ذكر معها (أنزل) و (نزل) مثل قوله تعالى ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[3] ففي هذه الآية المباركة التي تتحدث عن بني إسرائيل جاءت مفردة (أنزلنا) مع وجود إهتمام بالموطن الذي تتحدث عنه لأنه موطن تذكير لهم بأنعم الله عز وجل والقاء حجة ، بينما في موطن مماثل قال تعالى ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (٨٠) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ

---

١) النحل / ١٠ .

٢) الرعد / ١٧ .

٣) البقرة / ٥٧.

هَوَى ﴿٨١﴾ [1] فجاءت مفردة (نزلنا) وهذه الآية أيضاً تتكلم عن بني إسرائيل وفيها موطن توكيد وإهتمام كونها موطن تذكير وإلقاء حجة وكم هي الموارد القرآنية التي تعددت فيها مفردتي أنزل ونزل مع الكتاب العزيز فتارة أنزل الكتاب وأخرى نزل الكتاب وكلها مواطن إهتمام[2] . فهذا الرأي لا يعطي الجواب الشافي ولا ينطبق على كل الموارد القرآنية .

الرأي الرابع : وهو من قال ان معنى المفردتين واحد ولا يوجد فرق في إستعمالهما ، وهذا الرأي إنما ينسب الإعتباطية الى الله تعالى عنه ذلك فهذه ليست من صفات الحكيم المطلق ومادام ان النظام سائر في خلقه فلابد وان يكون النظام سائراً في كلامه فكل ما يقوله له معنى ويؤدي المعنى الحقيقي للمفردة والعبارة ككل وان كلامه له غاية ومراد وغير جزافي فهو خالق كل شيء ومنها اللغة فلا يقاس كلامه تعالى بكلام المحتاج لكونه تعالى كاملاً ، إذن فهو حين يقول (أنزل) يريد معنىً ومدلولا معيناً وعندما يقول (نزل) يريد معنىً ومدلولاً آخر.

الرأي الخامس : وهو رأي العلامة الطباطبائي والذي يقول فيه (ان التنزيل يدل على التدريج كما أن الإنزال يدل على الدفعة . وربما ينقض ذلك بقول : ﴿لو لا نزل عليه القرءان جملة واحدة ﴾ : الفرقان - ٣٢، وبقوله تعالى : ﴿ أن ينزل علينا مائدة ﴾ : المائدة - ١١٢، وقوله تعالى : ﴿ لو لا نزل عليه ءاية ﴾ : الأنعام – ٣٧ ، وقوله تعالى : ﴿ قل

---

١) طه .

٢) ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ البقرة / ١٧٦ ، وقوله تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾الأنعام / ٩١ ، وقوله تعالى﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴾الأنعام / ١٥٦ ، وقوله تعالى﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾الأعراف / ١٩٦ ، وقوله تعالى﴿ اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾الشورى / ١٧ .

إن الله قادر على أن ينزل ءاية ﴾ : الأنعام – ٣٧ ، ولذلك ذكر بعض المفسرين : أن الأولى أن يقال : إن معنى نزل عليك الكتاب: أنزله إنزالا بعد إنزال دفعا للنقض. والجواب : أن المراد بالتدريج في النزول ليس هو تخلل زمان معتد به بين نزول كل جزء من أجزاء الشيء وبين جزئه الآخر بل الأشياء المركبة التي توجد بوجود أجزائها لوجودها نسبة إلى مجموع الأجزاء وبذلك يصير الشيء أمرا واحدا غير منقسم، والتعبير عنه من هذه الجهة بالنزول كقوله تعالى : ﴿أنزل من السماء ماء﴾ : الرعد - ١٧ وهو الغيث . ونسبته من حيث وجوده بوجود أجزائه واحدا بعد واحد سواء تخلل بينهما زمان معتد به أو لم يتخلل وهو التدريج ، والتعبير عنه بالتنزيل كقوله تعالى :﴿وهو الذي ينزل الغيث﴾ : الشورى - ٢٨.) [١] ، في مناقشة الرأي الاول بينا ان القول بان (أنزل) تفيد النزول دفعة واحد ، وان (نزل) ما نزل مفرقاً أو متدرجاً هو قول لا يتطابق مع الكثير من الموارد القرآنية ، لكن العلامة الطباطبائي بقوله الذي مر يعطي تعريفاً آخر للتدرج مما يعني انه أعطى رأياً آخر بالموضوع ، فان كان ما يقصده هو لمجرد نفي الفارق الزمني بين أجزاء الشيء المنزل مع كون أجزاء الشيء هي من نفس مادته أو سنخه فهذا ينطبق عليه ما قلناه في الرأي الأول ، أما إذا كان ما يريده ان أنزل تفيد الشيء نفسه كجزء واحد وان نزل تفيد نزول أجزاء الشيء فهذا أيضا لا يتطابق مع الكثير من الموارد القرآنية مثل موارد المن والسلوى كيف يتم تخريجها هل ان المن والسلوى متكون من أجزاء من نفس سنخ المادة فقال عنها نزل ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ﴾[٢] والمعلوم انه تعالى نزل نفس المادة في كل مرة على بني إسرائيل ، أو أنها نزلت مادة واحدة عندما قال تعالى﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا

---

١) الميزان في تفسير القرآن : ٧/٣ .

٢) طه / ٨٠ .

﴿أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1] فالشيء النازل الى بني إسرائيل نفسه ولم يكن قد نزل عليهم مجزءاً حتى وان لم يكن هناك زمن يعتد به بين الأجزاء .

الرأي السادس : وهو ما جاء به الدكتور محمد شحرور وتعتبر أحدث نظرية قيلت في هذا الموضوع حيث قال ان الإنزال : هو عملية نقل غير المدرك الى مدرك ، أما التنزيل : فهو نقلة مادية حصلت خارج الوعي الأنساني كالنقل بالأمواج ، او بمعنى آخر وصول الصيغة المدركة المادية الى من نزلت عليه ، ولكن هذه النظرية لم تفسر لنا في موارد أنزل الماء من السماء كيف حصلت النقلة من غير المدرك الى المدرك ومن أين [2] ، وهذا أيضاً ينطبق على انزال الحديد[3] مثلما بيّن الكيفية في حالة القرآن[4] والكتاب[5] .

١.خلاصة المقام :

ان ما نريد توضيحه في الفرق بين (أنزل) و (نزل) هو غير ما قيل في كل هذه الآراء أو النظريات ولكنه يحاكي نظرية العلامة الطباطبائي من جهة ونظرية الدكتور محمد شحرور من جهة أخرى ويوضح ما نقله السيوطي في بداية حديثة وتقرب ما بينهما في بعض ما رأياه ، فنظريتنا تأخذ منهما رغم كونها ليست بنفس الرؤيا فنقول : ان أنزل بصورة عامة هو الأمر الالهي بانتقال الشيء من حالة أو صيغة عليا الى

---

١) البقرة / ٥٧ .

٢) ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾البقرة / ٢٢.

٣) ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾الحديد / ٢٥.

٤) الكتاب والقرآن : ١٥٥.

٥) المصدر نفسه : ١٥٧.

حالة أو صيغة سفلى معروفة للإنسان أي جعل الشيء بالمنزلة التي أرادها الله تعالى له وهي منزلة عليا ، وكونها عليا لأنها غير معرفة مسبقاً للإنسان فكانت معرفتها منحصرة بالمقام الأعلى الإلهي وعندما أصبحت معروفة بحالتها الجديدة إنتقلت للمقام الأدنى الإنساني ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[1] فكما هو واضح ان الخطاب موجه للرسول ﷺ وما أنزل على الرسول ﷺ هو الكتاب العزيز ، وما أنزل من قبله هي الكتب السماوية الأخرى للأنبياء والرسل عليهم السلام الذين سبقوه ، وبما ان كل هذه الكتب سماوية هي أصلاً محفوظة في خزائن الله ﷻ وبالذات في اللوح المحفوظ فلا يتصور انها محفوظة كما نراها الآن كتابة بأحرف من حبر على ورق وهي الصيغة المعروفة المتداولة لدى الناس لأن اللوح المحفوظ فيه علم كل شيء ما كان وما يكون فاذا كان الحفظ فيه بهذه الصيغ المتداولة فكم هو حجمه ليسع علوم الأكوان والخلق منذ بدء الخليقة الى نهايتها ، وان قلت لا حدود له فقد شبهته بالخالق ﷻ إذن لابد وان تكون جميع المعلومات ومنها الكتب السماوية مخزونة بصيغة أخرى لا يعرفها الا الله تعالى ولكي يفهمها من تنزل اليه لابد من تحويلها من الصيغة السماوية التي حفظت بها الى الصيغة المعروفة لدى الانسان ويمكنه التعامل معها ، لنضرب مثلاً لتقريب المعنى وهو الحاسوب المكتبي (الكومبيوتر) فان جميع المعلومات المخزنة فيه تكون عبارة عن مجموعة من البت (Bits) وهي أصغر جزء يمكن قياسه أو حسابه من البيانات وهي في جميع الأحوال تتكون من رقم اما (١) أو (٠) ، فعند خزن القرآن الكريم مثلاً على الجهاز اللوحي أو المكتبي فانه يخزنه كمعلومات بهذه الصيغة أي مجموعة كبيرة جداً من البايت (Byte) قد تصل الى سبعة عشر ميكابايت وكلها على شكل مؤلف من رقم اما (١) أو (٠) فلو تمكن شخص ما من الإطلاع على ما مخزن فانه لا يمكن ان يفهم منه أي شيء لأنه

---

١) البقرة / ٤ .

سوف يجد صفحة غير معرفة تتألف من عدد هائل من أرقام (١) أو (٠) مسطرة بعضها جنب البعض ولكي يتم فهمها وقراءتها يقوم المعالج الموجود في الحاسوب بتحويلها من صيغة الحفظ الى صيغة الكلمات والمفردات والعبارات التي تظهر على الشاشة ويمكن إستنطاقها أو طباعتها على الآلة الطابعة ، هذه ظاهرة وظاهرة أخرى مثلا اذا كانت هناك معلومات مخزنة في ذاكرة حاسوب مركزي وبصيغة ما يعرف الورد (word) مثلا وهناك عدة حواسيب أخرى في مواقع متفرقة وأردت إيصال بعض هذه المعلومات الى أحد هذه الحواسيب الفرعية ليتعامل معها الشخص المعني بهذا الحاسوب الأخير أو لينشرها فانك إما تنقلها له بوسطة شبكة الأنترنيت أو يتم نقلها الى قرص صلب (C.D) ومن ثم الى الحاسوب الفرعي وبذلك إنتقلت الى ذاكرة أخرى مع كون المعلومات باقية مخزنة في الحاسوب المركزي وبالتالي يمكن للشخص المعني بها التعامل معها من خلال قراءتها على شاشة الحاسوب أو نقلها على قرص صلب (C.D) آخر ومن هذا القرص يمكن نقلها مثلا الى حاسوب آخر أو نشر ما تم قراءته شفاهاً . وهكذا القرآن الكريم وبقية الكتب السماوية فانها محفوظة في اللوح المحفوظ ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢) ﴾[1] بصيغ الإاهية عددية لقوله تعالى﴿ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾[2] وأقرب تمثيل ذهني لتخزين المعلومات في اللوح المحفوظ هو الحاسوب اللوحي أو الحاسوب المكتبي ، فاللوح المحفوظ هو حاسوب إلهي مركزي لخزن المعلومات الإلهية بشكل عددي ولكن بالصيغ التي يريدها الله تعالى فيحتاج الى أمر إلهي لإنزال المعلومات المحفوظة فيه الى مكان تخزين آخر يمكن الأخذ منه والتعامل معه وبصيغة معرفة وهو السماء الدنيا بأمر الله تعالى فكان القرآن بصيغة عربية ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ

١) البقرة .
٢) الجن /٢٨ .

﴿ تَعْقِلُونَ ﴾[1] أنزل الى موقع حفظ فرعي في السماء الدنيا ثم تم نقله الى الرسول ﷺ شفاهاً عن طريق الوحي ، فكان الشيء قبل الإنزال لا يمكن التعامل معه وهو غير مدرك أي بصيغة غير معروفة للمتلقين وأصبح بعد الإنزال يمكن التعامل معه فهو مدرك ، يقول الدكتور محمد شحرور (فالقرآن في لوح محفوظ وفي إمام مبين هو من علم الله ، وعلم الله هو أعلى أنواع علوم التجريد ، وأعلى أنواع علوم التجريد هو الرياضيات لذا قال ﴿ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ الجن ٢٨ ، أي ان علم الله بالموجودات هو علم كمي بحت . فالإحصاء هو التعقل والعدد هو حال الإحصاء . هذا القرآن موجود في لوح محفوظ وامام مبين بصيغة غير قابلة للإدراك الإنساني وغير قابلة للتأويل وبصيغة مطلقة)[2] . لذلك كانت الآيات التي أنزلت بينات واضحات ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾[3] .

مثال ثان حول أنزل الماء وهو نقله من الحالة غير المعروفة وغير المحسوسة (ذرتي هيدروجين وذرة أوكسجين) الى الحالة المعروفة بالماء السائل ، فقبل هذه النقلة لم تكن هناك أشجار وزروع وبالتالي لم يكن هناك ثمر قال تعالى ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[4] ، وباستقراء الآيات المباركة التي جاءت بها مفردة (أنزل) مع عبارة (من السماء ماءً) تجد في سياق الآيات حديث عن بدء الخلق ، فمثلاً قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ

---

١) الزخرف /٣ .

٢) الكتاب والقرآن : ١٥٣ .

٣) البقرة /٩٩ .

٤) البقرة /٢٢ .

مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[1] فهو تعالى يتحدث عن بداية النشأة ثم يستمر الكلام بإنزال الماء وإخراج النباتات ، وقوله تعالى﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴿١٩﴾ ﴾[2] فالآيات واضحة في التكلم عن كيفية خلق الانسان ثم يستمر الكلام الى إنزال الماء أي نقله الى حالته التي هو عليها المعروفة لدى الخلق ثم يبين قدرة الله تعالى على الذهاب به فكما ملاحظ ان سياق الآيات يتكلم عن مراحل خلق الانسان ثم يموت وبالمقابل إنزال الماء والذهاب به أي بدء تكون الماء من مكوناته الأولية الهيدروجين والأوكسجين والقدرة على الذهاب به من خلال تحلله الى نفس المكونات بمنع قانون إتحاد ذرتي الهدروجين مع ذرة الأوكسجين فيصبح هواءً يعود الى السماء من حيث أصله وهي النهاية كما هي نهاية الإنسان بالموت والتحلل الى مركبات أولية تعود للتربة ، وبما ان الهيدروجين والأوكسجين وهي مكونات الماء من الغازات فيكون تواجدها في السماء لذلك تجد الإشارة في الآيات المباركة الى السماء ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ والمعلوم ان كل ما يعلو سطح الأرض فهو سماء لقوله تعالى﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا

---

١) الأنعام .

٢) المؤمنون .

﴿ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾[1] حيث لو ان السماء غير ما قلناه لكان القول (يعرج إليها) وليس (يعرج فيها) فالإنسان سماؤه ما يعلو رأسه من غلاف جوي وبعده ، والنملة سماؤها مما يعلوها في الغلاف الجوي فسماء النملة جزء منه في متناول الإنسان وهكذا فإنتشار الغازات فوق سطح الأرض وبأي مستوى هو في السماء . وكذا في قوله تعالى ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾[2] فالكلام عن الخلق الأولي وكيف رفع السموات بغير عمد ترونها والذي يفهم منه ان هناك عمد لكنها غير مرئية وغير محسوسة بالحواس الطبيعية للإنسان وهي عبارة عن أعمدة الجذب المغناطيسي بين الكواكب فيما بينها ، وبينها وبين الشمس ، وبين المجرات فيما بينها وهكذا ، ثم تكلمت الآية المباركة عن عملية إنزال الماء وهي عملية تحدث بدون ان يراها أو يحسها الإنسان في حين يرى ان الماء مستمر في التكون لذلك قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾[3] ، وأحياناً يكون سياق الآيات المباركة للتذكير بنعم الله تعالى فلولا قدرته وإرادته لما كان هذا الإتحاد بين ذرتي الهيدروجين وذرة الأوكسجين لينتج منها الماء الذي يصلح للشرب وسقي النبات ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) ﴾[4] ، إذن فإنزال الماء مستمر بقانون إلهي ولولا هذا القانون لتحللت المحيطات والبحار على مر السنين ولنضب الماء من الأرض .

---

١) سبأ /٢.
٢) لقمان /١٠ .
٣) فاطر /٢٧ .
٤) النحل .

مثال ثالث : إنزال الحديد ، الحديد من الفلزات والمعروف كيميائياً بالرمز (Fe) مختصر للكلمة اللاتينية (Ferrum) وهو أحد عناصر الجدول الدوري [1] ، ويوجد عنصر الحديد في الكرة الأرضية بكميات كبيرة وقد عرف منذ أقدم العصور فاستعمله الإنسان في الصناعات الحربية مثل السيوف والرماح وأدوات الزراعة وما يزال يستعمل في مختلف الصناعات والإنشاءات لما يتمتع به من قساوة وقوة ، وذكر الحديد كمفردة في القرآن الكريم في ستة آيات مباركة جميعها تشير الى قوة وقساوة هذه المادة وهي قوله تعالى ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾[3] وقوله تعالى ﴿ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾[4] وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾[5] وقوله تعالى ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾[6] وقوله تعالى ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[7] ، وموضوعنا ينصب في المورد الأخير من الآيات المذكورة في قوله تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ وكما هو بين من الآية

---

١) الجدول الدوري ترتيب مجدول للعناصر الكيميائية ، مرتبة حسب عددها الذري ، والتوزيع الإلكتروني ، والخواص الكيميائية المتكررة ، والذي يُظهر هيكله اتجاهات دورية . بشكل عام ، تكون العناصر في الصف واحد فلزات باتجاه اليسار، ولا فلزات باتجاه اليمين ، بحيث توضع العناصر التي لها سلوكيات كيميائية مماثلة في نفس العمود .

٢) الإسراء / ٥٠ .

٣) الكهف /٩٦ .

٤) الحج/٢١ .

٥) سبأ /١٠ .

٦) ق /٢٢ .

٧) الحديد /٢٥ .

المباركة انه تعالى أنزل مع الرسل الكتاب وبينا المراد من إنزال الكتب السماوية ، أما الميزان فهو الشرع والقوانين للحكم والمعاملة العادلة وهي أيضاً تعليمات محفوظة تحتاج الى تحويلها من الصيغة الإلهية الى الصيغة التي يتعامل بها الناس ويفهمونها فحالها حال الكتاب في الإنزال لذلك تجده تعالى عطفها على الكتاب دون إفرادها بإنزال مخصص فقال : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ ، بينما فصل الحديد بإنزال مخصوص لأن طبيعته تختلف رغم ان الكلام في نفس سياق الآية المباركة ﴿ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ ، وإنزال الحديد هو جعله بالمنزلة التي هو عليها المعروفة أي تكونه كعنصر وفلز حيث ان الطاقة اللازمة لتكون معدن الحديد تحتاج الى طاقة أكبر من طاقة الشمس التي تصل درجة حرارة سطحها إلى ستة آلاف درجة مئوية، ودرجة حرارة جوفها إلى حوالي خمسة عشر مليون درجة مئوية ، فطاقة الإندماج النووي في الشمس بالكاد تنتج عنصر الهيليوم ثاني عناصر الجدول الدوري بينما تقدر درجة الحرارة اللازمة لإنتاج الحديد بعملية الاندماج النووي بخمسة بلايين درجة مئوية على الأقل وهذا يثبت ان الحديد لم يتشكل على سطح الأرض أو في جوفها أو حتى في مجموعتنا الشمسية فعند فحص النيازك الواصلة إلى الأرض توصلوا إلى أن ٩٠% من كتلة النيزك هي من الحديد ، وأثبتت الأبحاث العلمية الحديثة ان الحديد تشكل في جوف النجوم العملاقة التي تكون كتلتها أضعاف كتلة الشمس عند نهاية دورة حياتها حيث تبدأ العملية باندماج نواة ذرة الكالسيوم المستقرة ونواة ذرة الهليوم وبعد سلسلة من الاندماجان والتحلل تتكون ذرة الحديد المستقرة Fe٥٦. ولأنها مستقرة لا تقبل الاندماج مع أي عنصر آخر . فيشكل الحديد بذلك قلب النجم ، عندئذ يبدأ النجم بالتجمد ويتجه للاستقرار. فتخيل كم يحتاج كل تفاعل من هذه التفاعلات الى طاقة ، في مقالة أ. د . زغلول النجار أستاذ علوم الأرض ورئيس لجنة الإعجاز العلمي بالمجلس الأعلى

للشؤون الإسلامية في مصر التي نشرت على أحد الموقع الألكترونية [1] تحت عنوان الإعجاز العلمي في إنزال حديد الأرض من السماء يشرح فيها عملية تكون ذرات

---

١) (https://ar-ar.facebook.com/notes/) يقول (لابد من النظر إلى الأرض بصفتها جزءًا من الكون المحيط بها، والذي أثبتت الدراسات مؤخرًا، أن الغالبية العظمى من تركيبه تتمثل بغاز الهيدروجين والذي يشكل أكثر من ٧٤% من مادة الكون المنظور. والهيدروجين هو أخف العناصر المعروفة وأقلها بناءً ، ويلي الهيدروجين كثرة في الجزء المدرك من الكون غاز الهيليوم الذي يكون حوالي ٢٤% من مادة الكون المنظور، وأن باقي ١٠٨ عناصر يعرفها إنسان اليوم تكون أقل من ٢% من مادة الكون المنظور. هذه الملاحظات أكدت أن نوى ذرات الهيدروجين ، هي اللبنات الأساسية التي تخلقت منها ولا تزال تتخلق كل العناصر الأخرى ، بعملية تسمى باسم عملية الاندماج النووي ، وأن هذه العملية الاندماجية لنوى الذرات تمثل وقود النجوم ، لأنها عملية مطلقة للطاقة ، وأنها السبب الرئيسي لتوهج النجوم . وعملية الاندماج النووي في شمسنا، لا تكاد تتعدى إنتاج الهيليوم ، بالإضافة إلى نسب ضئيلة من عناصر أعلى في وزنها الذري لا تصل أبدًا إلى الحديد ، ولا تكاد تتجاوز إنتاج بعض نوى ذرات الألومنيوم والسيليكون . ولكن الشمس ، بها نسبة من الحديد لا تتعدى (٠,٠٠٣٧-%) سببها كتل النيازك الحديدية التي تسقط على الشمس كما تسقط على الأرض . وهناك أدلة كثيرة على أن الأرض وباقي أجرام المجموعة الشمسية قد انفصلت أصلا من الشمس ، وأن الشمس لا تصل فيها عملية الاندماج النووي أبدًا إلى مرحلة إنتاج الحديد ، بل تتوقف قبل ذلك بمراحل كثيرة . وهنا برز السؤال الهام : من أين جاء هذا الكم الهائل من حديد الأرض والذي يقدر بأكثر من ألفي مليون مليون مليون طن (٢١٤٥ مليون مليون مليون طن)؟ وشمسنا نجم متواضع تصل درجة حرارة سطحه إلى ستة آلاف درجة مئوية، ودرجة حرارة جوفه إلى حوالي ١٥ مليون درجة مئوية، بينما تقدر درجة الحرارة اللازمة لإنتاج الحديد بعملية الاندماج النووي بخمسة بلايين درجة مئوية على الأقل، وذلك اتجهت أنظار العلماء في بحثهم عن مصادر للحديد في عدد من النجوم التي تفوق درجة حرارتها درجة حرارة الشمس بمعدلات كبيرة؛ من مثل النجوم العملاقة (التي تقدر كتلة الواحدة منها بعشرة مرات قدر كتلة الشمس على الأقل) وتصل درجة حرارتها في مراحل انفجاراتها الأخيرة إلى بلايين الدرجات المئوية. وقد لاحظ علماء الفلك والفيزياء الفلكية في المراحل المتأخرة من انفجار النجوم العملاقة والمعروفة باسم "المستعرات العظمى"، أن عملية الاندماج النووي للهيدروجين، تتواصل حتى تنتج نطقًا تترتب من الخارج إلى الداخل من الهيدروجين ، ثم الهيليوم ، ثم الكربون، ثم الأكسجين، ثم السيليكون، ثم الكبريت حول قلب من نوى ذرات الحديد . وعندما تصل عملية الاندماج النووي إلى إنتاج الحديد، تتوقف العملية بالكامل وينفجر النجم لتتأثر أشلاؤه في صفحة السماء وأهمها الحديد، الذي تصل شظاياه إلى مختلف

الحديد ، ومن هنا تبينت لنا عملية تكون ذرات الحديد فهو تكون في جوف النجوم العملاقة وهبوط من الأعلى الى الأسفل وهو ما يفسر إنزال الحديد المراد بالآية المباركة .

مثال آخر (أنزل المن والسلوى) ، المن والسلوى ذكرت في القرآن الكريم ثلاث مرات في ثلاث آيات مباركة وهي قوله تعالى ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ﴾[3] ، وبحثنا يتركز حول الآيتين الأولى والثانية أما الآية الثالثة فنتركها لمحلها ، (والمن مادة صمغية جوية ينزل على شجر البادية شبه الدقيق المبلول ، فيه حلاوة إلى حموضة ولونه إلى الصفرة ويكثر ببوادي تركستان وقد ينزل بقلة في غيرها ولم يكن يعرف قبل في برية سينا . وقد وصفته التوراة بأنه دقيق مثل القشور يسقط ندى كالجليد على الأرض وهو مثل بزر الكزبرة أبيض وطعمه كرقاق بعسل وسمته بنو إسرائيل مَنّاً)[4] ، (وأما السلوى فهي اسم جنس جمعي واحدته سلواة وقيل : لا

الأجرام السماوية التي تحتاج إلى ذلك العنصر، بينما تتخلق العناصر الأعلى في وزنها الذري من نوى ذرات الحديد السابحة في صفحة السماء باصطيادها عددًا من اللبنات الأولية للمادة. وبذلك ثبت الأصل السماوي للحديد في أرضنا، بل في مجموعتنا الشمسية كلها .)

١) البقرة /٥٧ .

٢) الأعراف /١٦٠ .

٣) طه /٨٠ .

٤) تفسير التحرير والتنوير : ١/ ٥٠٩.

واحد له وقيل : واحده وجمعه سواء ، وهو طائر بري لذيذ اللحم سهل الصيد كانت تسوقه لهم ريح الجنوب كل مساء فيمسكونه قبضاً ويسمى هذا الطائر أيضاً السُمَاني بضم السين وفتح الميم مخففة بعدها ألف فنون مقصور كحبارى ، وهو أيضاً اسم يقع للواحد والجمع ، وقيل : هو الجمع وأما الفرد فهو سماناة .) [1] ، ولم يكن المن والسلوى معروفاً في أرض سيناء التي وصل إليها بنو إسرائيل بعد هروبهم من فرعون في أرض مصر فإنزال المن هو جعله مادة غذائية غنية عالية القيمة من مواده الأولية وكونه غير معروف لبني اسرائيل مسبقاً وكذا طائر السلوى لم يكن لهم به سابق عهد أو معرفة نقله الله تعالى الى هذه الأرض فكأن الموضوع هو تكون أو تحول للحالة من عدم وجود وغير معروفة في أرض سيناء لتصبح معروفة لذلك كان التعبير بأنزل .

في الآيات التي جاءت مفردة (أنزل) مع مفردة سلطان . والسلطان عرفها اللغويون بأنها (قدرة الملك، [مثل قفيز وقفزان وبعير وبعران] ، وقدرة من جعل ذلك له وإن لم يكن ملكا، كقولك: قد جعلت له سلطانا على أخذ حقي من فلان.)[2] وقيل (السلاطة التمكن من القهر، يقال سلطته فتسلط ، قال تعالى ﴿ : ولو شاء الله لسلطهم ﴾وقال تعالى : ﴿ ولكن الله يسلط رسله على من يشاء ﴾ ومنه سمى السلطان ، والسلطان يقال في السلاطة نحو : ﴿ ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ﴾ . ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . إنما سلطانه على الذين يتولونه ﴾. ﴿لا تنفذون إلا بسلطان ﴾)[3] ،وسمى (الحجة سلطانا وذلك لما يلحق من الهجوم على القلوب لكن أكثر تسلطه على أهل العلم والحكمة من المؤمنين ،قال تعالى :﴿ الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان

---

١) تفسير التحرير والتنوير : ٥١٠/١.

٢) كتاب العين : ٢/ ٢٦٤ .

٣) المفردات في غريب القرآن : ٣١٤/١ .

﴾وقال : ﴿فأتونا بسلطان مبين ﴾ وقال تعالى (:﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ﴾ وقال : ﴿أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ﴾.﴿هلك عنى سلطانيه﴾)[1] وفي القرآن الكريم جاءت بمعنى الحجة في سبعة وثلاثين آية مباركة ، وفي ثلاث آيات مباركة منها نفى ﷻ انه أنزل بما يعبدون من دون الله سلطاناً وهي قوله تعالى ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] ، وقوله تعالى ﴿ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾[3] ، وقوله تعالى ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾[4] ، وبوجود ما النافية في هذه الآيات فانه تعالى نفى ان يكون هناك أصلٌ لهذه الحجة للإنزال أي المنزلة التي يعتقودنها فيها فكأنه تعالى نفى الموضوع من أصله .

٢. التنزيل :

هو مفهوم عام لعملية نقل الشيء أو الحالة المعروفة للمادة من الأعلى الى الأسفل ، فكل ما يعلو سطح الأرض كما قلنا هو أعلى وكل ما على سطح الأرض هو أسفل فسواء كان الشيء في السماء الدنيا أو غيرها فهو في الأعلى ، وبهذا يكون ترتيب الحالة بالنسبة للأشياء التي حصل فيها إنزال وتنزيل هو إنزال أولا ومن ثم تنزيل سواء كان التنزيل دفعة واحدة كما هو الحال في التوراة والانجيل أم كان

---

١) المفردات في غريب القرآن: ٣١٤/١ ، ومعجم مقاييس اللغة : ٩٥/٣، وكتاب العين : ٢٦٤/٢.
٢) يوسف /٤٠ .
٣) الروم /٣٥ .
٤) النجم /٢٣ .

منجماً أو متدرجاً بوقت معتد أو غير معتد كما هو القرآن الكريم حيث حصل فيه نقل من إسلوب حفظ إلهي في اللوح المحفوظ الى إسلوب حفظ بصيغة مدركة من خلال إنزاله ومن ثم تنزل الى الرسول ﷺ بواسطة الوحي ، وهذا يتبين من قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1] حيث قال تعالى ﴿ نَزَّلْنَا ﴾ فالكلام عن سور القرآن التي نزلت على الرسولﷺ فالمؤمنون وقت نزول الآية المباركة أدركوها وتعاملوا معها فأصبحت ضمن مدركاتهم الحسية ، وليس عن جميع القرآن بالنسبة للمخاطبين وقت نزول الآية أما بالنسبة لما بعد إتمام نزول القرآن فان الكلام يكون على جميع سور القرآن لكونها قد وصلت الى الناس بصيغتها النهائية المدركة وإلا كيف يحصل الريب منها وهي غير معروفة سواء سمعاً أو قراءةً ، ومثال أوضح ولعله من أوقع أصحاب القول بان أنزل تفيد النزول دفعة واحدة ونزل تفيد التدرج في شبهة ، هذا الرأي هو قوله تعالى ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾[2] فتعالى يقول ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ لأن ما بين يديه وقت نزول الآية بصيغة معروفة ومدركة من قبل الحواس الإنسانية يمكن التعامل معها والإستفادة منها بمعنى ان الحواس الإنسانية لها القدرة على التعاطي معها ولكي يبين تعالى ان التوراة والإنجيل أخذت نفس المراحل قال : ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ أي أيضاً جرت عليها نفس عملية النقل حيث كانت محفوظة في اللوح المحفوظ بنظام حفظ إلهي خارج مدارك الإنسان ثم تم الإنزال الى السماء الدنيا دفعة واحدة ثم نزلت أيضاً دفعة واحدة الى رسولي الله موسى وعيسى *عليهم السلام* على الترتيب لذلك قال تعالى في آية أخرى ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ

---

١) البقرة /٢٣ .
٢) آل عمران /٣ .

﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1] فكما استعمل سبحانه (أنزل) مع التوراة في الآية السابقة إستعمل (نزل) معه في هذه الآية لأن الأحكام لم تكن وصلت المكلفين حين أنزلت ولكن حين وصولها أطلق عليها نزلت . وفي قوله تعالى ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[2] جاء حرف التحقيق (قد) الذي يفيد تحقق وقوع الحدث ومن الواضح ان في الآية المباركة اشارة الى ان ما نزل عليهم أدركوه ولهم القدرة على التعامل معه لأن في الآية نهي عن القعود مع الذين يخوضون بآيات الله ﷻ ويكفرون بها . منه يتبين ان القرآن بصيغته الحالية المعروفة لدى المسلمين هو تنزيل ولا علاقة لهذه المفردة بكونه منجماً نزل به الروح الأمين عليه السلام الى الرسول ﷺ ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[3] ، في حين لم تجد في القرآن الكريم ان تعالى قال أُنزل به الروح الأمين أو جبرئيل عليه السلام . وقوله تعالى ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[4] جاء التعبير بمفردة (نزل) لأن الخير الذي يفهمه الإنسان ويدركه الانسان وصل إليه بصيغته النهائية ان كان ماءً أو رزقاً أو أنعاماً أو عافية أو سعادة ، أو... الخ ، وقوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً

---

١) آل عمران /٩٣ .

٢) النساء /١٤٠ .

٣) الشعراء .

٤) البقرة / ١٠٥ .

﴿ مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[1] حيث ان الحواريين طلبوا مائدة بالحالة المعروفة التي يدركونها والتي يمكن ان يأكلوا منها لذلك استعملت مفردة (ينزل) في حين ان نبي الله عيسى (عليه السلام) غير اللفظ فقال كما تحدثنا الآية المباركة ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾[2] أي جاء بلفظ أنزل لأنه يدرك انها معجزة إلهية تحتاج الى تركيب هذه المائدة من مكونات غير معلومة لديهم من عناصر ومركبات أو مواد أولية لتتحول الى مائدة يمكن أكلها ليكون حجة عليهم فكان الجواب الإلهي بمفردة نزل ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾[3] أي بالشكل والهيئة المعروفة للمائدة من الأعلى الى الأرض . وهذا ما يمكن ان تلاحظه في جميع الموارد المباركة حيث يمكن التفريق بين الإنزال والتنزيل .

٣. على والى :

بعد هذا البيان لمفردتي (أنزل ونزل) فاننا نلاحظ ان بعض الآيات المباركة التي جاءت بها هاتان المفردتان تكون معها في مواطن إما حرف الجر(على) مثل قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[4] وفي مواطن أخرى يكون معها حرف الجر(الى) ففي أي المواطن تستعمل (على) وفي ايها تستعمل (الى) ، وكما هو معروف فان حرف الجر (

---

١) المائدة / ١١٢ .

٢) المائدة / ١١٤ .

٣) المائدة / ١١٥ .

٤) النساء / ١٣٦.

على) يدل على الاستعلاء: وتعني العلو، ويكون إمّا استعلاءً حقيقياً، مثل هو على الجبل، أو استعلاء مجازياً، مثل قولهم : عليه ديون كثيرة ، لذلك عند تتبع الآيات المباركة نلاحظ ان الخطاب القرآني المبارك سواء مع مفردة (أنزل أو نزل) يستعمل حرف الجر (على) في المواطن التي فيها حدة في الخطاب الذي ينقل حالة معينة[1] وهذا الخطاب موجهاً من قبل الله تعالى الى الرسول ﷺ [2] أو الى المؤمنين[3] أو الى أي جهة أخرى[4] أو بالكلام الموجه من غير الله تعالى[5] والمواطن التي فيها حوار وإلقاء حجة[6] . أما حرف الجر (الى) فتشتمل على عدة معانٍ، الأول انتهاء الغاية المكانية، والثاني انتهاء الغاية الزمانية ، ولذلك جاءت مع مفردتي البحث في المواطن

---

١) ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة / ٩١ ، وقوله تعالى ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ البقرة / ١٠٥.

٢) ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ آل عمران / ٣.

٣) ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ آل عمران / ١٥٤.

٤) ﴿ أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾ ص / ٨.

٥) ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ المائدة / ١١٢.

٦) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ النساء / ١٣٦.

التي فيها إيضاح وبيان لحال من آمن أو من أنكر لانتهاء الإنزال أو التنزيل مكانيا أو زمانياً الى من ذكروا في الآيات المباركة[1] .

٤. آتى :

آتى في اللغة يقول الرازي (الإتيان المجيء .... وآتاه إيتاء أعطاه وآتاه أيضاً أَتَى به ومنه قوله تعالى (آتِنا غَدَاءَنا) أي ائتنا به.)[2] ، وقال الأصبهاني (الإتيان مجيء بسهولة ومنه قيل للسيل المار على وجهه أتى وأتاوى ،و به شبه الغريب فقيل أتاوى . والإتيان يقال . . . . بالذات وبالأمر وبالتدبير . ويقال في الخير وفي الشر وفي الأعيان والأعراض نحو قوله تعالى : ﴿ إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة ﴾ وقوله تعالى : ﴿أتى أمر الله ﴾ وقوله : ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد ﴾ أي بالأمر والتدبير ، نحو : ﴿جاء ربك﴾وعلى هذا النحو قول الشاعر: أتيت المروءة من بابها)[3] ، وقال ابن فارس (والإيتاء الإعطاء، تقول آتى يؤتي إيتاء .)[4] . والذي لاحظناه ان هناك موارد قرآنية مباركة تأتي فيها مفردة (آتى) وتارة مفردة (أنزل) فما هي النكتة المهمة التي

---

١) ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ البقرة / ٤، وقوله تعالى ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ البقرة / ٢٨٥، وقوله تعالى﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ آل عمران / ٩٩ ، وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ النساء / ٦٠، وقوله تعالى ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ المائدة / ٥٩ .

٢) مختار الصحاح : ٢ .

٣) المفردات في غريب القرآن : ٩/١ .

٤) معجم مقاييس اللغة : ١/ ٥١ .

لابد من وجودها ليحصل هذا التفريق القرآني في الموارد ففي قوله تعالى﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[1] ترى انه تعالى قال ﴿ أُنْزِلَ ﴾ ثم عطف عليه﴿ أُوتِيَ ﴾ فقال تعالى ﴿ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ ثم بين تعالى ماذا أوتيَ موسى عليه السلام فقال ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2] حيث أوتيَ الكتاب والفرقان وكذلك سلطاناً مبينا ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾[3] ، وأما عيسى عليه السلام فقد أتاه الله عز وجل الإنجيل كما في قوله تعالى ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾[4] وكذلك البينات ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾[5] ، وفي موارد أخرى بين تعالى ما آتى النبيون حيث آتاهم الكتاب والحكم والنبوة فقال﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ

---

١) البقرة / ١٣٦.

٢) البقرة / ٥٣.

٣) النساء / ١٥٣.

٤) المائدة / ٤٦.

٥) البقرة / ٢٥٣.

آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾[1] ، ثم انه تعالى بيّن ان الإنجيل فيه إنزال بقوله تعالى ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾[2] وإيتاء كما في قوله تعالى ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ ﴾ ، وكذا في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[3] بينما بيَّن في موضع آخر إنزال القرآن فقال تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[4] ، وهكذا الحال بتتبع الموارد القرآنية نجد الذي آتاه الله ﷻ قد سبق وان حصل فيه إنزال ، وبما ان الإيتاء في أحد معانيه هو الإعطاء لغاية وهدف ، إذن المراد به يكون هو إعطاء الشيء بعد إتمامه وإنزاله بالمعنى الذي بيناه من الإنزال لذلك كانت بصيغة الماضي في جميع الموارد بينما (نزل) وردت بصيغة المضارع كما في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[5] ، وقوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[6] وهذه هي النكتة المهمة التي تريد ان تبينها الآيات المباركة في هذه المواضع ولم تأتِ بمفردة (نزل) بدلها . ولعل هناك من يسأل ، إذا كان معنى مفردة آتى هو أعطى وقد وردت المفردة الأخيرة في القرآن الكريم فلماذا لم يقل أعطى وقال آتى ؟ والجواب ان الخطاب القرآني محكم ومنتقى المفردات بحيث تعبر عن المعنى الحقيقي لكل

---

١) الأنعام / ٨٩.
٢) آل عمران / ٣.
٣) الحجر / ٨٧.
٤) يوسف / ٢.
٥) المائدة / ١٠١.
٦) المائدة / ١١٢ .

مفردة فالمفردة تستعمل للدلالة عن أشياء لا تعطيها المفردة المرادفة لها في المعنى ، فعند مراجعة الموارد القرآنية لمفردة آتى بتصريفاتها نجد ان الله تعالى قد آتى (الكتاب[1] ، والحكم والعلم[2] ، والسبع المثاني والقرآن الكريم لنبينا محمد **صلى الله عليه وآله وسلم**[3] ، والزبور لداود عليه السلام[4] ، وتسع آيات لموسى عليه السلام[5] ، والأسباب لذي القرنين[6] ، والذكر لنبينا محمد صلى الله عليه وآله[7] ، والفرقان وضياء وذكر للمتقين[8] ، والرشد لإبراهيم عليه السلام [9] ، والأجر في الدنيا لإبراهيم عليه السلام[10] وهو ان أعطاه الله تعالى الثناء الحسن والصلاة عليه في آخر الدهر ومحبة أهل الملل له ونصره على أعدائه وحسن السمعة وبث التوحيد، والحكمة للقمان الحكيم[11] ، والفضل لداود عليه السلام [12] ، وفصل الخطاب[13] ، والنبوة وبينات من الأمر[1] ، والإنجيل

---

١) ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴾ الإسراء / ٢.
٢) ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ يوسف / ٢٢.
٣) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ الحجر / ٨٧.
٤) ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ الإسراء / ٥٥.
٥) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ﴾ الإسراء / ١٠١.
٦) ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ الكهف / ٨٤.
٧) ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴾ طه / ٩٩.
٨) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الأنبياء / ٤٨.
٩) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ الأنبياء / ٥١.
١٠) ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ العنكبوت / ٢٧.
١١) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ لقمان / ١٢.
١٢) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ سبأ / ١٠.
١٣) ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ ص / ٢٠.

لعيسى عليه السلام [٢] . ومن الملاحظ ان كل هذه الأشياء التي آتاها الله ﷻ هي مما لم يألفها قوم من أُوتوها فمثلاً قوم سيدنا محمد ﷺ لم يألفوا أو يعرفوا السبع المثاني والقرآن العظيم قبله ، ولم يلان الحديد لغير لداود عليه السلام فلم يعرف ذلك قومه قبله ، والأسباب التي كانت لذي القرنين لم تكن معروفة أو مألوفة قبله وهكذا ، إضافة الى ان كل هذه الأشياء معنوية وعقلية تعالج العقل والفكر أي انها هبة ربانية لعلو شأن من وهبت له وزيادة الملكة العقلية له والهداية له ولغيره وليس للمادة وجود فيها فعبر عنها تعالى بمفردة آتى .

٥. أعطى :

وردت في ثلاثة عشر مورداً وذكر فيها تعالى الأشياء التي أعطيت مثل الصدقات التي حاول المنافقون ان يلمزوا الرسول ﷺ بها وهي أما أموال أو أنعام أو مما غنمه المسلمون وهي أشياء مادية أن وهبت الى شخص ما إمتلكها عينياً[٣] ، وفي الحوار الذي دار بين نبي الله موسى عليه السلام وفرعون وملئه الذي ينقله لنا القرآن الكريم فيقول موسى عليه السلام ان ربنا أعطى كل شيء خلقه[٤] ثم بعدها يفصل النعم التي أعطاها الله تعالى وهي أنه تعالى جعل الأرض مهداً وسلك فيها سبلاً وأنزل من

---

١) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ الجاثية .

٢) ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ الحديد / ٢٧.

٣) ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ التوبة / ٥٨.

٤) ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ طه / ٥٠.

السماء ماءً فأنبت به نباتاً شتى[1] وكما ترى انه يتكلم عن أشياء مادية محسوسة يتملكها الشخص الذي توهب اليه سواء ما كان من أرض أو بساتين أو مزارع ، وعبر بها كذلك عن الذي يعطي مالاً أو نفقة ضناً منه انه يفتدي من عذاب الله ﷻ[2] وبالطبع المال والنفقة أشياء عينية محسوسة مادية يتملكها من توهب له ، وكذا لمن ينفق ويعطي في سبيل الله ﷻ[3] وهنا الإنفاق مادي يملك لمن يعطى له ويصبح له حق التصرف فيه ، وعبر عن الجزية[4] بمفردة يعطوا والجزية أشياء مادية مقبوضة ، ووعد الله تعالى الذين سعدوا الجنة[5] وعبر عنها انها عطاء غير مجذوذ وكأنه تعالى يريد ان يشعر ان الذين في الجنة يحسون بالنعيم الذي هم فيه ويشعرون بملذاته كما يلتذون بالنعم الدنيوية ليقرب لنا تصور الموضوع إضافة الى كونهم يتملكون ما أعطاهم الله تعالى ويتصرفون به بما شاءوا وهو مادي ملموس ، أما ما أعطاه الله لسليمان عليه السلام من أشياء وهي تسخير الريح تجري بأمره[6] ولا شك الريح مادة محسوسة وأصبحت وكأنها ملكه لأنه يأمرها حيث يريد وهذا ما نستشعره من قوله ﴿ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ وسخر له الشياطين للبناء والغوص[7] والشياطين مادة كان سليمان عليه السلام وقومه يرونهم ويحسون بهم وكأنه تملك رقابهم يتصرف بهم حيث يقومون له بالبناء والغوص في

---

١) ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾ طه / ٥٣.

٢) ﴿ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴾ النجم / ٣٤.

٣) ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴾ الليل / ٥.

٤) ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ التوبة / ٢٩.

٥) ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ هود / ١٠٨.

٦) ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ ص / ٣٦.

٧) ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ ص / ٣٧.

البحار لإستخراج الجواهر ، منها كان التعبير القرآني بـ (عطاؤنا)[1] ، والأشياء التي وعد الله تعالى المتقين بها[2] مثل الحدائق والأعناب[3] وكواعب أترابا[4] وهن الجواري التي في سن مبكرة متساويات في السن أي بنفس السن فقال أترابا فعندما تقول ان فلان من أتراب فلان تعني انه من جيله ومن عمره ، والكؤوس المملؤة بالشراب[5] ، وكل هذه أشياء تعطى للمتقين وبالطبع هي محسوسة مادية يتملكونها في الجنة ولهم حق التصرف بها فعبر عنها القرآن الكريم بمفردة عطاء[6] ، وبعد هذا الإستعراض للآيات المباركة يتبين ان التعبير القرآني يأتي بمفردة (أعطى) وتصريفاتها في المواضع التي تحاكي الهبة المادية التي تخص التمليك أو ما يقرب منه وللشيء المحسوس أو ما يشعر بالإحساس المادي . إذن فالقرآن الكريم في تعبيراته بيَّن المراد والمعطيات من إستعمال المفردتين وفرَّق بين إستعمالهما ولم يكن هناك ترادف فيهما .

---

١) ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ص / ٣٩.
٢) ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ النبأ / ٣١.
٣) ﴿ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴾ النبأ / ٣٢.
٤) ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ النبأ / ٣٣.
٥) ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ النبأ / ٣٤.
٦) ﴿ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾ النبأ / ٣٦.

المبحث العاشر - جاءتهم البينات وجاءهم البينات :

في كل مرة تقرأ القرآن تجد ما يستوقفك فمثلا في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1] ، وكما ملاحظ ان الفعل في (جاءني) هو مذكر والفاعل (البينات) مؤنث ، فبتتبع الموارد القرآنية تجد ان الفعل مع (البينات) مرةً يأتي مؤنث أي مطابق للفاعل مثل ﴿ جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ و ﴿ جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ ، ومرةً يأتي معها الفعل مذكر مثل ﴿ جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ ﴾ و ﴿ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ ، أما من الناحية النحوية فهناك قاعدة نحوية مفادها جواز ان يأتي الفعل مذكراً والفاعل مؤنثاً ، مع العرض ان البينات ليست مؤنثاً حقيقياً لذا يجوز تذكيرها وتأنيثها . لكن موضوعنا ليس عن جواز تذكير أو تأنيث الفعل مع الفاعل البينات وإنما لماذا ساق القرآن الكريم هذا الإختلاف في التذكير والتأنيث في موارد دون الموارد الأخرى ؟ أو بعبارة أخرى لماذا استخدم الفعل مؤنثاً في موارد ولم يستخدمه مذكراً ، ولماذا استخدمه مذكراً في موارد أُخر ولم يستخدمه مؤنثاً والعكس بالعكس ما دام ذلك جائزاً من الناحية النحوية ؟ نحن وخلال ما مر في البحوث السابقة قلنا ان الإطلاق القرآني لم يأتِ جزافاً ولم يخضع لضرورة بل فيه قمة البيان وقمة الفصاحة والدلالة كلام الخالق الغني كيف يدانيه كلام المخلوق المحتاج فعندما يضع الفعل مرة مؤنثاً وأخرى مذكراً لابد لكل ذي لب ان يقول ان ذلك عن قصد وغاية ، وبما اننا نعتقد ان الموارد القرآنية والبيان القرآني كامل التعبير والدلالة ، وبما ان البينات في كل الموارد معرفة ، إذن فالبينات هي كل ما منه ان يكون بيّن وواضح لإقامة دليل وحجة أي هي الحجج والدلالات والآيات الواضحات والأحكام الظاهرة التي جاء بها الأنبياء والرسل .

---

١) غافر / ٦٦ .

ولكي يتم الإلمام بشتات الموضوع سوف نناقش هذه الموارد بإختصار من خلال تتبع الموارد التي كان فيها الفعل مؤنثاً مع البينات مثل :

أ. قوله تعالى ﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1] عند ملاحظة الآية التي سبقت هذه الآية المباركة وهي قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾[2] فالخطاب موجه الى المؤمنين للدخول في السلم أي الإنقياد التام لله تعالى وعدم إتباع خطوات الشيطان لأنه قد توضح لهم الأمر من خلال البينات التي جاءت وهي الآيات والمعجزات الواضحة المثبتة لصحة الدعوة المحمدية التي قادتهم للإيمان بها مما يستوجب الانتقال الى المرحلة المتقدمة وهي الدخول في السلم ، يقول الآلوسي (﴿ مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ البينات ﴾ أي الحجج الظاهرة الدالة على أنه الحق ، أو آيات الكتاب الناطقة بذلك الموجبة للدخول)[3]

ب. قوله تعالى ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[4] ، الاختلاف الذي حصل بين الناس والذي تصفه الآية المباركة فبعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين على إثره وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه هو إختلاف اولي في شؤون حياتهم ومعاشهم ولربما

---

١) البقرة / ٢٠٩ .

٢) البقرة / ٢٠٩ .

٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ٩٨/٢ .

٤) البقرة / ٢١٣ .

من بغي بعضهم على بعض وتسلط بعضهم على بعض بدلالة انه تعالى أنزل الكتاب بالحق وفيه أحكام ليحكم بها النبيون فيما إختلف فيه الناس بقوله﴿ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ ، ثم ان هذه الأحكام المنزلة في الكتب السماوية ما لبث ان حصل إختلاف حولها من حملتها وهم علماء الدين الذين ألقيت عليهم الحجج والآيات الواضحة وليس بسبب الاحكام نفسها بل ناجم عن بغي وحسد فيما بينهم ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾، فالذين أوتوا الكتاب قد جاءتهم الحجج الواضحة والآيات البينة وعلموها فاختلفوا في أحكام الكتاب فمن آمن بهذه البينات هداه الله عز وجل الى الصراط المستقيم ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ، وعندئذ يتبين ان المراد من جاءتهم البينات هي الآيات الواضحات والحجج والأدلة الموجبة للإيمان وترك البغي والاختلاف ، اذن فهناك دعوة للإيمان وبالتالي الهدى بمشيئة الله عز وجل ، يقول ابن عجيبة في تفسيره (﴿ من بعد ما جاءتهم ﴾ : الآيات الواضحات في صحة ذلك الكتاب الذي كفروا به ، والأمر بالإيمان به . وإنما وقع ذلك الكفر منهم﴿بغياً ﴾ وحسداً﴿بينهم ﴾ .)[1] ، ويقول الطباطبائي (الاختلاف في نفس الدين وما تضمنه الكتاب الإلهي من المعارف الحقة من الأصول والفروع ، وقد صرح القرآن في مواضع من آياته أن هذا النوع من الاختلاف ينتهي إلى علماء الكتاب بغيا بينهم ، وليس مما يقتضيه طباع الإنسان كالقسم الأول ، وبذلك ينقسم الطريق إلى طريقي الهداية والضلال فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق)[2] .

---

١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد :٢٣٩/١ .

٢) الميزان في تفسير القرآن :٣٠/١٠ .

ت. قوله تعالى ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾[١] ، نلاحظ انه تعالى في هذه الآية المباركة أشار الى كونه آتى عيسى ابن مريم عليه السلام البينات وأيده بروح القدس وكما هو معروف فان من هذه البينات هي إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وإخبارهم بما يدخرونه في بيوتهم ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[٢] ، فهذه البينات هي الآيات الواضحة لثبوت نبوته ورسالته ، ثم تعرج الآية المباركة ان اقتتل الذين جاءوا من بعد الرسل بعد ان ثبتت وتبينت لهم هذه البينات واختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، لذا فان من شأن هذه البينات إلقاء الحجة للإيمان أو الكفر وهو بمشيئة الله تعالى . يقول الآلوسي (﴿ البينات ﴾ أي المعجزات الباهرة والآيات الظاهرة الدالة على حقية الحق الموجبة للاتباع الزاجرة عن الإعراض المؤدي إلى الاقتتال)[٣] ، وقال الرازي (تعلق هذه بما قبلها هو أن الرسل بعدما جاءتهم البينات ، ووضحت لهم الدلائل والبراهين ، اختلفت أقوامهم ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، وبسبب ذلك الاختلاف تقاتلوا وتحاربوا

١) البقرة / ٢٥٣ .

٢) آل عمران / ٤٩ .

٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ٣/٣ .

.)[1]، ويقول الطباطبائي (قوله تعالى : و لكن اختلفوا فمنهم من آمن و منهم من كفر، نسب الاختلاف إليهم لا إلى نفسه لأنه تعالى ذكر في مواضع من كلامه : أن الاختلاف بالإيمان والكفر وسائر المعارف الأصلية المبينة في كتب الله النازلة على أنبيائه إنما حدث بين الناس بالبغي، وحاشا أن ينتسب إليه سبحانه بغي أو ظلم.)[2].

ث. قوله تعالى ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾[3] ، اذا تأملنا الآية المباركة نلاحظ ان المراد من اهل الكتاب هم بنو إسرائيل حيث إتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات إلهاً يعبدونه ، وهذه البينات التي رآها بني إسرائيل هي المعجزات التي حدثت مع نبي الله موسى عليه السلام مثل تحول عصاه الى حية تسعى ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ ﴾[4] وخروج يده من جيبه بيضاء من غير سوء ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴾[5] ، وما حدث من آيات ومعجزات مع آل فرعون مثل الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا

---

١) تفسير الفخر الرازي :٢١٩/٦ .

٢) الميزان في تفسير القرآن : ٣٢٦/٢ .

٣) النساء / ١٥٣ .

٤) طه .

٥) طه / ٢٢ .

مُجْرِمِينَ ﴾[1] ، وانفلاق البحر لينجيهم من آل فرعون ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾[2] ، والآيات المعجزة مع بني إسرائيل كثيرة أوردها الكتاب العزيز ليس المحل لذكرها مفصلا ، لكن وبعد كل هذه الآيات والمعجزات والحجج والأدلة الواضحة عندما ذهب موسى (عليه السلام) لميعاد ربه أربعون ليلة ليجلب لقومه الصحف من عند ربه والتي تحتوي على التعليمات والأحكام والأوامر والنواهي أضلهم السامري ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾[3] فإتخذوا العجل من بعده ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾[4] ، إذن فالبينات التي أشير إليها في آية البحث هي ليست الأوامر المسطرة في الصحف كون قوم موسى أثناء ذهاب موسى للقاء ربه وجلب الصحف فعلوا فعلتهم هذه وعندما عاد ومعه الصحف وجدهم قد إتخذوا العجل . إذن البينات هي الآيات والمعجزات الواضحة التي تهدي للإيمان وبالمقابل كان هناك إنكاروتعنت .

ومن كل الموارد المارة يتضح ان البينات المرادة فيها هي الآيات والمعجزات الدالة على النبوة والرسالة والتي توجب الإيمان إذن كان الأصل في المراد من البينات هو مؤنث (آيات ، معجزات) فجاء الفعل مؤنثاً . أما الموارد التي جاء بها الفعل مذكراً بينما الفاعل (البينات) مؤنثاً مثل :

---

١) الأعراف / ١٣٣ .

٢) الشعراء / ٦٣ .

٣) طه / ٨٥ .

٤) البقرة / ٥١ .

أ. قوله تعالى ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[1] ، ففي الآية التي سبقت آية البحث هذه قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[2] ، كان الحديث عن الذي يبغي غير الإسلام ديناً والاسلام هنا بالمعنى الأعم أي الإنقياد التام وتطبيق التعاليم الربانية والتسليم لله تعالى ثم يأتي الحديث عن قوم أمنوا وشهدوا ان الرسول حق أي انهم الآن قد تجاوزوا مرحلة الاثبات وانتقلوا الى مرحلة التطبيق إذن فالبينات هنا هي الأحكام الواضحة البينة للشريعة التي يتطلب إتباعها لكي يكونوا مسلمين بعد أن آمنوا .

ب. قوله تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3] ، حين تتبع سياق الآيات المباركة التي وردت قبل هذه الآية وهي قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[4] تجد ان فيها أمر بتقوى الله تعالى والاسلام ،وايضاً بالمعنى العام للإسلام من الإنقياد التام للأحكام الإلهية وتطبيق جميع الأوامروالنواهي التي أمربها الله ﷻ ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

---

١) آل عمران / ٨٦ .
٢) آل عمران / ٨٥ .
٣) آل عمران / ١٠٥ .
٤) آل عمران / ١٠٢ .

﴿ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[1] ، فهناك نهي عن التفرق والإختلاف في الأحكام التي بينها الكتاب العزيز وهي البينات المرادة في هذا المورد لأن الخطاب للمؤمنين وبما إنهم مؤمنون فهم قد تجاوزوا مرحلة إثبات النبوة والرسالة وهم في مرحلة التطبيق لأحكامها .

ت. قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2] ، وكما هو بين من ظاهر الآية بوجود أمر بالإسلام لرب العالمين كما سبقه نهي عن عبادة غير الله تعالى فالبينات هنا إذن هي الأحكام التي دعت الى عبادة رب العالمين وبينت التوحيد .

وفي كل الموارد التي مرت والتي جاء بها الفعل مذكراً كان أصل البينات هو الأحكام وهو مذكر مفردها حكم فتبع الفعل أصل المراد .

ومما مر يتبين ان تأنيث الفعل (جاء) مع الفاعل (البينات) تابع الى أصل المراد من البينات فان كان المراد مذكراً جاء الفعل مذكراً وان كان المراد أصله مؤنثاً جاء الفعل مؤنثاً .

---

١) آل عمران .

٢) غافر / ٦٦ .

المبحث الحادي عشر - العاقر والعقيم :

لعل معظم الناس يعتقد ان هاتين المفردتين تؤدي الى نفس المعنى وهو عدم الإنجاب وهذا ما أفاد به جل المفسرين لآيات الكتاب الكريم فمثلا قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾[1] يقول ابن عجيبة (﴿ وامرأتي عاقر ﴾ لا تلد ، ولم يقل : عاقرة ، لأنه وصف خاص بالنساء .)[2] ، وقال القاسمي (أي ذات عقر فهو على النسب وهو في المعنى مفعول أي معقورة)[3] وقال ابن عاشور (والعاقر المرأة التي لا تلد عَقَرَت رحمَها أي قطعته . ولأنه وصف خاص بالأنثى لم يؤنّث)[4] وقال ابن عطية (والعاقر الإنسان الذي لا يلد ، يقال ذلك للمرأة والرجل)[5] ، أما الآلوسي فقد جعل إحداهما معنىً للأخرى فقال (و العاقر عقيم عن ولادة مثل هذا الغلام)[6] . أما علماء اللغة فقالوا والعَاقرُ المرأَةُ التي لا تَحْبَل. ورجلٌ عاقِرٌ أيضاً لا يُولَد له [7] وفي معنى العقيم قالوا امرأَةٌ عقيمٌ لا تَلِدُ من نِسْوةٍ عَقائم ، ورجلٌ عَقيمٌ وعَقامٌ لا يُولَد له [8] ، ولكن في معنى العقيم تجد ان علماء اللغة أضافوا شيئا لم يتطرقوا له في

---

١) آل عمران / ٤٠ .

٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد : ١/ ٣٥٠، والنكت والعيون تفسير الماوردي : ٣٩١/١ . وتفسير السمرقندي : ١/ ٢٦٦، وجامع البيان في تفسير القرآن ، تفسير الإيجي : ٢٤٣/١ .

٣) تفسير القاسمي محاسن التأويل : ٨٣٩ .

٤) تفسير التحرير والتنوير : ٣/ ٢٤٢ .

٥) تفسير ابن عطية : ٢٩٨ ، والتبيان في تفسير القرآن للطوسي : ٤٥٣/٢ ، ومجمع البيان في تفسير القرآن : ٢٣٣/٢.

٦) روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني : ١٥٣/٣ .

٧) مختار الصحاح : ١٨٧ ، ومعجم مقاييس اللغة : ٩١/٤، وكتاب العين : ٣/ ١٩٧.

٨) مختار الصحاح : ١٨٨ ، ومعجم مقاييس اللغة : ٧٥/٤، وكتاب العين : ٣/ ٢٠٥ . والمفردات في غريب القرآن :٢/ ٤٤٤ .

معنى العاقر قال الرازي (العَقَام بالفتح العَقِيمُ وهو أيضاً الدَّاءُ الذي لا يُبْرَأ منه)[1] ، وقال الفراهيدي وابن فارس(وذلك هزمة تقع فيها فلا تقبل الولد .)[2] ، وقال الأصبهاني (والعقيم من النساء التي لا تقبل ماء الفحل يقال عقمت المرأة والرحم)[3] ، ومن خلاله يتضح بأنهم أخذوا بنتائج المعنى الذي مفاده المرأة التي لاتلد أو الرجل الذي لا يولد له ، ولكن القرآن ليس كلام بشري بل هو من لدن حكيم خبير لا يطلق المعنى جزافا بل عن قصد ودراية بعيدا عن الضروريات في اللغة أو الحاجة ، وعند تتبع الآيات نجد أن مفردة عقيم وردت أربع مرات في أربع آيات هي قوله تعالى﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾[4] ، وقوله تعالى ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[5] ، وقوله تعالى ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾[6], وقوله تعالى﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾[7] ، فالعقم هو جعل إلاهي حسب آية الشورى / ٥٠ وهي مصيرة أي انه جعل تكويني كذلك لا تذر بعدها شيء ولا تخلف بعدها شيء ﴿ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾[8] . ولذلك عبرعن يوم القيامة بأنه يوم عقيم لأنه لا يوم بعده .

أما عقر فقد وردت بالكتاب العزيز في خمسة موارد وهي :

---

١) مختار الصحاح : ١٨٨.
٢) كتاب العين : ٢٠٥/٣، ومعجم مقاييس اللغة : ٧٥/٤ .
٣) المفردات في غريب القرآن : ٤٤٥/٢ .
٤) الحج / ٥٥ .
٥) الشورى / ٥٠ .
٦) الذاريات / ٢٩ .
٧) الذاريات / ٤١ .
٨) الذاريات / ٤٢ .

﴿ فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[1] ،وقوله تعالى﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾[2] . وقوله تعالى ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴾[3] . وقوله تعالى ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴾[4] . وقوله تعالى ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴾[5] . وهذه الآيات تصف ناقة نبي الله صالح عليه السلام وهي كانت سليمة في بادىء الأمر إلا إنها عقرت أي قطعت سيقانها بفعل فاعل أي بسبب خارجي وليس من أصل الشيء أو تكوينه .

وكلمة عاقر بوزن فاعل وردت ثلاث مرات وهي :

قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاء ﴾[6] . وقوله تعالى ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾[7] .وقوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾[8] . ومن خلال دلالة الآيات السابقة لآبد وان يكون العقر ليس في تكوينها بل هو بعارض خارجي متأتٍ بعد ان كانت صالحة كما هو الحال في ناقة صالح عليه السلام ومنه فان عاقر بوزن فاعل تؤدي نفس المعنى للجذر عقر أي إنها كانت سليمة قابلة للولادة وبعد أن تقدم بها العمر وإنقطع عنها

---

١) الأعراف / ٧٧ .

٢) هود / ٦٥ .

٣) الشعراء / ١٥٧ .

٤) القمر / ٢٩ .

٥) الشمس / ١٤ .

٦) آل عمران / ٤٠ .

٧) مريم / ٥ .

٨) مريم / ٨ .

الحيض بسبب العمر أصبحت عاقر والمعنى هنا او المدلول مختلف عن مفردة عقيم وما يؤيده ما يلي :

أ. ما مر في معنى الكلمة بحق ناقة صالح فلا يشك أحد إنها كانت سليمة ومن ثم أصابها العقر بفعل خارجي .

ب. إن زوجة إبراهيم عليه السلام سارة كانت منذ البداية لاتلد وإن إبراهيم عليه السلام قد أنجب إسماعيل عليه السلام من هاجر التي تزوجها بعد سارة ولم ينجب من سارة الا بعد البشرى الإلهية لذلك قالت سارة كما يحكي عنها القرآن الكريم ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾[1] . أي وصفت نفسها عقيم وليس عاقرا رغم كونها عجوز لانها منذ البداية لا تلد .

ت. إخبار زكريا عليه السلام ان العلة كانت من زوجته بقوله ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ ولم لا تكون منه إذا كانت منذ صباها لاتلد ؟ ، بتعبير آخر لم لا يكون السبب منه ؟ أي كيف عرف انه ينجب وهي لا ؟ إذن هو على دراية بأن السبب في عدم حصوله على الولد في هذا الوقت الذي دعا فيه ربه هو من ناحية إنقطاع إمكانية الولادة منها لكبر سنها بينما الرجل تبقى لديه القابلية على الإنجاب حتى وان تقدم في السن ، ولم كان طلبه غلاماً وليس أي ذرية مثل بنت ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ ليرثه ؟ مما يدلل على انه وزوجته كانا قادرين على الانجاب ولكنه لم يرزق ولد ذكرا وعندما أصبحت زوجته كبيرة في السن إنقطع عنها الحيض فكان السبب في كونها غير قادرة على الولادة فأصبحت عاقراً وليست عقيم أصلا لذلك قال أصلحنا له زوجه ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي

---

١) الذاريات/ ٢٩ .

﴿الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[1] . ولم يقلها مع إبراهيم عليه السلام . ولربما كانت له ذرية أناث والله أعلم حيث لم يبينها القرآن ، لأن الإصلاح يكون لما فسد وبمشيئة الرب تبارك وتعالى ، بينما في (سارة) يحتاج الى جعل تكويني كونها كانت عقيم فلم يذكر الإصلاح بل عبر عنه بأنها أمر رباني ﴿قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾[2] .

وهناك سؤال قد يرد وهو ان الآية تقول ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ لماذا قال كانت ولم يقل إمرأتي عاقر أو أصبحت أليس مفردة (كانت) تدل على انها منذ البداية عاقرا كونه يفيد الماضي ؟ وجوابه : انه قال (كانت إمرأتي عاقرا) ليفيد انها إنقطعت عن إمكانية الولادة منذ زمن بعيد جدا فأصبح من غير الممكن ان تلد دون معجزة ولو لم تأتي هذه المفردة (كانت) لأصبح المفهوم انها أصبحت عاقرا حين التكلم أو منذ فترة ليست بالطويلة فيكون إحتمالية عودة الإنجاب واردة جدا لإحتمال إنقطاع ما يأتي النساء لعارض آني مثل تناول عقار معين أو إضطراب معين فيها أو علة زائلة وانها ليست بذلك السن الكبير فيذهب أثر المعجزة الإلهية أو يصبح قليل الأثر .

ومن كل ذلك يتبين لماذا ان الكتاب العزيز في موضوع زوجة الخليل عليه السلام عبر عنها بأنها عقيم بينما عبر عن زوجة زكريا عليه السلام بأنها عاقر رغم ان النتيجة واحدة وهي عدم القدرة على الولادة .

---

١) الأنبياء/ ٩٠ .

٢) الذاريات/ ٣٠ .

المبحث الثاني عشر - يحكم ويقضي :

ان البيان القرآني دقيق جداً في تعابيره وانتقاء مفرداته فربما عندما يمر من يقرأ الكتاب العزيز مثلا في قوله تعالى ﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[2] يظن ان المراد نفسه من ﴿ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ و ﴿ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ومعنى يقضي هو يحكم وهذا الأمر ليس مقتصراً على عامة الناس بل قد يذهب اليه حتى صاحب الإختصاص من علماء التفسير مثل السمرقندي ففي تفسير قوله تعالى ﴿ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[3] يقول (﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ القيامة ﴾ يعني : يحكم بينهم ﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ في الكتاب والدين .)[4] ، وكذلك الطوسي في تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[5] يقول(« إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » هذا إخبار منه تعالى بأنه الذي يتولى الحكم بينهم يوم القيامة في الأمور التي يختلفون فيها فإن مع بقاء التكليف لا يرتفع الخلاف .)[6] ، ولكن هنا وقفة تأمل وتساؤل لماذا الباري ﷻ قال في موضع يقضي وقال في آخر يحكم ؟ وسؤال آخر لماذا لم يستعمل مفردة واحدة في كلا الموردين إذا كان المراد واحداً ؟ ولماذا لم

---

١) البقرة /من الآية ١١٣ .
٢) الجاثية /من الآية ١٧ .
٣) الجاثية / ١٧ .
٤) تفسير السمرقندي : ٢٢٥/٣ .
٥) يونس / ٩٣ .
٦) مجمع البيان في تفسير القرآن : ١٧٣/٥ .

يستعمل إحداهما بدل الأخرى ؟ وما دمنا نعتقد ان الكتاب العزيز هو كلام الله ﷻ وانه من لدن حكيم خبير ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[1] إذن لابد وان يكون البيان الإلهي المراد مع مفردة يحكم غير البيان الإلهي المراد مع مفردة يقضي ، وان عدنا الى أقوال علماء اللغة لمفردة يقضي ومنهم :

١. الأصبهاني (قضي :القضاء فصل الامر قولا" كان ذلك أو فعلا" وكل واحد منهما على وجهين : إلهي وبشري . فمن القول الالهي قوله ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه ﴾أي أمر بذلك وقال﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب ﴾فهذا قضاء بالاعلام والفصل في الحكم أي أعلمناهم وأوحينا إليهم وحيا"جزما". وعلى هذا﴿ وقضينا إليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع ﴾ ومن الفعل الالهي قوله ﴿ والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء﴾ وقوله ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾ إشارة إلى إيجاده الابداعي والفراغ منه نحو﴿ بديع السموات والارض ﴾ وقوله ﴿ ولولا أجل مسمى لقضى بينهم ﴾ أي لفصل ، ومن القول البشري نحو قضى الحاكم بكذا فإن حكم الحاكم يكون بالقول ، ومن الفعل البشري﴿ فإذا قضيتم مناسككم ثم ليقضوا تفهم وليوفوا نذورهم ﴾ ، وقال تعالى﴿ قال ذلك بيتي وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على ﴾ وقال﴿ فلما قضى زيد منها وطرا" ﴾وقال﴿ ثم اقضوا إلى ولا تنظرون ﴾ أي افرغوا من أمركم ، وقوله ﴿فاقض ما أنت قاض . إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ﴾، وقول الشاعر :قضيت أمورا" ثم غادرت بعدها يحتمل القضاء بالقول والفعل جميعا". ويعبر عن الموت بالقضاء فيقال فلان قضى نحبه كأنه فصل أمره المختص به من دنياه ، وقوله﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ﴾قيل

---

١) هود / ١ .

قضى نذره لانه كان قد ألزم نفسه أن لا ينكل عن العدي أو يقتل، وقيل معناه منهم من مات)[1] .

٢. الرازي (يكون بمعنى الفَرَاغ تَقُول قَضَى حاجَتَه. وضَرْبه فَقَضَى عليه أي قَتَله كأنَّه فَرَغَ منه. وقَضَى نَحْبَه ماتَ. وقد يكون بمعنى الأَدَاء والإِنْهاء تقول قَضَى دَيْنَه ومنه قوله تعالى ﴿وقَضَيْنَا إِلَى بَني إِسْراءِيلَ في الكِتاب﴾ وقوله تعالى ﴿وقَضَيْنَا إليه ذلك الأَمْرَ﴾ أي أَنْهَيْنَاهُ إليه وأَبْلَغْنَاه ذلك. وقال الفَرّاء في قوله تعالى ﴿ثُمَّ اقْضُوا إليّ﴾ يَعْني امْضُوا إِلَيّ كما يُقال قَضَى فُلاَنٌ أي ماتَ ومَضَى. وقد يكون بمعنى الصُّنْع والتَّقْدير يُقال قَضَاء أي صَنَعَه وقَدَّرَهُ ومنه قوله تعالى ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوات في يَوْمَين﴾ ومنه القَضاء والقَدَر.)[2] .

٣. ابن فارس (القاف والضاد والحرف المعتل أصلٌ صحيح يدلُّ على إحكام أمرٍ وإتقانهِ وإنفاذه لجهته)[3] .

أما مفردة حكم فقال بحقها علماء اللغة ومنهم :

١. الأصبهاني (حكم أصله منع منعا لإصلاح ومنه سميت اللجام حكمة الدابة فقيل حكمته وحكمت الدابة منعتها بالحكمة وأحكمتها جعلت لها حكمة وكذلك حكمت السفينة وأحكمتها ،قال الشاعر : أبني حنيفة احكموا سفهاءكم . وقوله « أحسن كل شيء خلقه . فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم » ،والحكم بالشيء أن تقضي بأنه كذا أوليس بكذا سواء ألزمت ذلك غيرك أو لم تلزمه ،)[4] .

---

١) المفردات في غريب القرآن : ٥٢٥/٢ .

٢) مختار الصحاح : ٢٢٦ .

٣) معجم مقاييس اللغة : ٩٩/٥ .

٤) المفردات في غريب القرآن : ١٦٧/١ .

٢. ابن فارس (الحاء والكاف والميم أصلٌ واحد، وهو المنْع. وأوّل ذلك الحُكْم، وهو المَنْع من الظُّلْم. وسمِّيَتْ حَكَمة الدابّة لأنها تمنعُها يقال حَكَمْت الدابةَ وأحْكَمتها. ويقال: حكَمت السَّفيهَ وأحكمتُه،)[1] .

ومن خلال المعنى اللغوي يتبين ان المفردتين مختلفتين وربما في بعض معانيهما يؤديان الى بيان مختلف تماما لهذا في قوله تعالى ﴿ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[2] فان هناك فصل بالأمر بينهم فيما إختلفوا فيه على تمامه . بينما في قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[3] فانه صدور حكم يمنع الاختلاف بينهم وبينه ، وإجمالا فان العسكري أحد أعلام القرن الرابع الهجري قد أوضح الفرق بين المفردتين بقوله (الفرق بين القضاء والحكم : أن القضاء يقتضي فصل الامر على التمام من قولك قضاه إذا أتمه وقطع عمله ومنه قوله تعالى ﴿ ثم قضى أجلا ﴾ أي فصل الحكم به ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل ﴾أي فصلنا الاعلام به وقال تعالى ﴿ قضينا عليه الموت ﴾ أي فصلنا أمر موته ﴿ فقضاهن سبع سماوات في يومين ﴾ أي فصل الامر به ، والحكم يقتضي المنع عن الخصومة من قولك أحكمته إذا منعته قال الشاعر:

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم   إني أخاف عليكم أن أغضبا

ويجوز أن يقال الحكم فصل الامر على الاحكام بما يقتضيه العقل والشرع فإذا قيل حكم بالباطل فمعناه أنه جعل الباطل موضع الحق ، ويستعمل الحكم في

١) معجم مقاييس اللغة : ٩١/٢ .
٢) الجاثية / ١٧ .
٣) البقرة / ١١٣ .

مواضع لا يستعمل فيها القضاء كقولك حكم هذا كحكم هذا أي هما متماثلان في السبب أو العلة أو نحو ذلك)[1] .

ومن كل ما مر يتبين انه تعالى لما قال (يقضي) يكون القضاء بالوقوف على ملابسات موضوع بين شيئين متضادين ثم فصلها وبيان للحق منها من الباطل لذلك يقال ان القاضي يقضي بين الخصمين ، أما (يحكم) فهو إصدار قرار الحكم النهائي على الباغي وفصل القضية المختلف فيها لذلك تقول حكم القاضي على الجاني ، اذن لم يكن المراد واحداً ليكون المعنى واحداً .

---

١) الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري : ١٩٠ .

الاستنتاجات :

من خلال ما مر في البحث تبينت لنا العديد من الاستنتاجات ويمكن إجمالها :

أ. ان القرآن الكريم بما انه كتاب هداية وباعتباره خاتم الكتب السماوية لخاتمة الشرائع الإلهية ومن حيث عالمية الرسالة المحمدية فهو قابل للإدراك والفهم من كافة الناس وعلى كافة مستوياتهم الفكرية وإدراكاتهم ولكن كل بقدره وقدرته ، وليس مختصاً بطبقة معينة دون غيرها لأنه يخاطب كل الناس .

ب. من خلال خاتمية الكتاب العزيز وعالميته فلابد من ان يكون مستمراً لكافة العصور والدهور والأماكن منذ نزوله على صدر الخاتم ﷺ وليس معطلاً على عصر معين أو بقعة معينة من الأرض فهو لم يختص بعصر الرسالة ولا بالجزيرة العربية ولا بالعرب وإلا لعطلت آياته وانتفت عالميته وهذا خلاف صريح الظاهر القرآني كما في قوله تعالى ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] وكافة كلمة شاملة لكل الناس أبيضهم وأسودهم ومنذ عصر صدور النص القرآني الى قيام الساعة ، وهذا ما صرحت به الروايات الشريفة فعن الرضا عليه السلام عن أبيه الامام موسى بن جعفر عليه السلام ان رجلا سأل أبا عبد الله عليه السلام : ما بال القرآن لا يزداد عند النشر والدرس إلا غضاضة ؟ فقال : (لان الله تعالى لم يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس فهو في كل زمان جديد وعند

1) البقرة / من الآية ١٨٥.
2) سبأ / ٢٨.

كل قوم غض الى يوم القيامة)[1] ، بمعنى آخر ان هذا الكتاب يجري مجرى الشمس والقمر ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾[2] ، وهذا ما صرح به أئمة الهدى عليهم السلام فقد روي عن عبد الرحيم القصير، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث « أنّ القرآن حيّ لا يموت والآية حيّة لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام ماتوا ماتت الآية، لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين . »[3] وعن عبدالرحيم : قال أبو عبدالله عليه السلام : « إنّ القرآن حيّ لم يمت، وإنّه يجري كما يجري الليل والنهار وكما يجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أوّلنا »[4] ، وعن أبي بصير، عن الصّادق عليه السلام في حديث قال : « يا أبا محمّد لو كانت إذا نزلت آية على رجل، ثمّ مات ذلك الرجل ماتت الآية، مات الكتاب; لكنّه حيّ يجري فيمن بقي كما جرى فيمن مضى »[5] .

ت. بما ان النص القرآني يجري لكل زمان ومكان ، إذن ليس من الضروري ان يكون ما فهمه المتقدمين ينطبق على المتأخرين ليكون حجة عليهم لأن ما فهموه كان وفقاً لمعطيات ومتطلبات المرحلة التي عاشوها ووفقاً لمستوى الأدراك الذي هم فيه ، ومما لا شك فيه ان هناك تطور في كل مجالات الحياة وتوسع كبير يحصل في مستوى الإدراك البشري بتقدم العصور وبكافة تفاصيل العلوم ، فما وصل اليه العلم الحديث ليس بإمكان من عاصر عصر النزول ان يتخيله أو يدركه ، وانما فهم النص القرآني على ما

---

١) البرهان في تفسير القرآن ، السيد هاشم البحراني :١/ ٧١ .
٢) الرعد / من الآية ٢.
٣) مستدرك سفينة البحار : ٤٤٨/٨ ، وبحار الأنوار : ٢٤٩/٣٥ .
٤) مستدرك سفينة البحار : ٤٤٨/٨ ، وبحار الأنوار : ٢٤٩/٣٥ .
٥) مستدرك سفينة البحار : ٤٤٨/٨.

كان ظاهراً لديه في حينه عدا من خصوا به فمثلا لم يكن ليتخيل كروية الأرض أو المجموعة الشمسية أو الطائرة أو المركبة الفضائية أو الحرب الألكترونية أو وسائل الاتصالات الحديثة أو الأنترنت ... الخ ، والحال نفسه في عصرنا هذا لن نتخيل أشياء سوف يتم إكتشافها بعد مائة عام ، وأبسط مثال ما يعمل عليه علماء الفيزياء في النظرية الكوانتية من عملية النقل الكموي أو الكوانتي[١] التي تعتبر في بدايتها الآن والتي يأملون فيها الوصول الى نقل الأجسام بسرعة تقرب من سرعة الضوء والتي نعتبرها الآن من الخيال العلمي وهكذا . اذن النص القرآني يفهم وفق عصر وصوله للمتلقي وما فهم في هذا العصر ليس كما فهم في عصر صدوره ، وما فهم في عصر الصدور لم يكن الا شواهد وأمثلة ومصاديق له في ذلك العصر تفتح الآفاق لشواهد وأمثلة ومصاديق أخرى في عصر الوصول ، وأحياناً تكون هذه المصاديق أكمل المصاديق عندما يشار فيها الى الرسول أو العترة الطاهرة *عليهم أفضل الصلاة والسلام* وما يفهم الآن تكون شواهد وأمثلة ومصاديق إضافية لهذا العصر والحال مستمر الى ان يرث الله تعالى الأرض وما عليها ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾[٢].

ث. ان الروايات المعتبرة التي نقلت الينا وعبر عنها العلماء بأنها روايات تفسيرية ، فانها ومن خلال ما مر من جريان النص القرآني لم تكن بالأصل مفسرة ان

---

١) النقل الكوانتي او الكموي للمادة أو النقل عن بعد ولعلماء الفيزياء بدايات في هذا الموضوع وحسب النظرية الكمية ، حيث تمكن العلماء من نقل جسيم كمي من الضوء والتمكن من نقل ذرة مادية وهي عملية شبيهة بالاستنساخ إعتماداً على ما يسمى بالتشابك (entanglement) وهي من خصائص الميكانيك الكمي في الفيزياء ورغم كون العلماء يأملون التطور في النظرية الى نقل جزيء ومن ثم جسم ولكنها ما تزال من الخيال العلمي لصعوبة الحصول على مسح للمعلومات ومن ثم تشابكها بالتقنيات الحديثة المتوفرة حالياً ، راجع كتاب ومضات قرآنية ، علي عبيد خضير المعموري :٥٧.

٢) مريم / ٤٠.

لم تكن توقيفية لحادث أو موضوع معين بل ان الأعم الأغلب منها تطبيقية أي بمعنى انها تبين لنا قواعد تطبيق فهم النص القرآني وان ما يتم ذكره أو طرحه ما هو الا شاهد أو مثال أو مصداق لفهم هذا النص ولم يتوقف فهم النص القرآني بهذا الشاهد أو المثال أو المصداق ، وان أي تصور بانه توقف فانه تعطيل للنص القرآني وتوقف لجريانه في الزمكان ، ومن هنا فان النص القرآني سيكون متعدد الشواهد والمصاديق والأمثلة التي تنطبق عليه وتلائمه مع كل عصر ومكان ليفهمها كل انسان بما هو ظاهر لديه لتضاف الى الشواهد والأمثلة والمصاديق للعصور السابقة وهكذا يكون لدينا مصاديق تطابق كل العصور والمواقع الجغرافية وكأن المفهوم عام وتعددت مصاديقه ، وكثيراً ما ورد مصطلح الجري والمصداق والانطباق في كلمات العلامة الطباطبائي عندما يعرض الى البحث الروائي في تفسيره فمثلاً في ذيل تفسير قوله تعالى ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾[1] يقول : (وفي الكافي، أيضا : عنه عليه السلام : في الآية، قال: الصبر الصيام، وقال : إذا نزلت بالرجل النازلة الشديدة فليصم. إن الله عزّ وجلّ يقول : واستعينوا بالصبر يعني الصيام . أقول : وروى مضمون الحديثين العياشي في تفسيره . وتفسير الصبر بالصيام من باب المصداق والجري .)[2] ، وفي ذيل تفسير قوله تعالى ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[3] يقول : (في المجمع،: في قوله : وإذا لقوا الذين ، الآية عن الباقر عليه السلام قال : كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين المتواطئين إذا لقوا المسلمين حدثوهم بما في التوراة من صفة محمد

---

١) البقرة / ٤٥.

٢) الميزان في تفسير القرآن ، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي : ١٥٣/١.

٣) البقرة / ٨١.

ﷺ فنهى كبراؤهم عن ذلك وقالوا لا تخبروهم بما في التوراة من صفة محمد ﷺ فيحاجوهم به عند ربهم فنزلت هذه الآية وفي الكافي، عن أحدهما عليها السلام : في قوله تعالى : بلى من كسب سيئة، قال : إذا جحدوا ولاية أمير المؤمنين فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . أقول: وروى قريبا من هذا المعنى الشيخ في أماليه عن النبي ﷺ ، والروايتان من الجري والتطبيق على المصداق،) [1] ، وينقل السيوطي عن الزمخشري قوله (يجوز ان يكون السبب حاصاً والوعيد عاماً ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون ذلك جارياً مجرى التعريض) [2] ، وخير من رفع قواعد هذه النظرية التي أسست لها الروايات المباركة ونَظَّر لها عدد من العلماء كما هو الحال في العلامة الطباطبائي هو السيد كمال الحيدري حيث يقول : (من القواعد الرئيسية التي اعتمدتها الروايات الواردة عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام في بيان المراد من الآيات القرآنية أن لها إتساعاً من حيث إنطباقها على المصاديق وبيان حالها ، فالآية لا تختص بمورد نزولها ، بل تجري في كل مورد يتحد مع مورد النزول ملاكاً ، كالأمثال فانها لا تختص بمواردها الأُوَل ؛ بل تتعداها الى ما يناسبها وهذا المعنى هو المصطلح عليه بجري القرآن . والجري إصطلاح يريد به أئمة أهل البيت عليهم السلام تطبيق الآية على ما يقبل ان ينطبق عليه من الموارد وان كان خارجاً عن مورد النزول ، والاعتبار يساعده ، فان القرآن نزل هدى للعالمين يهديهم الى واجب الاعتقاد وواجب الخُلُق وواجب العمل ، وما بينه من المعارف النظرية حقائق لا تختص بحال دون حال ، ولا زمان دون زمان ، وما ذكره من فضيلة أو رذيلة ،أو شرعه من حكم عملي ، لا يتقيد بفرد دون فرد ولا عنصر دون عنصر ؛ لعموم التشريع . وما ورد في شأن

١) الميزان في تفسير القرآن ، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي : ٢١٥/١.
٢) الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي : ١١٠/١.

النزول – وهو الأمر أو الحادثة التي تعقب نزول آية أو آيات في شخص أو واقعة – لا يوجب قصر الحكم على الواقعة لينقضي الحكم بانقضائها ويموت بموتها ، لأن البيان عام والتعليل مطلق ، فان المدح النازل في حق أفراد من المؤمنين أو الذم النازل في حق آخرين معللاً بوجود صفات فيهم ، لا يمكن قصرهما في شخص مورد النزول مع وجود عين تلك الصفات في قوم آخرين بعدهم وهكذا .)[1] ، وقال أيضاً (المراد من التطبيق هو تحديد مصداق معيّن لمفهوم عامّ فيه صلاحية الشمول له دون الحصر به، كما هو الحال بالنسبة لسبب النزول الذي يدور حول تحديد مقاصد النصّ القرآني، ولكن دون الاقتصار على ذلك، ولذلك سوف تبقى صلاحية انطباق النصّ القرآني على موارد أُخرى مادامت مُتوفّرة على ضوابط الانطباق، سواء كانت تلك الموارد واقعة في عصر النصّ أم بعد ذلك . إنَّ هذه العملية التطبيقية قد مُورست في أكثر من مورد من قبل أئمّة أهل البيت عليهم السلام .) [2]

ج. ان المعاني والأفكار التي تجول في ذهن الانسان هي أغزر من الألفاظ والكلمات كونها تنبعث من منبع لا ينضب داخل النفس الإنسانية ، أما الكلمات والتعابير فتقبل إليه من الخارج تلقياً فتكون محصورة ومحدودة بقدرة الشخص ، ولهذا مهما كانت اللغة غنية لا يمكن ان تغطي كامل المعنى والاحساس المراد التعبير عنه ، لكن رغم هذا القصور نجد أنفسنا نقف أمام بحر هائل متلاطم من الكلمات والالفاظ معظمها يطلق عليه المترادفات فمهما سما البليغ في التعبير لا يمكن ان تنصب كل هذه الالفاظ والمترادفات أمامه ليعبر بها عما يجول في أفكاره إنما يلتقط منها ما قد يتسارع اليه وينجد غرضه لإيصال فكرته واحساسه ، وان دققنا النظر وغصنا في دقائق

١) اللباب في تفسير الكتاب ، العلامة السيد كمال الحيدري :١/٧١.
٢) منطق فهم القرآن ، السيد كمال الحيدري :١/٢٢.

هذه المترادفات نلاحظ ان لكل لفظة منها ما يميزها من الخصائص والفروق فهي في حقيقتها ليست من المترادفات في شيء بل لكل منها دلالته الخاصة ، ولم يكن النص القرآني بما انه كلام الخالق الحكيم المطلق والنظام المتكامل محتاجاً في ألفاظه الى المترادفات كونها من أدوات المحتاج ، ولم يكن الخالق الغني محتاجاً لهذه الأدوات في كلامه وان كان القرآن نزل بلسان العرب فهناك فرق بين ان يكون بلسان العرب وبين ان يكون بقدراتهم وامكانياتهم ، لأن كل الكلمات والالفاظ والمعاني الحقيقية حاضرة متجلية أمام قدرته ﷻ ، إذن فاللفظة القرآنية جاءت بالمعنى والدلالة الحقيقيين وليست بألفاظ ذات علاقة سطحية تصل بين المترادف من الالفاظ والمستخدمة من المحتاج ، وبالتالي عدم سوق القرآن وراء تلك الامكانيات بل جعل القرآن هو القائد أو الإمام وليس له ان ينقاد وراء قدرات وامكانيات واحتياجات بشرية ، ولعل إخضاع القرآن لها يضل عن الوصول المطلوب ، وهذا ما أشار اليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : (واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش ، والهادي الذي لا يضل ، والمحدث الذي لا يكذب . وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان ، زيادة في هدى ، أو نقصان في عمى . واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة ، ولا لاحد قبل القرآن من غنى فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على لأوائكم ، فإن فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي والضلال . فاسألوا الله به)[1] ، وما ورد عن الصادق عن أبيه، عن آبائه صلوات الله عليهم قال: قال رسول الله ﷺ : (أيها الناس إنّكم في زمان هدنة، وأنتم على ظهر السفر والسير بكم سريع . فقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كلّ جديد ويقرّبان كلّ بعيد، ويأتيان بكلّ موعود، فأعدّوا

١) شرح نهج البلاغة : ٢٣١/١٠، ومدخل الى النظام المعرفي لآلية فهم القرآن : ٧- ٨ .

الجهاز لبعد المفاز. - فقام المقداد فقال : يا رسول الله ما دار الهدنة ؟ قال : دار بلاء وانقطاع، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنّه شافع مشفّع وماحل مصدّق، من جعله أمامه قاده إلى الجنّة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدلّ على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل، وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكمة، وباطنه علم. ظاهره أنيق، وباطنه عميق، له نجوم، وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه،) [١].

ح. ورد في العديد من الروايات المباركة ان للقرآن ظهر وبطن منها : عن النبي ﷺ : (إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف، لكلّ آية منها ظهر وبطن ولكلّ حرف حدّ ومطلع. وفي رواية أُخرى: إنّ للقرآن ظهراً وبطناً، ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن .) [٢] ، وعن الإمام الصادق عليه السلام انه قال (إنّ للقرآن ظهراً وبطناً ولبطنه بطن إلى سبعة أبطن.) [٣] ، والذي بيّن لنا معنى الظهر والبطن هو قول المعصوم كما يروي محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل، عن منصور بن يونس، عن ابن اذينة، عن فضيل بن يسار قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية « ما من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن » فقال : (ظهره تنزيله، وبطنه تأويله، منه ما قد مضى، ومنه ما لم يكن، يجري كما يجري الشمس والقمر، كلما جاء تأويل شيء منه يكون على الاموات كما يكون على الاحياء، قال الله : « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم » نحن نعلمه) [٤] ، ولا إشكال ولا شبهة في كونها تطابق الكتاب العزيز فللقرآن

---

١) مستدرك سفينة البحار : ٤٥٥/٨.

٢) المصدر نفسه: ٤٥٥/٨.

٣) المصدر نفسه: ٤٥٥/٨.

٤) بحار الأنوار : ٦٨/٨٩ ، وبصائر الدرجات :٢٣٢/٤ .

كما قلنا ظهر من خلال ظهور الشواهد والمصاديق والحقائق الظاهرة للمتلقي في عصره وهو ما عبر عنه المعصوم سلام الله عليه « ظهره تنزيله » وله بطن فيما بطن ولم يظهر له في عصره وهو ما عبر عنه عليه السلام « وبطنه تأويله » ، ولربما ما لم يظهر في عصر المتلقي فكان بطناً اليه يظهر في عصر متأخر عنه فيصبح ظاهراً لأصحاب هذا العصر ، وكل هذا تأييداً لجريان القرآن في الزمكان وضربنا فيما مر أمثلة على ذلك مثل ثورة الإتصالات الحديثة وثورة الأنترنت التي نعيشها في عصرنا هذا وهي من الشواهد الظاهرة لنا والتي كانت باطنة للسلف .

خ. ان العقول البشرية التي اعتادت الفهم من خلال الظواهر المادية والمحسوسات ليس لها ان تُخضع المراد القرآني في كل جوانبه الى عالم المادة الذي تعيشه فان مثل هذا الاخضاع للنص القرآني وجعله يدور ضمن حلقة المادة فيه تعسف كبير ويفوت الفرصة لفهم الكثير من الحقائق القرآنية ، فما ارتبط بعالم الملكوت وما ارتبط بقدسية الخالق وتنزيهه بعيد كل البعد عن عالم المادة ، ومن هنا توجب إعادة فهم الآيات المباركة التي أشارت الى ذلك مثل الكرسي والعرش واليد والوجه وغيرها فمتى ما ربطت وفهمت وفق عالم المادة إحتاجت الى تأويل لحفظ التنزيه دون الوقوف على المراد منها لكن في الحقيقة ان معناها المراد ليس ذلك المفهوم المادي ، وانما المعنى الحقيقي لهذه الألفاظ التي من مصاديقها الكرسي والعرش واليد والوجه .

يقول السيد الطباطبائي في ذيل تفسير قوله تعالى﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو

﴿الْأَلْبَابِ﴾[1] (أن البيانات اللفظية القرآنية أمثال للمعارف الحقة الإلهية لأن البيان نزل في هذه الآيات إلى سطح الأفهام العامة التي لا تدرك إلا الحسيات ولا تنال المعاني الكلية إلا في قالب الجسمانيات، ولما استلزم ذلك في إلقاء المعاني الكلية المجردة عن عوارض الأجسام والجسمانيات أحد محذورين : فإن الأفهام في تلقيها المعارف المرادة منها إن جمدت في مرتبة الحس والمحسوس انقلبت الأمثال بالنسبة إليها حقائق ممثلة، وفيه بطلان الحقائق وفوت المرادات والمقاصد وإن لم تجمد وانتقلت إلى المعاني المجردة بتجريد الأمثال عن الخصوصيات غير الدخيلة لم يؤمن من الزيادة والنقيصة .)[2].

---

١) آل عمران / ٧.

٢) الميزان في تفسير القرآن ، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي : ٧٢/٣ .

الخاتمة :

مما سبق من مباحث تبين لنا ما يلي :

- ان كتاب الله هو خاتم الكتب السماوية المنزلة فهو لم يكن نازلاً لزمن معين بل هو لكل العصور والأزمان منذ بداية الرسالة المحمدية الخاتمة الى يوم القيامة فهو يحاكي عقول الناس ومداركهم الفكرية وتطورهم في المعارف والعلوم على مر العصور الى يوم القيامة , وان نزوله عربياً لا يعني انه خاص بالعرب أو الجزيرة العربية أو قريش بل هو لكل الناس على إختلاف لغاتهم وتوجهاتهم لان الرسالة المحمدية هي رسالة عالمية .
- ان فهم القرآن والأخذ منه ليس حكراً على العرب وعلى طبقة معينة منهم ولو أصبح فهمه منحصراً بهذه المجموعة ولم يستفد منه بقية الناس انتفت عالميته وأصبحت الرسالة المحمدية التي أساسها الكتاب العزيز رسالة محلية وناقضت صريح القرآن بعالمية الرسالة وانحسرت بطبقة معينة من العرب دون بقية الناس .
- ان ما فهمه المتقدمون ليس شرطاً ان ينطبق أو يتماشى مع ما فهمه المتأخرون لأن مستوى المعارف وتحصيلها قد تغير واتسع ، ومدارك الانسان قد امتدت آفاقها ، ومؤسسات البحوث قد انتشرت وتنوعت ، لذلك تجد الكثير من الحقائق تتكشف لك من القرآن كلما تقدم الزمن .
- لم يكن اعجاز كتاب الله تعالى منحصراً ببلاغته وفصاحته فحسب بل يضاف لها أيضاً بكونه يلائم كل العصور والأجيال والمستويات الفكرية والتطورات والعلوم ويهيمن عليها ويستمر الى يوم القيامة كونه يمثل خاتم الكتب السماوية لخاتم الرسلات الالهية ولهذا تم حفظه بالعناية الإلهية .

- ان القرآن الكريم بما انه كتاب هداية وباعتباره خاتم الكتب السماوية لخاتمة الشرائع الإلهية ومن حيث عالمية الرسالة المحمدية فهو قابل للإدراك والفهم من كافة الناس وعلى كافة مستوياتهم الفكرية وإدراكاتهم ولكن كل بقدره وقدرته ، وليس مختصاً بطبقة معينة دون غيرها لأنه يخاطب كل الناس .
- ان الروايات المعتبرة التي نقلت الينا وعبر عنها العلماء بأنها روايات تفسيرية ، فانها لم تكن توقيفية ان تخص لحادث أو موضوع معين بل ان الأعم الأغلب منها تطبيقية أي بمعنى انها تبين لنا قواعد تطبيق فهم النص القرآني وان ما يتم ذكره أو طرحه ما هو الا شاهد أو مثال أو مصداق لفهم هذا النص .
- ان النص القرآني بما انه كلام الخالق الحكيم المطلق والنظام المتكامل لا يقاس بالإمكانات والأدوات البشرية لأنها أدوات المحتاج ولم يكن الخالق الغني محتاجاً لهذه الأدوات في كلامه وان كان القرآن نزل بلسان العرب فهناك فرق بين ان يكون بلسان العرب وبين ان يكون بقدراتهم وامكانياتهم ، وبالتالي عدم سوق القرآن وراء تلك الامكانيات بل جعل القرآن هو القائد أو الإمام وليس له ان ينقاد وراء قدرات وامكانيات واحتياجات بشرية .
- ان للقرآن ظهر من خلال ظهور الشواهد والمصاديق والحقائق الظاهرة للمتلقي في عصره وهو ما عبر عنه المعصوم سلام الله عليه « ظهره تنزيله » وله بطن فيما بطن ولم يظهر له في عصره وهو ما عبر عنه عليه السلام « وبطنه تأويله » ، ولربما ما لم يظهر في عصر المتلقي فكان بطناً اليه يظهر في عصر متأخر عنه فيصبح ظاهراً لأصحاب هذا العصر ، وكل هذا تأييداً لجريان القرآن في الزمكان .

- ان العقول البشرية التي اعتادت الفهم من خلال الظواهر المادية والمحسوسات ليس لها ان تُخضع المراد القرآني في كل جوانبه الى عالم المادة الذي تعيشه فان مثل هذا الاخضاع للنص القرآني وجعله يدور ضمن حلقة المادة فيه تعسف كبير ويفوت الفرصة لفهم الكثير من الحقائق القرآنية .
- ان القرآن الكريم يستعمل المفردة بمعناها الحقيقي الذي يعطي المراد التام لكن إقتصار الادراك المادي على المعطيات المادية هو من يشتت فهم المراد الذي يتأتى من نظم العبارة القرآنية .

المصادر :

القرآن الكريم

١. الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م .

٢. احياء الميت بفضائل اهل البيت ، جلال الدين السيوطي ، المتوفي سنة ٩١١هـ ، قابل اصوله الخطية وإعتنى به : السيد عباس احمد الصقر الحسيني ، دار المدينة المنورة للنشر والتوزيع ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ .

٣. الأصفى في تفسير القرآن ، محمد محسن الفيض الكاشاني (١٠٠٧ – ١٠٩١) هـ ، تحقيق : مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية ، محمد حسين درايتي ومحمد رضا نعمتي ، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ .

٤. أصول الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني ، دار الاتحاد الثقافي العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٢م .

٥. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي ، الناشر مدرسة الإمام علي بن أبي طالب ، إيران ، قم ، مطبعة سليمان زادة ، الطبعة الأولى (التصحيح الثالث) ، ١٤٢٦ هـ .

٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي ، توفي سنة ٦٩١ هـ ، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى .

٧. بحار الأنوار ، محمد باقر المجلسي ، تحقيق وتصحيح لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق : الشيخ علي النمازي الشاهرودي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
٨. البحر الزخار المعروف بمسند البزار ، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي البزار ، تحقيق : د . محفوظ الرحمن زين الله ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .
٩. بدائع التفسير ، الجامع لما فسره ابن القيم الجوزية ، حققه وخرج أحاديثه : يسري السيد محمد ، راجعه ونسق مادته ورتبها : صالح أحمد الشامي ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ، رمضان ١٤٢٧هـ .
١٠. البرهان في تفسير القرآن ، السيد هاشم البحراني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .
١١. بصائر الدرجات ، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار ، المتوفي سنة ٢٩٠هـ ، منشورات شركة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م .
١٢. التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، ٣٨٥ – ٤٦٠ هـ ، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان – بيروت .
١٣. تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي (٩٠٠هـ – ٩٨٢هـ) ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .
١٤. تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، عبد الحق بن عطية الأندلسي ، دار ابن حزم .

١٥. تفسير آيات من القرآن الكريم ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، راجع أصوله وصححه ووضع هوامشه وأعده للطبع : الدكتور محمد بلتاجي .

١٦. تفسير البحر المحيط محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي المتوفي سنة ٧٤٥ هـ ، دراسة وتحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، شارك في تحقيقه الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي – الدكتور أحمد النجولي الجمل ، قرضه الدكتور عبد الحي الفرماوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ٢٠١٠ م .

١٧. تفسير البغوي ((معالم التنزيل)) ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، المتوفي سنة ٥١٦ هـ ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .

١٨. تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ .

١٩. تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي (٧٨٦ – ٨٧٥هـ) ، حقق أصوله : علي محمد عوض و عادل أحمد عبد الموجود ، شارك في تحقيقه الدكتور عبد الفتاح أبو سنة ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت.

٢٠. تفسير روح البيان ، إسماعيل حقي البروسي ، المتوفي سنة ١١٣٧هـ ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ،بيروت .

٢١. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ت (٣٧٥ هـ) ، تحقيق وتعليق : الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود والدكتور زكريا عبد المجيد النوتي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م .

٢٢. تفسير الصافي ، الفيض الكاشاني ، الطبعة الثانية ، رمضان ، ١٤١٦-١٣٧٤ ش .

٢٣. تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، هذبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه : الدكتور بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م .

٢٤. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري ، ٥٤٤-٦٠٤ هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م .

٢٥. تفسير فرات الكوفي ، فرات بن إبراهيم الكوفي ، تحقيق : محمد الكاظم ، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والارشاد الإسلامي ، طهران ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

٢٦. تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي ، وقف على طبعه وتصحيحه ورقمه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .

٢٧. تفسير القرآن الحكيم ، المشتهر باسم تفسير المنار ، الشيخ محمد عبده ، تأليف : السيد محمد رشيد رضا ، دار المنار ، ١٤ شارع الانشاء بالقاهرة ، الطبعة ، ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م .

٢٨. تفسير القرآن العظيم ،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠١ -٧٧٤ هـ] ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م .

٢٩. تفسير القرآن العظيم محمد بن عبدالله بن يونس بن عيسى بن عبدالله بن رفيع التستري ، حققه وضبطه : طه عبد الرؤوف سعد و سعد حسن محمد علي ، دار الحرم للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤ .

٣٠. تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين ، عبد الرحمن بن محمد ابن إدريس الرازي ابن أبي حاتم ، المتوفي سنة ٣٢٧هـ ،

تحقيق : أسعد محمد الطيب ، إعداد : مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

٣١. تفسير القرآن الكريم ، الفاتحة – البقرة ، محمد بن صالح بن العثيمين ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ، صفر ١٤٢٣ .

٣٢. تفسير القمي ، علي بن إبراهيم القمي ، تصحيح وتعليق وتقديم : السيد طيب الموسوي الجزائري ، منشورات مكتبة الهدى ، مطبعة النجف ، ١٣٨٧هـ .

٣٣. تفسير العياشي ، أبي النصر محمد بن مسعود ابن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي ، تصحيح وتعليق : السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى المحققة ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م .

٣٤. تفسير غريب القرآن ، المنسوب الى الشهيد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ، تحقيق : محمد جواد الحسيني الجلالي ، مكتب الاعلام الاسلامي ، قم ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨ق .

٣٥. تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، ٤٦٧ هـ – ٥٣٨ هـ ، إعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .

٣٦. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، توفي ٧١٠هـ ، حققه وخرج أحاديثه : يوسف علي بديوي ، راجعه وقدم له محي الدين ديب مستو ، دار الكلم الطيب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .

٣٧. تفسير نور الثقلين ، الشيخ الحويزي ، تصحيح وتعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٢.

٣٨. تفسير الوسيط للقرآن الكريم ، لجنة من العلماء ، باشراف مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

٣٩. تنوير المقباس المنسوب لإبن عباس ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

٤٠. تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي

٤١. جامع البيان في تفسير القرآن ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الإيجي الشيرازي الشافعي ت (٩٠٥ هـ) ومعه حاشية محمد بن عبدالله الغزنوي ت (١٢٩٦ هـ) ، تحقيق : الدكتور عبد الحميد هنداوي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، لبنان – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م .

٤٢. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي الفرقان ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ت (٦٧١هـ) ، تحقيق : الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م .

٤٣. جامع الأخبار والآثار عن النبي والأئمة الأطهار عليهم السلام في تفسير القرآن ، السيد محمد باقر الموحد الأبطحي ، تحقيق : مؤسسة الامام المهدي ، كربلاء ، العتبة الحسينية المقدسة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م .

٤٤. الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية الدكتور عبد السند حسن يمامة ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

٤٥.	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي ، المتوفي سنة ١٢٧ هـ ، إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان – بيروت.

٤٦.	السنة ، أبو بكر أحمد بن عمرو ابن أبي عاصم المتوفي ٢٨٧هـ ، حققه وخرج أحاديثه أ.د. باسم بن فيصل الجوابرة إستاذ الحديث بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الاولى ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

٤٧.	سنن ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، حقق نصوصه : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية .

٤٨.	سنن الدارقطني ، علي بن عمر الدار قطني ، المتوفي سنة ٣٨٥هـ ، حققه وعلق عليه : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م .

٤٩.	السنن الكبرى ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفي سنة ٤٥٨ هـ ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، منشورات محمد علي بيضون ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٣ م – ١٤٢٤ هـ.

٥٠.	شرح الأربعين النووية ، محمد بن صالح العثيمين ، دار الثريا للنشر ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م .

٥١.	شرح العقيدة السفارينية ، الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية ، محمد بن صالح العثيمين ، مدار الوطن للنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ .

٥٢.	شرح مسند أبي حنيفة ، أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، شرحه : ملا علي القاري الحنفي ، الشيخ خليل محي الدين الميس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥ م .

٥٣. شرح نهج البلاغة الجامع لخطب وحكم ورسائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد المعتزلي ، ٥٨٦ – ٦٥٦ هـ ، قدم له وعلق عليه : الشيخ حسين الأعلمي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، لبنان – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م .

٥٤. صحيح ابن حبان ، أحمد بن حبان التميمي ، المتوفي سنة ٢٥٤هـ ، بترتيب : الأمير علي بن بلبان الفارسي ، إعتنى به : جاد الله بن حسن الخداش ، بيت الأفكار الدولية .

٥٥. صحيح البخاري ، محمد بن اسماعيل البخاري ، المتوفي ٢٥٦هـ ، اعتنى به : أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م .

٥٦. صحيح الترغيب والترهيب ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .

٥٧. العقائد الحقة ، دراسة علمية جامعة في أصول الدين الإسلامي ، على ضوء الكتاب والسنة والعقل ، علي الحسيني الصدر ، مجمع الذخائر الإسلامية ، قم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .

٥٨. عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني ، المتوفي سنة ٨٥٥هـ ، عنيت بطبعه وتصحيحه والتعليق عليه شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية .

٥٩. علوم القرآن ، السيد محمد باقر الحكيم ،مجمع الفكر الإسلامي ، الطبعة الثالثة

٦٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت (١٢٥٠ هـ) ، إعتنى به وراجع أصوله يوسف الغوش ، دار المعرفة ، لبنان – بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م .

٦١.	الفروق اللغوية ، أبي هلال العسكري ، حققه وعلق عليه : محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة ، القاهرة .
٦٢.	فيض الغدير في كلمات مدرسة الصحابة ، علي عبيد خضير المعموري ، المراجعة اللغوية : الدكتور أحمد عبيس عبيد المعموري ، دار الأرقم ، بابل ، الحلة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م .
٦٣.	القرآن في الإسلام ، السيد محمد حسين الطباطبائي ، تعريب : السيد أحمد الحسيني ، دار الزهراء ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣ م .
٦٤.	قدوة التفاسير عن في المأثور عن خاتم الأنبياء والمرسلين ، تصنيف : الشيخ يحيى الفلسفي الشيرازي ، تحقيق : الشيخ سلام التميمي ، الشيخ صباح الربيعي ، مؤسسة البلاغ ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م .
٦٥.	القرآن الكريم بالرسم العثماني وبهامشه تفسير ، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، مذيلا بكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ، قدم له عبد القادر الأرناؤوط ، دار ابن كثير .
٦٦.	كتاب الأربعين ، محمد طاهر القمي الشيرازي ، توفي ١٠٩٨ هـ ، تحقيق : السيد مهدي الرجائي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ .
٦٧.	كتاب الشريعة ، أبو بكر محمد بن الحسين الآجري ، المتوفي سنة ٣٦٠هـ ، دراسة وتحقيق : الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧ م .
٦٨.	كتاب نهج البلاغة ، وهو ما جمعه السيد المرتضى من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وعليه شرح يحل غريبه وموجز جمله للشيخ محمد عبدة المصري ، المطبعة الأدبية ، بيروت ، ١٨٨٥

٦٩. كتاب الفوائد الشهير بالغيلانيات ، أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي(٢٦٠-٣٥٤هـ) ، حققه حلمي كامل أسعد عبد الهادي ، قدم له وراجعه وعلق عليه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

٧٠. الكتاب والقرآن ، الدكتور محمد شحرور ، الأهالي للطباعة والنشر ، سورية ، دمشق .

٧١. كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، المتوفي سنة ١٧٠هـ ، ترتيب وتحقيق : الدكتور عبد الحميد هنداوي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣م – ١٤٢٤هـ .

٧٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، ٤٦٧ هـ – ٥٣٨ هـ ، تحقيق وتعليق ودراسة : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م .

٧٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ابو الحسن علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين بن القاضي عبد الملك بن قاضي خان الشهير بالمتقي الهندي – (٨٨٨ – ٩٧٥) هـ ، اعتنى به اسحق الطيبي ، بيت الأفكار الدولية ، المؤتمن للتوزيع السعودية – الرياض ، الطبعة الثانية ٢٠٠٥ م .

٧٤. لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الخزرجي المصري ، وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد ، المملكة العربية السعودية .

٧٥. اللباب في تفسير الكتاب ، العلامة السيد كمال الحيدري ، التدقيق والاخراج : عبد الرضا عبد الحسين ، دار فراقد ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م .

٧٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المصري المتوفي سنة ٨٠٧ هـ ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا ، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

٧٧. مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، دار المرتضى ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م .

٧٨. مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، إخراج : دار المعاجم في مكتبة لبنان ، ١٩٨٦ م .

٧٩. مختصر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي ، إعداد أحمد علي بابائي ، المطبعة سليمانزاده ، الناشر مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، قم ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨ ق .

٨٠. مدخل الى النظام المعرفي لآلية فهم القرآن ((قراءة في أبحاث المرجع الديني السيد كمال الحيدري)) ، السيد رضا الغرابي ، مؤسسة الهدى للطباعة والنشر ، لبنان - بيروت ،١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م .

٨١. مستدرك سفينة البحار ، الشيخ علي النمازي الشاهرودي ، المتوفي ١٤٠٥ هـ ق ، تحقيق وتصحيح : الشيخ حسن بن علي النمازي ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٩ هـ ق .

٨٢. مسند الامام أحمد بن حنبل ، (١٦٤ – ٢٤١هـ) ، أشرف على تحقيقه الشيخ شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الاولى ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

٨٣. معجم ألفاظ القرآن الكريم ، جمهورية مصر العربية مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م .

٨٤. المعجم الأوسط ، ابو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، قسم التحقيق بدار الحرمين ، أبو معاذ طارق بن عوض الله بم محمد ، أبو الفضل عبد المحسن بن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

٨٥. معجم التعريفات ، للعلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ، (٨١٦هـ=١٤١٣م) ، تحقيق ودراسة : محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة .

٨٦. معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا ، (... – ٣٩٥) ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م .

٨٧. مفاهيم القرآن ، جعفر السبحاني ، بقلم جعفر الهادي .

٨٨. المفردات في غريب القرآن ، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني ، تم التحقيق والأعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز ، مكتبة نزار مصطفى الباز .

٨٩. من روائع القرآن ، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفارابي ، سورية ، دمشق ، طبعة جديدة ومنقحة ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م .

٩٠. منطق فهم القرآن ، الأسس المنهجية للتفسير والتأويل في ضوء آية الكرسي ، من أبحاث المرجع الديني السيد كمال الحيدري ، بقلم الدكتور طلال الحسن ، دار فراقد ، قم ، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م .

٩١. مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري ، نكين ، الطبعة الخامسة ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م .

٩٢. الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧م .

٩٣. نزول القرآن الكريم والعناية به في عهد الرسول ﷺ ، أ. د . محمد بن عبد الرحمن الشايع ، الاستاذ بكلية أصول الدين ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض .

٩٤. النكت والعيون تفسير الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد حبيب الماوردي البصري ، ٣٦٤ – ٤٥٠ هـ ، راجعه وعلق عليه : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، لبنان – بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان – بيروت .

٩٥. نهج البلاغة ، وهو مجموع ما إختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي من كلام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام ، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية : الدكتور صبحي الصالح ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م .

٩٦. نهج البلاغة الجامع لخطب وحكم ورسائل الامام أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهو ما جمعه الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين ، دار نوبلس ، القاهرة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨م .

٩٧. النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين ، السيد نعمة الله الجزائري ، مؤسسة الأمير للطباعة والنشر والتوزيع ، العراق النجف الأشرف ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

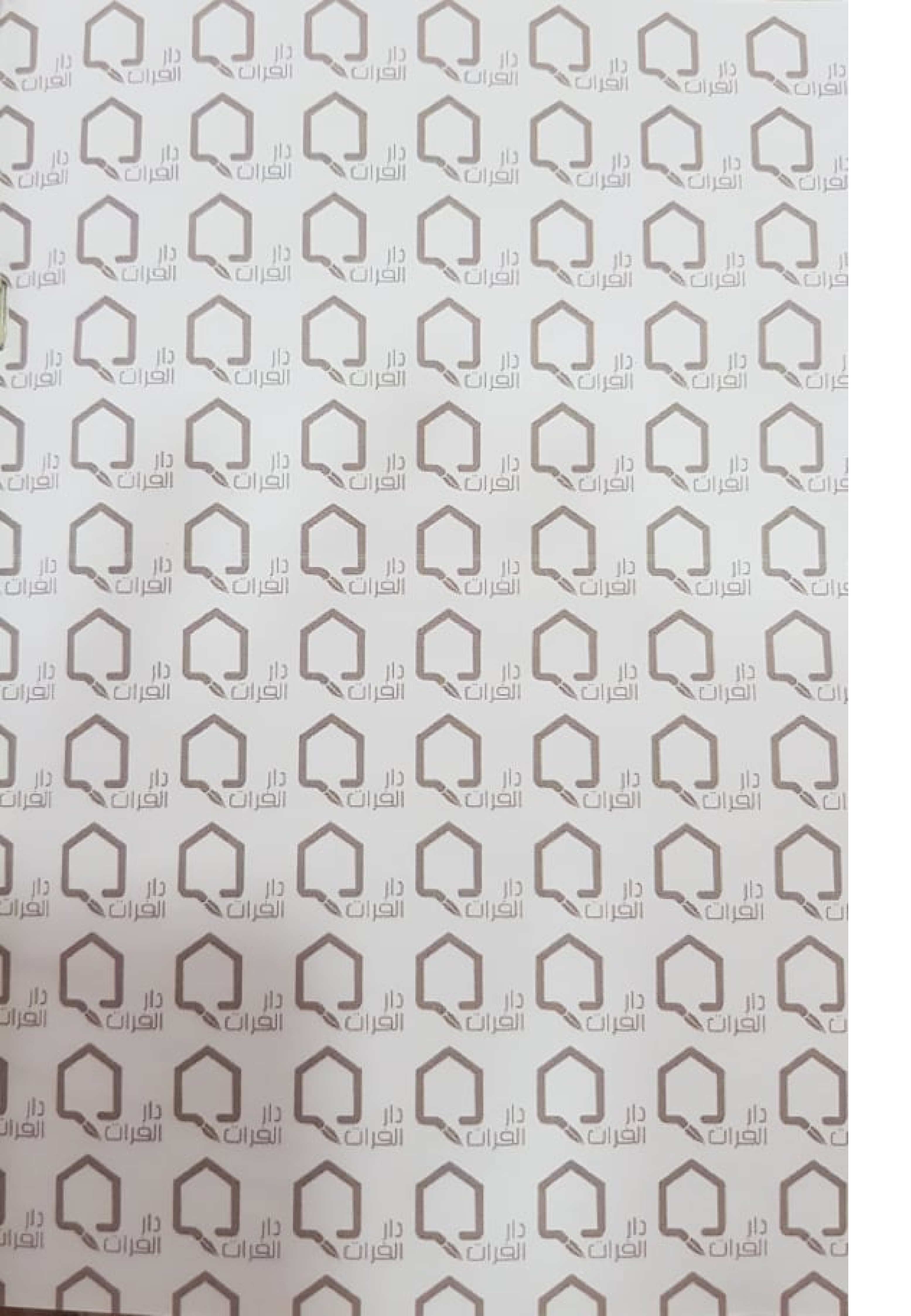
٩٨. الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، المتوفى سنة ٤٦٨ هـ ، تحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، الدكتور أحمد محمد صيرة ، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل ، الدكتور عبد الرحمن عويس ، قدمه وقرضه الدكتور عبد الحي الفرماوي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م .

٩٩. ومضات قرآنية ، وقفة تحليلية مع السرعة والزمن في القرآن الكريم من خلال النظريات الفيزيائية ، علي عبيد خضير المعموري ، المراجعة اللغوية : الدكتور أحمد عبيس عبيد المعموري ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٦م .

١٠٠.	الموقع الإلكتروني http://albayanalqurany.com/clause/ .

١٠١.	الموقع الإلكتروني https://ar-ar.facebook.com/notes/ .

الفهرس:


دار الفرات



الدكتور علي عبيد المعموري

- ولد في مدينة الحلة عام ١٩٦٨م.
- حاصل على شهادة البكالوريوس في الهندسة عام ١٩٨٩م.
- حاصل على شهادة الدكتوراه في علوم القرآن عام ٢٠٢٠م.
- عضو اتحاد المهندسين العرب.
- عضو اتحاد المهندسين العراقيين.

صدر له:

١. إسرائيل بين الماضي والحاضر والسقوط المحتوم.
٢. شهيد في أرض الكناسة (الإمام زيد بن علي بن الحسين (ع).
٣. حقيقة للتاريخ.
٤. أضواء على قبيلة السادة المعامرة الموسوية.
٥. بحث حول الناسخ والمنسوخ برأي الطرفين.
٦. فيض الغدير في كلمات مدرسة الصحابة.
٧. إسلام الخليفة الثاني قراءة في المرويات.
٨. ميراث الرسول في مصادر المسلمين.
٩. ولاية التصرف في القرآن الكريم، قراءة لنظرية الخلافة والامامة وفق التأسيس القرآني – في جزئين.
١٠. شبهات وردود حول قضية الامام المهدي.
١١. ومضات قرآنية، وقفة تحليلية مع السرعة والزمن في القرآن الكريم من خلال النظريات الفيزيائية.
١٢. أيام قرآنية، نظرة في أيام الآخرة وفق الموارد القرآنية المباركة.

الكتب التي قام بمراجعتها وتحقيقها:

- فن الأذان للأستاذ طالب سلمان مهدي العيفاري.
- أضواء على الإمام علي ، تأليف الاستاذ عبد العزيز حسن كريم المعموري.



دار الفرات للثقافة والإعلام - العراق - بابل

بالاشتراك مع دار سما للطباعة والنشر والتوزيع

07707311570 / ali.abassos@yahoo.com

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٢٤٩) لسنة ٢٠٢٠م

Al-Furat House for Education and Information

Iraq – Babylon